

بمجة التأليف والترجمة والنشر

كتاب

الامتياز والواجب

تأليف

أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى
من الأدب واللغة والتاريخ والسياسة والفلسفة
حاصر المؤلف بها الوزير أبا عبد الله العارض في أربعين ليلة

الجزء الثالث

صححه وضبطه وحققه وشرح غريبه ورتب قمارسه
أحمد أمين ، أحمد الزين

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بقية الليلة الحادية والثلاثين في آخر الجزء الثاني »

ثم تَرَى الحديث إلى أمر الْمُطْعِمِينَ وَالطَّاعِمِينَ ^(١) ، وَالَّذِينَ يَهْشُونَ ^(٢) عند (٥) المائدة ، وَالَّذِينَ يَمْبِسُونَ ^(٣) وَيَجْمُونَ وَيُطْرِقُونَ ، وَالَّذِينَ يَصْنَعُونَ ^(٤) وَيَلْفَطُونَ ، وَيَضْجَرُونَ وَيَتَمَاطُونَ .

قال : أحب أن أسمع في هذا أكثر ما فيه ، ويمرّ بي أحبه ، فإن في معرفة هذا الباب تهذيباً وإيقاظاً كثيراً .

فكان من الجواب : إن الناس قديماً وحديثاً قد خاصوا في هذا الفن خوفاً ببيدأ ، وما وقفوا منه عند حدّ ، لأن الحديث عن الأخلاق المختلفة بالأمرجة ^(٥) المتباعدة ، والطباع المتناثرة لا يكاد ينتهي إلى غاية يكون فيها شفاء للمستمع للتستفيد [و] لا الراوية للمفيد .

قال : قبل كل شيء أعلمونا ^(٦) يا أصحابنا : الحث على الأكل أحسن ، أم الإمساك حتى يكون من الأكل ما يكون ؟

فكان [من] الجواب : أن هذه المسئلة بعينها جرّت بالأس بالرسى عند

(١) في (١) بالطاعمين ، والباء معرفة من الواو كما هو ظاهر من السياق .

(٢) في (١) يمشون ، وهو تحريف .

(٣) في (١) « يمشون » ؟ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) « يصجون » .

(٥) في كلتا النسخين بالأزمنة ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) « إعلموا » ؛ وهو تحريف .

ابن عبّاد فتَنُوبَ الكلامُ فيها ، وأفضى [إلى] أن الأولى الحثُّ والتأنيُّسُ
والبسطُ والطلاقةُ ولينُ اللفظِ وقِيْلَةُ التَّحْدِيقِ وإنجاءُ الطرفِ مع [اللطَفِ]
والدِّمَاءَةِ ، من غيرِ دلالةٍ على تَكَلُّفٍ في ذلك فاضح^(١) ولا إمساكٍ^(٢) عنه قادح .
وحكى ابنُ عبّادٍ في هذا الموضع أن بعضَ السلفِ قال : الطعامُ أهْوَنُ مِن
أن يُحِثَّ على تناوُلِهِ .

وقال الحسن بن عليّ : الطعامُ أجلُّ من أن لا يُحِثَّ على تناوُلِهِ . ومذهبُ
الحسن أحسن .

قال : ولقد حضرتُ موائدَ ناسٍ لا أُظُنُّ بهم البخلَ فلم يُحِثُّوني ولم يَبْسُطُونِي
فَقَبَضْنِي ذلك ، وكأنَّ أقباضِي كان بِمَعُونَتِهِمْ ، وإن لم يكن يارادتهم .
قال الوزير : هذه فائدة من هذا الرجل الذي يُتَهَادَى قوله ، وتزَاوَى
أخبارُهُ^(٣) .

ثم حكيتُ له أن أسماءَ بنتَ حارِجَةَ قال : ما صنعتُ طعاماً قطّ فدَعَوْتُ
عليه تَفَرّاً إلا كانوا أَمَنَ على مِنِّي عليهم . فقال : زدنا من هذا الضربِ
ما كان ، قلتُ : لو أذن لي في بجمه كان أَوْلَى ؛ قال : لك^(٤) ذلك فَا يَصْرُخْنا^(٥)
أن تُطْرِبَ آذَاننا بما تَهْوَى نُفوسُنا .

فكان من الجواب أن الجاحظ قد أتى على جَهْرَةٍ هذا الباب إلا ما شذَّ عنه

(١) في (١) ناصح ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « الإمساك » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) في (١) ويزاوى اختياره .

(٤) في (١) « إلى » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) « ينصرنا » ؛ وهو تحريف .

مِمَّا لَمْ يَقَعْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ - وَإِنْ كَانَ بَارِعًا - لَيْسَ بِمُجُوزٍ أَنْ يُظَنَّ [به] أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ بَابٍ ، أَوْ بِالْبَابِ الْوَاحِدِ إِلَى آخِرِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ حَدَّثَ مِنْ عَهْدِ الْجَاهِلِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا أُمُورٌ وَأُمُورٌ ، وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، وَغَرَائِبٌ وَعَجَائِبٌ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَكْتَسِبُونَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ عَادَةً جَدِيدَةً ، وَخَلِيقَةً غَيْرَ مَعْهُودَةٍ ، وَبَذَّةَ هَذِهِ الْمِثْنِ ^(١) هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ تَنْفَقِدُ شَرِيعَةٌ ، وَتُظْهِرُ نَبْوَةً ، وَتَنْشُو أَحْكَامًا ، وَتَسْتَقِرُّ سُنَنٌ ، وَتُؤَلَّفُ أَحْوَالٌ ^(٢) بَعْدَ فُطَامٍ شَدِيدٍ ، وَتَلَكُّوْا وَقَعَ ؛ ثُمَّ عَلَى أَسْتِنَانِ ذَلِكَ يَكُونُ مَا يَكُونُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ضَافَ الْبَخِيلَ صَامَتُ دَابَّتُهُ ، وَأَسْتَفْنَى عَنِ الْكَثِيفِ ، وَأَمِنَ الثُّخْمَةَ .

وَقَالَ حَامِدٌ ^(٣) اللَّفَافُ الْمَرْهَدُ ^(٤) : لِلرَّائِي إِذَا ضَافَ إِنْسَانًا حَدَّثَهُ بِسَخَاوَةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِذَا ضَافَهُ إِنْسَانٌ حَدَّثَهُ بِزُهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ .

وَقَالَ مَالِكٌ ^(٥) بْنُ دِينَارٍ : دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ مَسِيرِينَ فَقَالَ : مَا أَذْرِي مَا أَطْمِئِسْكُمْ ؟ ثُمَّ قَدَّمَ ^(٦) إِلَيْنَا شُهْدَةً .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ خَيْثَمَةُ يَصْنَعُ الْخَبِيبَ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُّوا فَوَاللَّهِ مَا صُنِعَ إِلَّا مِنْ أَجْلِكُمْ .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزِيُّ ^(٧) : أَحَقُّ النَّاسِ بِلَطْفِيَّةٍ مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ

(١) فِي (١) « وَبَذَّرَهُ الْمِثْنِ » . وَفِي (ب) « وَبَذَّرَهُ الْمِثْنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ وَمَا أَتَيْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ . (٢) فِي (ب) « أَحْكَامٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) كَذَا فِي كِلَا الْأَصْلَيْنِ ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ص ٦٩ مَنْسُوبَةً إِلَى حَاتِمٍ ، أَيْ حَاتِمِ الْأَصَمِّ .

(٤) فِي (ب) « الزَّاهِدُ » ؛ (٥) فِي (١) « خَالِدٌ » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (ب) « أَخْرَجَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٧) فِي (١) « الْمَرْءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ذَهَبَ بآخر معه ، وأحَقُّهُمْ بِلَطَمَتَيْنِ مَنْ إِذَا قِيلَ لَهُ : اجْلِسْ هَاهُنَا قَالَ : بَلْ هَاهُنَا ؛ وَأَحَقُّ النَّاسِ بِثَلَاثِ لَطَمَاتٍ مَنْ إِذَا قِيلَ لَهُ : كُلْ ، قَالَ : مَا بَالُ صَاحِبِ الْبَيْتِ لَا يَأْكُلُ مَعَنَا .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد^(١) : كَانَ يَقَالُ : أَرِيعَ لَا يَنْتَبِي لِشَرِيفٍ أَنْ يَأْتَفَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَبِيهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالِمِ يَقَعْلُمُ مِنْهُ ، وَالسُّؤَالُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ مِنْهُ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَخِدْمَتُهُ الضَّيْفِ بِنَفْسِهِ إِكْرَامًا لَهُ .

وقال حاتم الأصم : كَانَ يَقَالُ الْمَجَلَّةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ ، فَلَيْتَهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِطْعَامِ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجْهِيْزِ الْمَيْتِ إِذَا مَاتَ ، وَتَزْوِيجِ الْبِكْرِ إِذَا أَدْرَكَتْ ، وَقَضَاءِ الدَّيْنِ إِذَا حَلَّ وَوَجَبَ ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفَنَائِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ إِنْ شَاءَ أَخَذَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ » .

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد وفي يدها قَدَحٌ ، فَسَأَلَتْ عَسَلًا وَقَالَتْ : زَوْجِي مَرِيضٌ ؛ فَأَسْرَ لَهَا بِرَاوِيَةِ عَسَلٍ^(٢) ؛ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْحَرِثِ : إِنَّمَا نَسْأَلُ قَدَحًا . قَالَ : سَأَلْتُ عَلَى قَدْرِهَا وَنُعْطِيهَا عَلَى قَدْرِنَا .

خَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَوْمًا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : نَزَلَ بِنَا ضَيْفٌ الْيَوْمَ فَقَالَ : اتَّخَذُوا لِي فَاوْذَجًا ؛ فَسَرْنَا ذَلِكَ مَعَهُ

(١) في (١) « ابن الحنبل » ، وهو تصحيف . وقد سبق كلامه هنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب صفحة ٦٨ سطر ١١ .

(٢) هذه الكلمة في (١) لم يظهر منها إلا بعض حروفها وفي (ب) مطبوسة كلها .

وقال الحسنُ في الرَّجُلِ يَدْخُلُ بَيْتَ أَخِيهِ فَيَرَى السَّلَّةَ فِيهَا الْفَاكَةَ :
لا بَأْسَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْتَأِزَّهُ .

وقال ابنُ عمر : أَهْدَيْتَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ -
شاةً فَقَالَ : أَخِي فَلَانٌ أَخْوَجُ إِلَيْهَا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ ^(١) يَبِيعُ بِهَا
وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى تَدَاوَلَهَا تِسْعَةُ أَيْيَاتٍ ، وَرَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ ، فَزَلَّتِ
الآيَةُ : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

قال أبو سعيد الخُدْرِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَ لَهُ
ظَهْرٌ فَلْيَمْدْ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ؛ وَمَنْ كَانَ لَهُ زَادٌ فَلْيُعْذْ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ ،
حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مَتْنًا فِي الْفَضْلِ ^(٢) » .

وَسُئِلَ ابْنُ عُمَرَ . مَا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ؟ قَالَ : أَلَّا يَشْبَعَ وَيَجُوعَ ،
وَأَلَّا يَلْبَسَ وَيَعْرَى ، وَأَنْ يُوَاسِيَهُ بَبِيضَاتِهِ وَصَفَرَاتِهِ .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ يُنْفِقُ عَلَى جِيرَانِهِ أَرْبَعِينَ دَارًا سِوَى سَائِرِ نَفَقَاتِهِ ،
وَكَانَ يَبْتِمُتُ إِلَيْهِمُ بِالْأَضَاحِيِّ وَالْكَسْوَةِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَكَانَ يَمْتَنِقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ
عِيْدَ مِائَةِ مَمْلُوكٍ .

وَكَانَ حَمَادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ يُفْطِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسِينَ إِنْسَانًا ،
وَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْفِطْرِ كَسَاهُمْ ثَوْبًا ثَوْبًا وَأَعْطَاهُمْ مِائَةَ مِائَةٍ .

وقال الشاعر :

أَرَاكَ تَوْمَلُ حُسْنَ الثَّنَاءِ وَلَمْ يَرْزُقْ اللَّهُ ذَاكَ الْبَخِيلَا

(١) سياق الكلام يفيد أن الثاني قال مثل ما قال الأول وبعث بالشاة إلى أخ ثالث ،
وحذف ذلك العلم به .

(٢) يريد بالفضل هنا : ما فضل من المال وزاد .

وكيف يسود أخو بطنة ^(١) يَمْنُ كثيراً ويُعطى قليلاً

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تجافوا عن ذنب السخى ، فإن الله يأخذُ بيده كلما عثر » .

وقال عليه السلام : « من أدّى الزكاة ، وقرى الضيف ، وآوى ^(٢) في النائية ، فقد وقي شح نفسه » .

وقالت أمّ البنين أختُ عمر بن عبد العزيز : أفّ للبخل ، لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته ، ولو كان سراجاً ما أضاءت به .

وقال الأصمعي : قال بعضُ العرب : ليست الفتوةُ الفسقَ ولا الفجور ، ولا شربُ الخُمور ، وإنما الفتوةُ طمأنينةٌ موضوع ، وصنيعٌ مصنوع ، ومكانٌ مرفوع ، ولسانٌ مفعول ، ونائلٌ مبذول ، وعفافٌ معروف ، وأذىٌ مكفوف .

وقال أبو حازم المدني : أسعدُ الناس بالخلق الحسنُ صاحبُه ، نفسهُ منه في راحة ، ثم زوجتُه ، ثم ولده ، حتى إن فرسه ليضهل إذا سمع صوتَه ، وكلبُه يشترشِرُ بذنبه إذا رآه ، وقطه يدخل [تحت] مائدته ، وإن السبيء الخلق لأشقى الناس ، نفسهُ منه في بلاء ، ثم زوجتُه ، ثم ولده ، ثم خدّمه ، وإنه ليدخل وهم في سرور فينفرقون فرقاً منه ، وإن دابته لنحيد عنه إذا رآه ، بما ترى منه ، وكلبُه ينزّو على الجدار ، وقطه يفرّ منه .

وكان على باب ابن كيسان مكتوب : ادخل وكنل .

(١) هذه الكلمة مطموسة في (١) ولم يظهر منها في (ب) غير النون ؛ وما أثبتناه هو المناسب للسياق .

(٢) في (١) وأدى ؛ وهو تحريف .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول فى بكائها [على النبى صلى الله عليه وسلم] :
بأبى مَنْ لَمْ يَنْمَ عَلَى الْوَتِيرِ ، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ رِجَاءً مُلَى شَرًّا مِنْ
بَطْنِي ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَاجْعَلُوا ثُلُثًا لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثًا لِلشَّرَابِ ، وَثُلُثًا لِلرَّيْحِ » .
قال الشاعر :

لِيسُوا يَبْكُلُونَ إِذَا أَصْبَحُوا شَبَعَى بِطَانًا حَقَّ مَنْ ضَيَّعُوا^(١)
وَلَا يَبْكُلُونَ بِمَوْلَاهُمْ وَالْكَلْبُ فِي أُمُومِهِمْ يَرْتَعُ
وَحَكَى لَنَا أَبُو بَكْرٍ أَخَذَ بِنُورِ إِبْرَاهِيمَ بِمَرْجَانٍ [إِمَامُ الدُّنْيَا] قَالَ : رَأَيْتُ
أَبَا خَلِيفَةَ الْمَفْضَلِ^(٢) بِنَ الْحَبَابِ ، وَقَدْ دُعِيَ إِلَى وَلِيَّةٍ فَرَأَى الصُّحُفَ تَوْضَعُ
وَتُرْفَعُ ، فَقَالَ : أَلَا حُسْنَ وَالْمَنْظَرِ دُعَيْنَا ، أَمْ لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ؟ فَقِيلَ : بَلِ
لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ، قَالَ : فَاتْرَكُوا الصُّحُفَةَ يُبْلَغُ قَفْرُهَا .

وكان سليمان بن قُتَيْبَةَ ضَخَمَ الْخِلَافَةَ ، كَثِيرَ الطَّعَامِ ، وَافِرَ الرِّغْفِ ،
وكان مُعْجَبًا بِإِجَادَةِ الْأَلْوَانِ ، وَأَتَّخَذَ الْبَدَائِعَ وَالطَّرَائِفَ وَالْغَرَائِبَ عَلَى مَائِدَتِهِ ؛
وكانت لَهُ ضُرُوبٌ مِنَ الْخُلُوفِ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِهِ ، وَكَانَ خُبْرُهُ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى
الْمَائِدَةِ الرِّغْفِ مِنْ مَكُونٍ^(٣) دَقِيقٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو فَرَعُونَ الْعَدَوِيُّ :

مَا النَّاسُ إِلَّا نَبِطٌ وَخُوزَانٌ^(٤) كَكَهْمَسِي أَوْ عَمَرَ بْنِ عِمْرَانَ

(١) فى (١) « صنعوا » ؟ وهو تصحيف .

(٢) فى (١) المفضل بن الحبان ؟ وهو تحريف .

(٣) المكوك : من مكابيل العراق ، وهو صاع ونصف أو هو ثلاث كيلبات والكيلجة
منا وسبعة أثمان منا ، والمنا رطلان .

(٤) لعله يريد بالخوزان : أهل خوزستان ، وهم — فيما يقال — ألام الناس وأسقطهم
نفوساً .

صَاقَ^(١) جِرَابِي عَنْ رَغِيفِ سَلْمَانَ^(٢) أُمُّ حِمَارٍ فِي حَرٍّ أُمُّ قَعَطَانٍ
وَأَبْرُؤُ بَقْلٍ فِي أَسْتٍ أُمُّ عَدْنَانَ
(٣)

وَعَشِيقَ رَجُلٍ جَارِيَةٍ رُومِيَّةٍ كَانَتْ لِقَوْمِ ذَوِي يَسَارٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا : جُمِلْتُ فِدَاكَ ، عِنْدِي الْيَوْمَ أَصْحَابِي ، وَقَدْ اشْتَهَيْتُ سَكْبَاجَةً^(٤) بَقْرِيَّةً
فَأَحِبُّ أَنْ تُوَجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يَعْثُمُنَا وَيَكْفِينَا مِنْهَا ، وَدَسْتَجَةً^(٥) مِنْ نَبِيذٍ لِنَتَعَذَّى
وَنَشْرَبَ عَلَى ذِكْرِكَ ، فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ وَجَّهْتِ إِلَيْهِ بِمَا طَلَّبَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا آخَرَ : فِدَاكَ نَفْسِي ، لِإِخْوَانِي مَجْتَمِعُونَ عِنْدِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ قَلِيلَةً جَزْوَورِيَّةً
فَوَجَّهِي بِهَا إِلَيَّ وَمَا يَكْفِينَا مِنَ النَّبِيذِ وَالنَّقْلِ ، لِيَعْرِفُوا مَنَزَلَتِي عِنْدَكَ ، فَوَجَّهْتِ
إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا سَأَلَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا يَوْمًا آخَرَ : جُمِلْتُ فِدَاكَ ، قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنَا
وَأَصْحَابِي رَهْوسًا سَمَانًا ، فَأَحِبُّ أَنْ تُوَجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يَكْفِينَا ، وَمِنْ النَّبِيذِ
بِمَا يُرْوِينَا ؛ فَكَتَبْتَ الْجَارِيَةَ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ ،
وَحُبُّكَ هَذَا مَا تَجَاوَزَ الْمِلَّةَ . وَكَتَبْتَ : أَسْفَلَ الرُّقْعَةَ :

عَذِيرِي مِنْ حَبِيبٍ^(٦) جَا عَنَا فِي زَمَنِ الشَّدَّةِ

(١) فِي (١) صَارَ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) سَلْمَانٌ ، أَيْ سَلْيَانٌ ؟ وَهِيَ لَفَةٌ فِيهِ .

(٣) وَرَدَ مَوْضِعُ هَذِهِ النُّقْطِ فِي (١) وَحَدَّثَنَا كَلَامُ هَذَا نَصَبِهِ : أَنْزَلَ بِقَوْمِ قَهْرَةَ صَامٍ
وَلَمْ يَأْتُوهُ بِهِ وَلَكِنْ دَلَّوْهُ عَلَى مَوْضِعِهِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَذْهَبَ مَا مِنْهُ وَكَأَنَّهُ يَذِمُّ أُمَّ مَبُوءًا :

إِذَا دَعَيْتَ بِمَا فِي الْبَيْتِ قَالَتْ نَحْنُ مِنَ الْمَدَالِ وَمَا حَيْثُ

وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا كَلَمَةٍ مِنَ التَّحْرِيفِ الْكَثِيرِ وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ فِي غَتَّافِ الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا
فَلَمْ نَجِدْهُ . (٤) السَّكْبَاجَةُ : مَرْقٌ يُصْنَعُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْخَلِّ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكْمَةُ فِي (١) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ ، وَفِي (ب) « دَسَجَةٌ » ؛
وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا . وَالدَّسْتَجَةُ : لَأَنَاءٌ كَبِيرٌ مِنْ زُبَايَاجِ فَارْسِيَّتِهِ دَسْتُهُ .

(٦) فِي (١) « حَيْثُ » ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

وكان الحُبُّ في القلبِ فصَارَ الحُبُّ في المَعْدَةِ
وقال جرير: ^(١)

ولا يَذْبَحُونَ الشاةَ إِلَّا بِمَيْسِرٍ ^(٢) كَثِيرٍ تَفَاجِيها لِثَامٌ قُدُورُها

وقالت عادية ^(٣) بنتُ فَرْعَةَ الزَّيْيرَةِ في ابْنِها دَوْسُ :

تَشْبُهُ ^(٤) دَوْسُ نَفْرًا كَرَامًا

كَانُوا الذُّرَى وَالْأَنْفَ وَالسَّنَامَا

كَانُوا لِمَنْ خَالَطَهُمْ إِدَامَا

كَالْتَمَنَ لَمَّا سَفَبَلَ الطَّعَامَا

يقال سَفَبَلَ رَأْسَهُ [بِالذُّهْنِ] وَسَفَسَفَهُ ^(٥) وَرَوَّاهُ وَأَمْرُهُ ^(٦) .

قال الواقدي : قيل لَأُمِّ أَيُّوبَ : أَيُّ الطَّعَامِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَدْ عَرَفْتُمْ ذَلِكَ بِمَقَامِهِ عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُهُ أَمَرَ بِطَعَامٍ

(١) البيت لسان بن ذهل يهجو جريرا وقبلة :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى كليباً جريرها
إذا نزع يوما كليب وسومت تقاعس في ظهر الأتات مغيرها
رأيت كليباً يعرف اللؤم ريحها إذا اسود بين الأملحين جعورها
ولا يذبحون الشاة الخ ...

انظر الجزء الأول من ديوان جرير ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية .

(٢) في (١) « بمنزر » ؟ وفي (ب) « بمنسر » بالنون وهو تحريف في كلتا النسختين
والنصوب عن ديوان جرير ج ١ ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية . يريد أن ذبح الشاة عندهم أمر
ذو بال لا يفعلونه إلا بواسطة قدامح الميسر التي يشترك فيها الجميع وتفرق بينهم كل نصيبه كما
يذبح الجزور في زمن الجذب والقطط .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين .

(٤) في (١) « أسنه » ؟ وهو تصحيف .

(٥) في (ب) « وسمسمه » بمهملتين ؟ والمعنى واحد .

(٦) كذا في (ب) وكتب اللفظ والذي في (١) « وأمرغه » بالثين المسبحة .

يُصَنِّعُ لَهُ بِعَيْنَيْهِ ، وَلَا رَأْيَانَهُ أَتَى بِطَعَامٍ فَمَا بِهِ قَطُّ . وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّهُ تَعَمَّشَ عِنْدَهُ لَيْلَةً مِنْ قَصْعَةِ أَرْسَلَهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ [فِيهَا] طَفَيْشَلٌ ^(١) فَرَأَيْتُهُ يَنْهَكَ تِلْكَ الْقَصْعَةَ ^(٢) مَا لَمْ يَنْهَكَ غَيْرَهَا ، فَرَجَعَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي ، فَكُنَّا نَعْمَلُهَا لَهُ . وَكُنَّا نَعْمَلُ لَهُ الْمَرِيْسَةَ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، وَكَانَ يَحْضُرُ عَشَاءَهُ ^(٣) مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةٍ إِلَى عَشْرَةٍ كَمَا يَكُونُ الطَّعَامُ فِي الْقَلْعَةِ وَالْكَثْرَةِ .

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَفْعَلُ لَهُ هَرِيْسَةً لَيْلَةً وَلَيْلَةً لَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنْهَا ؛ أَجَاءَتْ قَصْعَةُ أَسْعَدَ أَمْ لَا ؟ فَيَقَالُ نَعَمْ ، فَيَقُولُ : هَلُمُّوْهَا ؛ فَنَعْرِفُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تُعْجِبُهُ

قَدِمَ صُهَيْبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبَاءٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَنَحْوُهُ ، بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رُطَبٌ قَدْ جَاءَهُمْ بِهِ كُنُتُومُ بْنُ الْهَذَمِ ^(٤) أَمْتَاتُ جَرَّادِينَ ^(٥) وَصُهَيْبٌ قَدْ رَمَدَ فِي الطَّرَبِ ، وَأَصَابَتْهُ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَوَقَعَ فِي الرُّطَبِ ؛ قَالَ صُهَيْبٌ : لَجُمَلْتُ آكُلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى صُهَيْبٍ يَا كُلُّ الرُّطَبِ وَهُوَ رَمَدٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَأْكُلُ الرُّطَبَ وَأَنْتَ رَمَدٌ ؟ » فَقَالَ صُهَيْبٌ : أَنَا آكُلُ بِشَقِّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ ، فَتَقْبَسَمَ [رَسُولُ اللَّهِ] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) الطفَيْشَلُ : نوع من اللُّق .

(٢) في (١) القدر ؛ وهو تبديل من الناسخ .

(٣) في (ب) « عِنْدَهُ » .

(٤) في (١) « ابن مبروم » ؛ وفي (ب) ابن الهرم ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين والتصويب عن كتب اللغة ومعجم الأعلام التي بين أيدينا .

(٥) في (١) حرافين ؛ وفي (ب) حراذين ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين ؛ والتصويب عن كتب اللغة وكتب الحديث ، وأم جرزان : نوع من الرطب كبار ، وسمى بذلك لأن نخله يجتمع تحته الجرزان لحلاوة ثمره . وأم جرزان آخر نخلة بالمجاز إدراكا ، وهي أم جرزان رطباً ، فإذا جفت فهي السكيس .

وقال الأعشى :

لو أطلعِموا المَنَّ والسَّلوى مَكَانَهُمْ ما أَبْصَرَ الناسُ طُعْمًا فيهِمْ نَجْمًا

وقال الكميت :

وما اسْتَنْزَلَتْ في غَيْرِنَا قِدْرُ جَارِنَا ولا مُنْقِيتُ إِلَّا بنا حينَ تُنْصَبُ
يقول إذا جاورنا جارئ لم نُكَلِّفه أن يَطْبُخَ مِن عنده ، ويكون ما يَطْبُخُه
مِن عِنْدِنَا عما نَعْطِيهِ مِنَ اللَّحْمِ لِيَنْصَبَ ^(١) قِدْرَه . ويقال للحَيْسِ ^(٢) سَوِيطَةٌ ^(٣) .
وقال : الرَّغِيفَةُ ^(٤) لبن يَطْبُخُ . وقال : هي العصيدة ، ثم الحريرة ^(٥) ثم
النَّجْيرة ^(٦) ، ثم الحَسُو ^(٧) . واللُّوقَةُ : الرُّطْبُ بالسَّمنِ ^(٨) ، والسَّليقَةُ : الذَّرَّةُ
تُدَقُّ وتُضَلَّحُ باللَّبن ، والرَّصِيعَةُ ^(٩) : البُرُّ يَدُقُّ بالفِهْرِ وَيَبَلُّ وَيَطْبُخُ بِشَىءٍ مِنَ
السَّمنِ ، والوجيئة : التمر يُوجَأُ ثم يُؤْكَلُ باللَّبن .

وقال أعرابي : ليس من الألبان أخلى من لبن الخِلْفَةِ ^(١٠) .

-
- (١) في (ب) « ينضب » ؛ وهو تحريف . .
(٢) الحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيسجن شديداً ثم يخرج منه نواه .
(٣) السويطة : من السوط وهو الخنط ؛ وفي (أ) « الصريطة » ؛ وهو تحريف .
(٤) في اللسان أن « الرغبة » : حسو من الزبد ؛ وقيل : لبن يفل ويذر عليه دقيق .
(٥) في اللسان أن « الحريرة » دقيق يطبخ بلبن أو دسم
(٦) في اللسان : أن النجيرة لبن وطحين يخلطان ؛ وقيل : هي لبن حليب عليه سمن .
وقيل : هي ماء وطحين يطبخ . والنجيرة : بين الحسو وبين العصيدة . والذي في كلتا النسختين
« النجيرة » ؛ وهو تصعيف .
(٧) الحسو : طعام يعمل من الدقيق والماء .
(٨) وقيل : إن اللوقة الزبدة .
(٩) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مضطربة الحروف في رسمها . وقد قلبناها
على عدة وجوه ، وهذا الذي أثبتناه هو ما وجدناه في كتب اللغة بالمعنى الذي ذكره
للؤلف هنا .
(١٠) الخلفة : الخاض من النياق .

وَالنَّخِيسَةُ وَالْقَطِيبَةُ يُخْلَطُ لَبَنُ إِبِلٍ بِلَبَنٍ غَنَمٍ^(١) .

وقال أعرابي : الحمد لله الذي أغنانا باللبن عما سواه . ويقال أكل خبراً قفاراً وعناراً وعقيراً : لا شيء معه^(٢) وعليه القفار والدمار وسوء الدار^(٣) ؛ وأكل خبراً جببياً^(٤) أى قطييراً^(٥) يابساً . وجاء بتمر فضي^(٦) وقصاً وقذير وحش^(٧) : لا يلزق بفضه بعض .

قال أبو الحسن الطوسي : أخبرني هشام قال : دخل على فرج الرُّخَّجِي وقد تمذَّبتُ واتَّكأتُ ، فقال : يا أبا عبدالله : إنما تُخسِنُ الأكل والاشكاء . [قال] : فتركتُ [الأكل] عنده أياماً ، وبلغه ذلك ، فبعث إلى : إن كنت لا تأكل كل طعامنا فليس لنا فيك حاجة . قال : « فأكلت »^(٨) شيئاً ثم أتيتُهُ فلم يفتقد مما كان .

(١) في كتب اللغة أن « النخيسة » و « القطيبة » لبن الماعز يخلط بلبن الضأن ، لا لبن إبل كما هنا .

(٢) عبارة الثوريين « لا آدم معه » .

(٣) في (١) « وشواء النار » .

(٤) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مصحفة الحروف يحتاج لإصلاحها إلى بحث في كتب اللغة . وهذا الذي أثبتناه هو ما وجدناه في تلك الكتب بالخط المذكور هنا ، وهو الحيز اليابس .

(٥) « القطير » هو الذي أمجل قبل أن يجتم .

(٦) كذا في كتب اللغة ، وقد وردت هاتان الكلمتان في كلتا النسختين مصحفتي الحروف يحتاج لإصلاحهما إلى تقليهما على عدة وجوه .

(٧) في كلتا النسختين ، « وقد وحاء حب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين ، وما أثبتناه من كتب اللغة .

(٨) وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في كلتا النسختين مضطربة الحروف ، تتمذر قراءتها ، والسياق يقتضي إثباتها على هذا الوجه .

قال أبو الحسن : أخبرني القراء قال : العرب تسمى السكباجة^(١) الصنفصة . وأنشد :

أبو مالكٍ يَمْتَادُنَا فِي الظَّهَائِرِ يَجُوهُ فَيَلْقَى رَحْلَهُ عِنْدَ عَامِرٍ^(٢)
أبو مالك : الجوع ، هكذا تقول العرب ويحيى^(٣) ويجهو لغتان .
وقال الآخر :

رَأَيْتُ الْفَوَانِي إِذْ نَزَلْتَ جَفَوْنِي أَبَا مَالِكٍ إِنِّي أَظُنُّكَ دَانِيَا^(٤)
أبو مالك ها هنا الشيب .

قال أبو الحسن : أخبرني الثوري^(٥) عن أبي عبيدة في الحديث الذي يروى عن عمر بن الخطاب أنه رأى في رؤث فرسه حبة شعير ، فقال : لأجملن^(٦) لك في غرز^(٧) النقيع ما يشغلك عن شعير المسلمين . قال : والنقيع : موضع بالمدينة أمحاه عمر [بن الخطاب] لخليل المسلمين ، خلاف النقيع بالباء .
قال الطوسي : العرب تقول : « أيدي الرجال أعناقها » أي من كان أطول يداً على المائدة تناول فأكل ، الهاء ترجع على الإبل ، أي أيدي الرجال أعناق الإبل ، أي من طال نال .

قال الأصمعي : سألت بعض الأكلة فيمن كان يقدم على ميسري

(١) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٢) عامر : من أسماء الخبز ، ويسمى أيضاً جابراً وعامراً . والذي في الأصل : بجو مكان « بجوه » . . . ويحيى وبجو في التفسير بمد ؟ وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان . وفي كتاب ما يقول عليه « يلم فيلق » . وجابر مكان « عامر » .

(٣) في كلتا النسختين « دانيا » ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن اللسان وما يقول عليه وروايته في كلا الكتابين : أبا مالك إن الفواني هجرني أبا مالك الخ

(٤) في (ب) التوزي ؛ والثوري ؛ كلاهما معروف .

(٥) في (١) لأجملنك . (٦) الغرز بالتحريك : نبات يقبه الثمام ينبت على

شواطئ الأنهار ، وفي كلتا النسختين عزيز ؛ وهو تصحيف .

الناس كيف تصنع إذا جهدتك الكفة — والعرب تقول : « إذا كنت بطناً فعدك زمناً — قال : أخذ يوماً حاراً وأعصره وأشرب ماءه ، فاختلف^(١) عنه مراراً ، فلا ألبت أن يلحق بطنى [يظهرى] فاشتوى الطعام .

قال ابن الأعرابي : قال السكلابي : هو يندف الطعام إذا أكله بيده ، ويلقم الحسو ، واللقم بالشفة ، والذدف : الأكل باليد . وقال الزبيرى : يندف^(٢) .

وأشد ابن الأعرابي :

ويظلل ضيف بني عبادة فيهم متضمراً ويطوهم كتم
أى ممتلئة . والتضمير : الهزال والنحانة ، كالنخل المصمر ، أى الذى قد
ذوت^(٣) جذوعه . قال الشنوبذى فى قول الله تعالى^(٤) : (قل هل ننبئكم
بالأخسرين أعمالاً [الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا]) . قال : الذين يتردّون
وياً كل غيرهم . قال أبو الحسن : كانت لى أبنه مجلس معى على المائدة فتبرز
كفاً كأنها طامة ، فى ذرايع كأنها ججارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة
إلا خصّنتى بها ، فزوّجتها ، وصار مجلس معى على المائدة ابن لى ، فيبرز لى
كفاً كأنها كرفانة^(٥) ، فى ذرايع كأنها كربة^(٦) ، فوالله إن^(٧) تسبق

(١) يقال : اختلف إلى الحلاء ، إذا أصابه إسهال فتردد إليه .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة تقصاً وقع من الناسخ .

(٣) فى (أ) « وقت » بالواو ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه « رقت » بالراء مع تشديد
الغاف . وفى (ب) « درت » بالذال المهملة والراء ؛ وهو تحريف أيضاً ، ولعل صوابه ما أثبتنا ،
كما يقتضيه سياق الكلام . (٤) فى (ب) فى قوله عز وجل .

(٥) السكرانة : أصول السكرب التى تنقى فى جذع النخلة بعد قطع السف .

(٦) السكربة بالتحريك : أصول السفى الفلاظ العراض التى تقطع منها .

(٧) إن تسبق ، أى ما تسبق ؛ فإن هنا نافية .

عني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها .

وقال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نذرتُ إذا بَلَغْتَنِي نَأَقِي أَنْ
أَنْحَرَهَا وَأَكُلَ مِنْ كَبِدِهَا . قال : « بئسما جازيتها » .

أضلَّ أعرابيٌ بغيراً له ، فطلبه ، فرأى على باب الأمير بُخْتِيًا ، فأخذه وقال :
هذا بغيري ، فقال : إنك أضللتَ بغيراً وهذا بُخْتِي . فقال : لِمَا أَكَلَ عِلْفَ
الأمير تَبَخَّتَ . فضحك منه وتركه [بعيدُ قوله ويُعْجِبُهُ] .

السِّدْنَةُ : غِلْظُ اللَّحْمِ وَتَرَاكُمُهُ ، ومنه قول هشامٍ لسالمٍ — وقد رآه
فأعجبهُ جسمهُ — : ما رأيتُ ذا كِدْنَةٍ أَحْسَنَ مِنْكَ ، فاطعماك ؟ قال : الخُبْزُ
وَالزُّيْتُ . قال : أما تَأْجِهْ ^(١) ؟ قال : إذا أَجِئْتُهُ نَزَكْتُهُ حَتَّى أَشْتَهِيَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ
وقد أصاب في جسمه بَرَصًا . فقال لِقَعْنِي ^(٢) الْأَحْوَلُ بَعِينُهُ ، فمَّا خَرَجَ هِشَامٌ مِنَ
المدينة حتى صلى عليه .

وقال عبد الأعلى القاص ^(٣) : الفقير مَرَقَتْهُ سِلْقَةٌ ، وَغِذَاؤُهُ ^(٤) عُلْقَةٌ ^(٥) ،
وَحُبْرَتُهُ فِلْقَةٌ ^(٥) ، وَتَمَكَّنَتْهُ شِلْقَةٌ ، أَيْ كَثِيرَةُ الشَّوْكِ ^(٦) .

قال رجاء بن سلمة : الْأَكْلُ فِي السُّوقِ سَحَاقَةٌ .

قيل لذؤيب بن عمرو : إِنَّكَ مُفْلِسٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى قُرْصٍ وَلَا جُمُجٍ ^(٧)

(١) أَجَمَ الطَّعَامُ : مَلَهُ .

(٢) لَقَعَهُ بَعِينُهُ ، أَيْ أَصَابَهُ بِهَا .

(٣) فِي ب « الْقَاضِي » بِالضَّادِ الْمِجْمَاةِ ؛ وَفِي (أ) الْعَاسُ بِالْعَيْنِ الْمِهْمَلَةِ .

(٤) فِي (أ) « وَرِذَاؤُهُ » ، وَفِي ب « وَغِذَاؤُهُ » وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) السِّلْقَةُ : مَا يَتْبَلَّغُ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ . وَالْفِلْقَةُ : الْقِطْعَةُ ، كَالْفَلْدَةِ .

(٦) فِي كَتَبَ الْقَتْلَ أَنَّ الشَّلْقَةَ شَيْءٌ عَلَى خَلْقَةِ السِّدِّ صَغِيرٌ لَهُ رِجْلَانِ عِنْدَ ذَنْبِهِ كَهَيْئَةِ

الضَّفْدَعِ ، وَيَكُونُ فِي أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ ، وَلَمْلَهُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَنَا بِأَبِي جَلْتَبُو .

(٧) الْجُمُجُ بضم الجيم وسكون الليم : مَا يَمْلَأُ جَمْعَ السِّكْفِ ، أَيْ قَبْضَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَنَحْوِهِ .

وقال مهلهل :

إنا لنضربُ بالسيوفِ رؤوسَهُمُ ضربَ القُدَّارِ نَقِيعَةَ القُدَّامِ
القُدَّارُ : الجزار والقُدَّارُ : الملكُ أيضاً . والقُدَّامُ : رؤساء الجيوش ، والواحد قادم .

وقال معن^(١) بن أوس يصف هدير قدير :

إذا التَّطَلَّتْ^(٢) أمواجها فكأنها عواندُ دُهمٍ في المَحَلَّةِ قُيْلُ
إذا ما أتهَّجها الرُّمْلونُ^(٣) رأيتها لَوْشَكٍ قَرَّاهَا وهي بالجزلِ تُشَمَلُ
سمعتُ لها لَفْطاً^(٤) إذا ما تَنَطَّطَتْ كهذرِ الجمالِ رُزْماً حينَ تَجفَلُ

وقال آخر :

إذا كان فَضْدُ العِرْقِ والعِرْقُ ناضِبٌ وكَشَطُ سَنَامِ الحَيِّ عَيْشاً^(٥) وَمَقْماً

(١) كذا في (ب) ، والذى في (١) « بكر » . وقد ورد هذا الشعر في ديوان معن بن أوس المطبوع في ليزج سنة ١٩٠٣ من قصيدة يمدح بها سعيد بن العاص ؛ وأولها :

إليك سعيد الخير جابت مطبق فروج القيانى وهى عوجاء عييل

(٢) يريد بالتطام الأمواج هنا اضطراب ما فى القدر عند غليانها . ويريد بقوله « عواند دهم » خيلاً سوداً حديثاً التناج . شبه القدر بثلث الحيل التى معها أولادها . وقيل : من القائلة . ويروى « عواتب » مكان قوله « عواند » ، وهى التى تسمى على ثلاث قوائم وعقرت رابعتها . شبه القدر بها ، لأنها توضع على أثنائ ثلاث .

(٣) الرملون : الذين تهدت أزوادهم . والجزل : الحطب الفليظ . والذى فى كلنا النسختين : « إذا ما استطاعها الموتدون » ؟ وهو تحريف .

(٤) اللفظ (يفتح أوله وتسكين ثانيه) : اللفظ بفتحهما معا ، وهو نقيض القدر . وفى كلنا النسختين : « لفظاً » ؟ وهو تحريف . والتصويب والتفسير عن ديوان معن بن أوس المطبوع فى ليزج . وتطلمت ، أى صوتت فى غليانها . والرزم من الإبل : التى تخرج أصواتها من حلقها لا تفتح بها أفواهها ، كما ورد ذلك فى التفسير للكتوب على هذا البيت فى شعر معن بن أوس . وفى كلنا النسختين : « تحفل » بالهاء المهملة مكان « تحفل » بالميم ؟ وهو تصحيف .

(٥) فى رواية : « زادا ومطعما » . وكانت العرب فى الجذب تشق أسنة الإبل وهى حية وتأخذ ما فيها من اللحم وتأكله .

ولا حَفَّالَةً^(١)، وَبَيْتِكَ عَامِرٌ^(٢) بالفار .

قال علي بن عيسى : الطلاق الثلاث البتة إن كان يَمْتَعُهُمْ^(٣) مِنَ التَّحْوِيلِ عنه إلا أنهم يَسْرِقُونَ أطعمة الناس يأكلونها في بيته لِأَمْنِهِمْ فِيهِ ، لأنه لَا مَرَّةً هُنَاكَ وَلَا أَحَدٌ يَأْخُذُ شَيْئًا وَلَا يُؤْذُونَ ، وَإِنْ لَمْ لِمَسَقَّةً مَمْلُوءَةً مَاءً كُلَّ جَفَّتْ سَكِبَ لَمْ فِيهَا مَاءٌ .

جَمَلَ الْخَبَرِ عَنِ الْفَارِ عَلَى التَّلَحُّحِ ، كَالْخَبَرِ عَنْ قَوْمٍ عُقْلَاءَ .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَكْرِمُوا الْخُبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ وَسَخَّرَ لَهُ بَرَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .
وقال آخر :

كَأَنَّ صَوْتَ سَخِيحِهَا^(٤) الْمُنْتَبَحِ سَعَالُ شَيْخٍ مِنْ بَنِي الْجَلَّاحِ
يقول من بعد السَّعَالِ أَحـ

قال الأصمعي : الرَّجِيمُ : الشَّوَاءُ يُسَخَّنُ ثَانِيَةً . وَالنَّقِيمَةُ مَا يُحْرَزُهُ رَئِيسُ الْقَوْمِ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تُقَسَّمُ وَالْجَمْعُ نَقَائِعُ . وقال : أَنَشِدُنِي عَيْسَى بْنُ عَمْرِو لِمَاوِيَةَ بْنِ صَعَصَعَةَ :

مِثْلُ الذَّرَى لُحِبْتُ عَرَائِكُهَا^(٥) لَحَبَ الشَّفَارِ^(٦) نَقَائِعَ النَّهْبِ

(١) الحفالة : الحنالة ، أو عكر الدهن ؟ أو مارق من رغبة الابن ؟ كل من هذه للماني الثلاثة تصح إرادته هنا . وفي (١) « ولا صقالة » ؟ وهو تحريف .
(٢) سيأتي ما يفيد تعليل كون بيته عامرا بالفار مع خلوه من الطعام .
(٣) يمتعهم ، الضمير يعود على الفترة .

(٤) سخيحا ، أي سحب البكرة التي يستقي بها من البئر . وفي (ب) « شخنها » ، وهو تصحيف . « والمنتاح » من امتاح الماء إذا أخرجه من البئر .
(٥) لحبت مرأثكها ، أي أهزلت أسنمتها ، جمع مريكة .

(٦) لحب الشفار الخ : اللحب في هذا القطر بمعنى القطع ، أي كما تقطع الشفار ، أي « السكاكين » — لحم النياق العظيمة ، أو لحمه الشفار بالسين المهملة مكان السين ، أي كما يهزل السفر تلك النياق بمشقة فيذهب بما فيها من لحم وشحم .

وكان عتيق^(١) القد خير شوائهم وصار غبوق الخود ماء محمما
عقرت لهم دهنًا مقاحيد^(٢) حيلة وعادت بقايا البرك نهبا مقسا
قال^(٣) : وإذا كان القحط فصدوا الإبل وعالجوا ذلك الدم بشيء من
العلاج لما كما يصنع الترك ، فإنها تجعله في المصران ، ثم تشويه أو تطبخه ،
فيؤكل كما تؤكل التفانيق^(٤) وما أشبه ذلك .

وأما قوله : « والميرقي ناضب » فإنما يعنى قلة الدم لهزال البعير ، وكذلك
جميع الحيوان ، وأكثر ما يكون دما إذا كان بين المهرؤل والسمين .
وقالت أم هشام السلولية : ما ذكر الناس مذكورا خيرا من الإبل
وأجدي^(٥) على أحد بخير ؛ هكذا روى .

وقال الأندلسي : إن حملت أثقلت ، وإن يمشت أبعدت ، وإن حلبت
أروت ، وإن نحررت أشبعت .

قال أبو الحسن الهيثمي ، عن عبد العزيز بن يسار قال : قدمت بأجمري^(٦)
مخمس سفائف^(٧) دقيق ، وذلك في زمن مصعب وهو معسكر بها فلقيني

(١) عتيق القد ، أى القديم من الجلد ، وكانت العرب تفتويه وتأكله إذا أجبت .
ويغير بالشطر الثاني إلى قلة اللبن حتى إن الخود (وهن الشواب الحسان الناضبات) لا يجدن
اللبن يشتقن به أى يضررنه في المساء ، فهن يعبرن الماء الحار المسخن . يقال : حسم الماء إذا
سخنه . وفي الأصل « الجود » بالجيم مكان « الخود » بالحاء ؛ وهو تصحيف .

(٢) المقاحيد من النياق : العظيمة الأستمة . والجلية : العظيمة منها . والبرك : الإبل الباركة .
(٣) قال ، أى من روى عنه المؤلف ؛ وأمله الأصمى ؛ إذ هو أقرب مذكور .
(٤) لم نجد هذا النوع من الطعام فيما راجعناه من الكتب . (هـ) في (أ) التي ورد
فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) : واجاءه ؛ وهو تحريف ؛ ولعل سواه ما أثبتنا .

(٦) بأجمري : موضع دون تكريت من أرض الموصل كان يسكر فيه مصعب
ابن الزبير . والقي في (أ) الوارد فيها هذه القصة وحدها دون (ب) بأحرز وهو تحريف
سواه ما أثبتنا نقلا عن كتب التاريخ ومعجم البلدان لياقوت . (٧) السفائف : جمع
سفيقة ؛ وهي النسيجة من الخوص نحو الزنبيل . وفي الأصل « سقائى » ؛ وهو تصحيف .

عِكْرَمَةُ بْنُ رَبِيعٍ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : بَكِمُ أَخَذْتَهَا ؟ قُلْتُ بِتَسْمِينَ أَلْفَا . قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيكَ مِائَةَ وَخَمْسِينَ أَلْفَا عَلَى أَنْ تُؤَخِّرَنِي . فَدَفَعْتُهُنَّ إِلَيْهِ ، وَمَا فِي الْمُسْكَرِ يَوْمُئِذٍ دَقِيقٌ . قَالَ : فَجَاءَ بَنُو تَيْمٍ اللَّهُ فَأَخَذُوا ذَلِكَ الدَّقِيقَ ، فَجَلَّ كُلُّ قَوْمٍ يَتَجَبَّنُونَ عَلَى حِيَالِهِمْ ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَهْوَةٍ ^(١) مِنَ الْأَرْضِ فَخَفَرُوهَا ، ثُمَّ جَعَلُوا فِيهَا الْحَشِيشَ ، ثُمَّ طَرَحُوا ذَلِكَ الْمَجِينَ فِيهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا فَأَخَذُوا فَرَسًا وَدِيقًا ^(٢) . . . فَخَلَوْا عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا وَهُوَ ^(٣) يَنْبِيهِمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْحَفِيرَةِ ، فَدَفَعُوا الْفَرَسَ الْوَدِيقَ فِيهَا ، وَتَبِعَهُمَا الْفَرَسُ ، وَتَنَادَى الْفَرِيقَانِ : إِنَّ فَرَسَ حَوْشِبٍ وَقَعَ فِي حَفِيرَةِ عِكْرَمَةَ فَمَا أَخْرَجُوهُ إِلَّا بِالْقَمَدِ . قَالَ : فَغَلَبَهُ عِكْرَمَةُ .

قال شاعر :

لَا أَشْتُمُ الضَّئِيفَ إِلَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ : أَبَاتَكَ ^(٤) اللَّهُ فِي آيَاتِ عَمَّارٍ
أَبَاتَكَ ^(٥) اللَّهُ فِي آيَاتِ مُعْتَمِرٍ ^(٦) عَنْ الْمَكَارِمِ لَا عَفْوَ وَلَا قَارِي
جَلَدِ النَّدَى زَاهِدٍ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ ^(٧) كَأَنَّمَا ^(٨) ضَيْفُهُ فِي مَلَّةِ النَّارِ

(١) الرهوة : المكان المنخفض من الأرض .

(٢) الوديق : من الوداق بكسر الواو ، وهو شهوة الفحل .

(٣) يظهر لنا أن موضع هذه النقط كلام ساقط من الأصل يفيد أنهم أقبلوا إلى فرس آخر ذكر لرجل منهم يسمى حوشبا ، فخلوا عنه الخ ما هنا ، وذلك أخذنا من قوله فيما يأتي بعد : فدفعوا الفرس الوديق فيها وتبعها الفرس الخ القصة .

(٤) وهو ، أي فرس آخر ذكر ، ولم يذكر في الكلام ؛ فدلل فيه تقصا كما نبهنا على ذلك في الحاشية التي قبل هذه .

(٥) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) : « أباتك » في كلا الموضعين وسياق الشعر يقتضي ما أثبتنا نقلا عن كتب اللغة .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « معتمر » ، ولم تنبئ له معنى يناسب السياق . والصواب ما أثبتنا . والمعتز : المتعشى بعيداً .

(٧) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « كأنهم ضيفه » ؛ وهو تحريف . وسياق الشعر يقتضي ما أثبتنا . وملة النار : موضعها .

وقال آخر :

وهو إذا قيل له : وَبِهَا كُلُّ فَإِنَّهُ مُوَاشِيكَ مُسْتَعِجِلٌ

وهو إذا قيل له : وَبِهَا^(١) قُلْ فَإِنَّهُ أَخْسَجُ بِهِ أَنْ يَنْفَكُلْ

[قيل لَصُوفِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : لا حدَّ له ، ولو أراد الله أن يؤكل
بحدٍّ لَبَيِّنَ كما بَيَّنَّ جميعَ الحدود . وكيف يكون للأكل حدٌّ ، والأَكَلَةُ
تَحْتَلِفُ الطَّبَائِعُ والمزاج والعارض والمادة ، وحكمة الله ظاهرة في إخفاء حدِّ الشَّبَعِ
حتى يأكل مَنْ شاء على ما شاء كما شاء] .

وقيل لَصُوفِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : ما نَشَطَ على أداء الفرائض ، وَتَبَطَّ
عن إقامة النوافل .

وقيل لِمُتَكَلِّمٍ : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : حدُّه أن يَجْلِبَ النوم ، وَيُضْجِرَ
القَوْمُ ، وَيَبْعَثَ عَلَى اللُّؤْمِ .

وقيل لِمُطَنِّبِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أن يُؤْكَلَ على أنه آخِرُ الزَّادِ ،
وَيُؤْتَى عَلَى الْجِلِّ وَالذَّقِّ .

وقيل لأعرابي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : إنا عندكم يا حاضرة فلا أدرى ؛ وأما
عندنا في البادية فما وَجَدَتِ العَيْنُ ، وامتدَّتْ إليه اليدُ ، وذَارَ عليه الضَّرْسُ
وَأَسَاغَهُ الخَلْقُ ، وَاثْتَفَحَ به البطنُ ، واستدارت عليه الحَوَايا ، واستغاثت منه
المَعِدَّةُ ، وتقوَّست منه الأضلاعُ ، وألتوتْ عليه المصارينُ ، وخيف منه الموتُ .
وقيل لطبيب : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما عدَّلَ الطبيعةُ ، وحَفِظَ المِزَاجَ
وَأَبْقَى شَهْوَةً لما بَعُدَ .

(١) « وبها قل » ، بالفاء ، أى إذا نودى باسمه لفظاً ثم الأموز فقيل : يا فلان ، نكل
عن النداء وتكتب . وفي الأصل : « قل » ، بالقاف ... وينكل . وهو تصحيف في كلتا
الكلمتين . والتصويب عن اللسان . وبها : كلمة حض واستحاث .

وقيل لقصار : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ تَثِيبَ إِلَى الْجَفَنَةِ كَأَنَّكَ مِرْحَانٌ
وَتَأْكُلُ وَأَنْتَ غَضْبَانٌ ، وَتَمْنَعُ كَأَنَّكَ شَيْطَانٌ ، وَتَبْلَعُ كَأَنَّكَ هَيْمَانٌ ، وَتَدَعُ
وَأَنْتَ سَكْرَانٌ ، وَتَسْتَلْقِي كَأَنَّكَ أَوَانٌ^(١) .

وقيل لحمال : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ تَأْكُلَ مَا رَأَيْتَ بَعْشَرَ يَدِيكَ
غَيْرَ عَائِفٍ وَلَا مُتَعَزِّزٍ ، وَلَا كَارِهِ وَلَا مُتَعَزِّزٍ .

وقيل لملاح : ما حدُّ الشَّبَعِ^(٢) ؟ قال : حدُّ الشُّكْرِ . قيل^(٣) : فما حدُّ
الشُّكْرِ ؟ قال : أَلَّا تَعْرِفَ السَّمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا الطُّولَ مِنَ الْقَرَضِ ،
وَلَا النَّافِلَةَ مِنَ الْقَرَضِ ، مِنْ شِدَّةِ النَّهْسِ وَالْكَسْرِ وَالْقَطْعِ وَالْقَرَضِ . قيل له
فإنَّ السكرَ محرَّمٌ ، فلمْ جعلتَ الشَّبَعِ مثله ؟ قال : صدَّقْتُمْ ، هَا سُكْرَانٌ : أَحَدُ
الشُّكْرَيْنِ موصوفٌ بالغَيْبِ وَالْخُسَارِ ، وَالْآخَرُ معروفٌ بالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ .
قيل [له] : أَمَا تخافُ الْهَيْضَةَ ؟ قال : إِنَّمَا تُصِيبُ الْهَيْضَةُ مَنْ لَا يَسْتَعِي اللَّهَ عِنْدَ
أَكْلِهِ ، وَلَا بِشُكْرِهِ عَلَى النِّعْمَةِ فِيهِ . فَأَمَّا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ فَإِنَّهُ يَهْفِئُ
وَيَسْتَمِرُّ وَيَقْرُمُ إِلَى الزُّيَادَةِ .

وقيل لبخيل : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : الشَّبَعُ حَرَامٌ كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا أَسَلَّ اللَّهُ
مِنَ الْأَكْلِ مَا نَتَقَى الْخَوَى ، وَسَكَنَ الصُّدَاعَ ، وَأَمْسَكَ الرِّمَقَ ، وَحَالَ بَيْنَ
الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْمَرْحِ ، وَهَلَكَ النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِلَّا بِالشَّبَعِ وَالتَّضَلُّعِ
وَالْبِطْنَةِ وَالْأَحْتِشَاءِ ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ إِمَامٌ لَوَكَّلَ بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ مَنْ
يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ عَادَةَ الصَّحَةِ ، وَحَالَةَ الْعَدَالَةِ ، حَتَّى يَزُولَ اتِّعَادِي ، وَيَفْشُو الْخَبَرُ .

(١) الأوان : المعدل (بكسر الدين) ، كالأون (يسكون الواو) .

(٢) في (ب) : « الأكل » . مكان « الشبع » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) كذا في (ب) وهو ألسب . والذى في (أ) : « قال » .

وقيل لجُنْدِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما شدَّ العضدَ ، وأُحْمَى الظهر ، وأدَّرَ
الوَرِيدَ ، وزادَ في الشَّجَاعَةِ .

وقيل لزاهد : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما لم يَعْلَمْ بَيْنَكَ وبين صومِ التَّهَارِ
وفِيَامِ اللَّيْلِ . وإذا شكَا إليك جَانِعٌ عَرَفْتَ صِدْقَهُ لإِحْسَانِكَ بِهِ .
وقيل لمدنيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ فقال : لا عهد لي به ، فكيف أصِفُ
ما لا أعرف ؟

وقيل لبيِّنِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أن يُخْشَى حتى يُخْشَى .
وقيل لتركِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أن تأكلَ حتى تَدْنُوَ من الموتِ .
وقيل لِسِتْمُوْبِهِ^(١) القاصِّ : مَنْ أَفْضَلُ الشَّهَدَاءِ ؟ قال : من ماتَ بِالنَّخْمَةِ ،
وَدُفِنَ عَلَى الْهَيْضَةِ .

قيل لِسَمَرْقَنْدِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : إذا جَعَفَتِ عَيْنَاكَ ، وَبَكِمَ
لِسَانُكَ ، وَقَلَّتْ حَرَكَتُكَ ، وَأَرْجَحَنَ^(٢) بَدَنُكَ ، وَزَالَ عَقْلُكَ ، فَأَنْتَ
فِي أَوَائِلِ الشَّبْعِ . قيل له : إذا كانَ هذا أَوَّلُهُ ، فما آخِرُهُ ؟ قال : أنْ
تَنْشَقَّ نِصْفَيْنِ .

قيل لمَدَنِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : المسئلة عن هذا كائمهال ، لأنَّ الشَّبْعَ
من الأَرَزِّ النَّقِيِّ الأَبْيَضِ ، الكِبَارِ الحَبِّ ، المطبُوخِ بِاللَّبَنِ الحَلِيبِ ، المَفْرُوفِ
على الجَامِ البَوَّارِ ، المَدُوفِ^(٣) بالشَّكْرِ القَانِقِ ، مَخَالَفَ لَشَّبْعِ مِنَ السَّمَكِ
المَمْلُوحِ وَخَبْزِ الذَّرَّةِ ، وعلى هذا يَخْتَلِفُ الأَمْرُ فِي الشَّبْعِ . ففَقِيلَ لَهُ : فَدَعْ

(١) كذا ورد هذا الاسم في الأصول ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من الكتب .

(٢) المدوف : المخلوط . وفي كلتا النسختين : « المدفون » ؛ وهو تحريف .

هذا ، إلى متى يَنْبَغِي أن يأكلَ الإنسان ؟ قال : إلى أن يقع له أنه إن أراد لُقْمَةً زَهَقَتْ نَفْسُهُ إلى القار .

قيل لمكارٍ : ما حَدَّثَ الشَّبَّعُ ؟ قال : والله ما أذري ، ولكن أحبُّ أن آكلَ ما مَشَى حِمَارِي مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَى الْمَنْزِلِ .

قيل لجمال : ما حَدَّثَ الشَّبَّعُ ؟ قال : أنا أُوَاصِلُ الْأَكْلَ فَمَا أَعْرِفُ الْحَدَّ ، ولو كنتُ أَتَمَى لَوَصَفْتُ الْحَالَ فِيهِ ، أعنى أُنِي سَاعَةً أَلْتُ^(١) الدَّقِيقَ ، [وسَاعَةً أَمَلْتُ التَّلَّةَ ، وسَاعَةً أَفْرُدُ ، وسَاعَةً آكُلُ] وسَاعَةً أَتَرْبِي لَبَنَ اللَّقَاحِ ؛ فليس لي فَرَاغٌ فَأَدْرِي أُنِي بَلَّغْتُ مِنَ الشَّبَّعِ ، إِلَّا أَنَّنِي أَعْلَمُ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ الْجُوعَ عَذَابٌ وَأَنَّ الْأَكْلَ رَحْمَةٌ ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ ، كَانَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ ، وَاللَّهُ عَنْهُ^(٢) أَرْضَى .

قال الوزير : لَمَّا بَغَتْ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنَ الْجُرْمِ — وَكَنتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ — : مَا أَحْسَنَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ! هَلْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ قُلْتُ : بَقِيَ مِنْهَا جُزْءٌ آخَرٌ^(٣) . قال : دَفَعَهُ لِلَيْلَةِ أُخْرَى وَهَاتِ مُلْحَعَةَ الْوَدَاعِ . قُلْتُ : قِيلَ لَصُوفِي فِي جَامِعِ الْمَدِينَةِ : مَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : مَائِدَةُ رَوْحَاءَ^(٤) عَلَيْهَا جَفْنَةٌ رَحَاءَ^(٥) ، فِيهَا ثَرِيدَةٌ صَفْرَاءُ ، وَقِدْرٌ حُمْرَاءُ بِيضَاءُ .

قال^(٥) : أَبَيْتَ^(٦) الْآنَ [أَلَا] تَوَدَّعَ [إِلَّا] بِمِثْلِ مَا تَقْدِّمُ ؟ وَانصَرَفْتُ .

(١) في (ب) : « أَمْجَن » .

(٢) في (ب) : « عَنْ الْعَبْدِ » .

(٣) في (ب) : « وَاحِدٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « آخِرٌ » .

(٤) يقال : جَفَنَ رَوْحَاءَ ، إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً مَرِيضَةً ؛ وَالرَّحَاءُ كَذَلِكَ .

(٥) قال ، أَيِ الْوَزِيرِ .

(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ تَعَذُّرَ قِرَاءَتِهَا ، وَالسِّيَاقُ

يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ .

الليلة الثانية والثلاثون

(١) ثم حضرتُ قَرَأْتُ مَا بَقِيَ مِنْ هَذَا الْقِنِّ .

قال رجلٌ مِنْ فِزَارَةَ^(١) :

تَنْبِجُ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا تَهْرِجُ وَتَقْمَطُ^(٢) سَاعَةً وَتَقْدَحِرُ
تَعْدُو عَلَى الضَّيْفِ^(٣) بَعْدَ مُنْكَسِرِ بِسَقَطِ غِنَا نَوْبِهَا وَتَأْتِرُ
لَوْ نُعِرَتْ فِي يَتِيهَا عَشْرُ جُرُزٍ لِأَصْبَحَتْ مِنْ لَحْمِينَ تَفْقَدِرُ
بِحَلَفِ سَحَرٍ^(٤) وَدَمْعِ مُنْهَمِرٍ يَفِرُّ مَنْ قَاتَلَهَا^(٥) وَلَا تَفِرُ
الْمُقْدَحِرُ : الْمُنْهَمِرُ السَّيَابُ .

وقال أبو دلامة الأَسَدِيُّ^(٦) :

(١) ورد بعض هذا الرجز في المحاسن والأضداد ومجموعة المعاني ولسان العرب . وبعض ما ورد في هذه الكتب لم يرد هنا ، كما أن بعض ما ورد هنا لم يرد هناك ، وهذا ما ورد في اللسان ، وهو ما لم يذكر هنا :

أم حوار سننوها غير أسد صهلقي الصوت بعينها الصبر
سائلة أصداعها لا تختمر الخ .

(٢) في كلتا النسختين : « وتقطر » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في اللسان : « على الدثب » .

(٤) سج ، أى كثير متتابع ، كما في كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت المحفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤١ لغة . وفي مجموعة المعاني وكتاب المحاسن والأضداد : « سبيح » ، وهو يستقيم على الإضافة لا على الوصف . والقى في الأصل : « سبيح » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « نفر » بالناء ... « ولا نفر » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين .

(٦) في (١) الوارد فيها هذا الكلام وحدها : « الأساى » ؛ ولم نجد هذه النسبة لأبي دلامة فيها راجعاً من الكتب . والقى وجدناه أن أبا دلامة كان مولى لبني أسد ، فلعل الصواب ما أثبتنا .

قَدْ يُشْبِعُ الضِّيفَ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنْ الْهَبِيدِ وَالْحِرَادُ تَسَعُ^(١)
ثم يقول أرضوا بهذا أو دعوها

وقال آخر:

حَتَّى إِذَا أَضْحَى تَدْرَى^(٢) وَاسْتَحَلَّ لَجَارَتَيْهِ ثُمَّ وَلَّى فَفَتَحَ
دَرَقَ الْأَنْوَقَيْنِ^(٣) الْقَرْنَيْنِ وَالْجُمْلَ

وقال آخر:

[إِذَا^(٤) أَتَوْهُ بِطَعامٍ وَأَكَلَ] بَاتَ يُعَشَّى وَحَدَهُ الْفَنَى جُمْلَ

وقال أبو النجم:

[تَذُنِّي مِنَ الْجَدُولِ^(٥) مِنْ الْجَدُولِ] أَجُوفَ فِي غَلَصَمَةٍ^(٦) كَالْمِرْجَلِ

(١) الهبيد: حب الحنظل. والحراد: ذكرور الضباب، الواحد حردون بالذال المهملة أو القادال المجمة. وتسع، أى تنسع لأكله ميماء كثر.

(٢) كذا ورد هذا الشعر في كتاب الحيوان للجاحظ، وتدرى، أى تعطف. والدرى واللدراة: الشط. والقى في (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدها: «لجاذبته» مكان قوله: «لجارتيه»؛ وهو تحريف. وتل، أى راث.

(٣) الأنوق: لفظ يطلق على كل ما يأكل المنفرة من الرخم وغيرها، قاله الجاحظ في كتاب الحيوان وذكر هذا الشعر شاهدا على ذلك. والقرني: دوية كالخنفساء وأعظم منها ييسر طويلة القوائم. وقد فسر القنويون الأنوق أيضا بأنه الطير الذى يبيض في الهواء ولا يستقيم معناه هنا.

(٤) هذا الشعر ساقط من الأصل، وقد أميّنناه عن الحيوان للجاحظ لتمام المعنى به. ويشير بقوله: «بات يعشى» الخ إلى أنه كثير البراز، فيقول: إنه إذا أكل تعشى مما يخرج منه ألفا جمل، لأن الجمل تفتت بالبراز. قاله الجاحظ.

(٥) هذا الشعر ساقط من الأصل؛ ولا يتم المعنى بدونه. ويشير إلى سمة فيها، فيشبهه بالجدول الذى يشرب منه.

(٦) الغلصمة: متصل الملقوم بالخلق. وقيل هى اللحم الذى بين الرأس والعنق.

تَسْمَعُ الْمَاءَ كَصَوْتِ الْمِسْجَلِ^(١) بَيْنَ وَرِيدَيْهَا^(٢) وَبَيْنَ الْجَحْفَلِ
يُلْقِيهِ^(٣) مِنْ طَرَفِي أَيْتَاهَا مِنْ عِلٍّ قَذَفُهَا جَوْفٍ وَشِدْقٍ أَهْدَلِ^(٤)
كَأَنَّ صَوْتَ جَرِّهَا الْمُسْتَمْعِلِ جَنْدَلَةٌ دَهْدَهْنَاهَا^(٥) فِي جَنْدَلِ
وقال آخر :

يَقُولُ لِلطَّامِي الْمُطَرَّى^(٦) فِي الْعَمَلِ ضَهَبَ^(٧) لَنَا إِنْ الشَّوَاءَ لَا يُمَلِّ
بِالشَّخْمِ إِمَّا قَدْ أَجْنَاهُ^(٨) يَخَلُّ عَجَلٌ لَنَا مِنْ ذَا وَالْحَقُّ بِالْبَدَلِ
وَأُنْشِدُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفِ وَالرَّفِيقِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ وَالصَّدِيقِ
وَالْعِيَالِ الدَّرْدَقِ^(٩) اللَّصُوقِ حَرَاءَ مِنْ مَغْزِ أَبِي سَمْرُوقِ
تَلَحُّسُ خَدَّ الْحَالِبِ الرَّفِيقِ بَلَّيْنِ الْمَسِّ قَلِيلِ الرَّيْقِ

(١) الضمير في « تسمع » للمخاطب . والمسجل : المبرد .

(٢) كذا في أرجوزة أبي النجم اللشورية في مجلة الجمع العلمي العربي . والقى في الأصل : « مديها » ؛ وهو تحريف . ويريد بالجحفل : شفتها .

(٣) في الأصل : « يكفيه » ؛ وهو تحريف سواء ما أثبتنا تقلا عن أرجوزة أبي النجم اللشورية في مجلة الجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ م . ويلقيه ، أى يلقى الماء ، وقاعله قوله بعد : « قذف » .

(٤) الأهدل : المسترني .

(٥) دهدهتها ، أى دحرجتها .

(٦) المطرى : الطامى الذى يخلط الطعام بالأفاويه . وطرى الطعام : إذا خلطه بالتوابل .

(٧) ضهب ، أى اشو شيئا غير كامل النضج ، يريد الاستمجال . والتضبيب أيضا : شئ الأعم على المجارة المهمة .

(٨) أجناه ، أى ملناه .

(٩) الدردق : الصبيان الصغار . والقى في الأصل : « الزردق » ؛ وهو تحريف .

كَأَنَّ صَوْتَ شُعْبِهَا الْفَتِيقِ فَحَبِيبٌ^(١) ضَبَّ حَرِبٍ حَنِيقِ
فِي جُحْرِ صَاقٍ أَشَدَّ الضِّيقِ

وأنشد أيضاً :

هَلْ لَكَ فِي مِقْرَةٍ قَلِيلٍ نِي^(٢) وَشَكْوَةٍ بَارِدَةٍ النَّيْسِ^(٣)
تُخْرِجُ^(٤) لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيِّ حَتَّى تَرَاهُ نَاهِيَدَ الثَّدْيِ

وأنشد ابن حبيب :

نَيْمَ لُقُوحٍ^(٥) الصَّبِيَّةِ الْأَصَاغِرِ شَرُّوهُمْ مِنْ حَلَبٍ وَحَازِرٍ^(٦)
حَتَّى بَرُّوْهُمَا سَقَطَ الْمَآزِرِ وَضَعُ الْفِقَاحِ^(٧) نَشَزَ الْغَوَاصِرِ

وأنشد الأمدى :

كَأَنَّ فِيهِ حِرَابًا شُرْعًا زُرْقًا تَقْضُ^(٨) الْبَدَنَ الْمُدْرَعًا
لَوْعَضَ رُكْنًا وَصَفًا تَصَدَّعًا

(١) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « بمنح » ؛ وهو تحريف ، سوابه ما أنبتنا نقلا عن كتب اللغة . والفحيح : صوت الضب .

(٢) المقرة : الإناء الذي يُقَرَّى فيه . والقيل : اللبن الذي يشرب نصف النهار وقت القائلة . وقد ورد هذا الشطر في الأصل هكذا : « هل لك في المعرى بقيل نى » ؛ ولا يخفى ما فيه من تصحيف .

(٣) الشكوة : وعاء من آدم يتخذ اللبن والماء . والنسي : اللبن الحليب يصب عليه الماء .

(٤) « تخرج لحم الرجل الضوى » ، أى تسمن المهزول الضامر .

(٥) اللقوح : الناقة الحلوب .

(٦) الحازر : اللبن الحامض .

(٧) الوضع : جمع أوضع وهو قليل لحم الوركين والإليتين ، والأوضع والأرسح واحد .

(٨) تقض : تكسر .

وقال محمد بن بشر :

لَقَلَّ عَارًا^(١) إِذَا ضَيْفٌ تَضَيَّفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي
فَضْلُ الْمَقِلِّ إِذَا أُعْطِيَ مُصْطَبِرًا وَمُكْتَرٍ فِي الْغَنَى سَيِّانٍ فِي الْجُودِ
لَا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْذَلُهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِي
قال الأعرابي : نعم الغداء السويق ، إن أكلته على الجوع عَصَمَ ، وإن
أكلته على الشبع هَضَمَ .

وقال اللوامي^(٢) — وكان زوّاراً لآخوانه في منازلهم — : المَبُوسُ بُوسٌ ،
والبَشْرُ بُشْرَى ، والحاجة تَفْتَقُ الحيلة ، والحيلة تَشْتَدُّ الطبيعة .

ورأيت الحبيلوني^(٣) يُنشد [ابن آدم — وكان مُوسِرًا بخيلا] — :
وما لِأَمْرِي طَوْلُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا يُعَلِّدُهُ حُسْنُ التَّنَافُ قِيَحُلُهُ
فَلَا تَدَخِرْ زَادًا فَتُضْمِحَ مُنْجَاً إِلَيْهِ وَكُلُّهُ الْيَوْمَ يُخْلِفُهُ الْغَدُ
وحكى لنا ابن أسادة قال : كان عندنا — يعني بأصفهان — رَجُلٌ
أَعْمَى يَطُوفُ وَيَسْأَلُ ، فَأَعْطَاهُ مَرَّةً إِنْسَانٌ رَغِيئًا ، فَدَعَا لَهُ وَقَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَزَاكَ خَيْرًا ، وَرَدَّ غُرْبَتَكَ . فقال له الرجل : ولم
ذَكَرْتَ الْغُرْبَةَ [في دُعَاؤِكَ ، وَمَا عَلِمْتُكَ بِالْغُرْبَةِ ؟] قَالَ : الْآنَ لِي هَاهُنَا
عَشْرُونَ سَنَةً مَا نَاوَأَنِي أَحَدٌ رَغِيئًا صَحِيحًا .

(١) كذا في ديوان الحماسة . واقتى في (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدهما : « لقد
غلوا » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ولا الوزن .

(٢) في (١) العراق ، ولم تقف على العراق هذا الموصوف بما ذكر . واقتى أثبتناه من
(ب) ؛ وإن كُتِبَ لم نجد هذه النسبة فيها راجعنا من كتب الأنساب ومجبات الأعلام ، إلا أنه
ورد ذكره كثيرا فيما ساق .

(٣) كذا في (ب) . واقتى في (١) : « الحبيلوي » ؛ ولم نجد هاتين النسبتين فيما
راجعنا من كتب الأنساب ومجبات الأعلام التي بين أيدينا .

وقال آخر :

بُرِّى جَارُهُمْ فِيهِمْ نَحِيفًا وَضَيْفُهُمْ يَجُوعُ وَقَدْ بَاتُوا مِلَاءَ الْمَذَاخِرِ^(١)

وقال السكرانسي :

وَلَا بَسْتَوَى الْأَثْنَانِ^(٢) لِّلضَّيْفِ : آئِسٌ كَرِيمٌ ، وَزَاوٍ بَيْنَ حَقِيقَتِهِ قَاطِبُ

وَأَنشُد :

طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضَى فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَقَادِيَا^(٣)

وَأَنشُد آخر :

يُمَانٌ وَلَا يَمُونُ وَكَانَ شَيْخًا شَدِيدَ الْقَمِّ هِلْقَامًا بَطِينًا^(٤)

العرب تقول : إِذَا شَبِعَتِ الدَّقِيقَةُ^(٥) لَحَسَتِ الْجَلِيلَةُ .

قال ابن سَلَام : كَانَ يُخْبَزُ فِي مَطْبَخِ سُلَيْمَانَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتِّانَةٌ كُرَّةً^(٦) حِنْطَةً ، وَيُذْبَحُ لَهُ فِي كُلِّ غَدَاةٍ سِتَّةُ آلَافِ تَوْرٍ وَعِشْرُونَ شَاةً ، وَكَانَ يُطْعَمُ النَّاسَ وَيُجْلِسُ عَلَى مَائِدَتِهِ بِجَانِبِهِ^(٧) الْيَتَامَى وَاللِّسَاكِينَ وَأَبْنَاءَ

(١) المذاخر : الأجواف .

(٢) في الأصل : « الإثاء » مكان قوله : « الاثنان » ؛ وهو تحريف .

(٣) فوزى فضى ، أى أنهم مشتركون في طعامهم لا يختص به واحد دون رفاقه . ويريد بالشرط الثانى أنهم ليس لأحد سرٌّ دون أصحابه . وفي الأصل موسى فضى مكان فوزى فضى ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن اللسان .

(٤) الهلقام : عظيم القمم . والبطين : عظيم البطن .

(٥) يريدون بالدقيقة : النعم . وبالجليلة : الإبل . وهذا مثل يقال إذا قل المشب . وذلك لأن الشاة إذا قدرت على أكل العشب القصير القليل وشبت منه فإن الناقة لا تقدر على أكله لقصره وقلة فتلحسه . يضرب للفقر يخدم الغنى . وعبارة الأصل : « إذا شمت لحست الحلية » ؛ وفيه تقص وتخریف ظاهران ؛ والتصويب عن البيان والتبيين وغيره .

(٦) السكر : ستون قفيزا ، وهو ستة أوقار حار ، وقيل : أربون أردبا .

(٧) في الأصل « بحاجته » ؛ وهو تحريف .

السَّيْلُ ، ويقول لِنَفْسِهِ : مِسْكِينٌ بَيْنَ مَسَاكِينٍ .

ولما وَرَدَ نِهَامَةٌ وَافَى الْحَرَمَ وَذَبَحَ لِابْنَتِ طُولِ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَةَ آلَافِ نَاقَةٍ وَخَمْسَةَ آلَافِ نُورٍ وَعَشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ . وقال لمن حَضَرَ : إِنَّ هَذَا الْمَكَانَ سَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ لَا صِفَتَهُ كَذَا وَكَذَا .

وقال أعرابيٌّ :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْفَوَادِ لَجَاجَةً قَاضِرِبٌ عَلَيْهِ بِجُرْعَةٍ مِنْ رَائِبٍ
وَرَوَى هَشِيمٌ أَنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : مِنْ كَرَمِ التَّرَةِ أَنْ
يَطِيبَ زَادَهُ فِي السَّفَرِ .

وقال ابن الأعرابي : يقال : جاء فلانٌ ولقد لَفَطَ ^(١) رِبَاطُهُ مِنَ
الْجُوعِ وَالْمَطَشِ .

وأنشد :

رَبَّ الْجُوعِ فِي أَوْنِيهِ ^(٢) حَتَّى كَانَهُ جَنِيبٌ بِهِ إِنَّ الْجَنِيبَ جَنِيبٌ
أَي جَاعَ حَتَّى كَانَهُ يَمْشِي فِي جَانِبٍ مُتَعَقِّفًا ^(٣) .

وقال أيضاً : إِنَّ مِنْ شُؤْمِ الضَّيْفِ أَنْ يَغِيبَ عَنْ عَشَاءِ الْحَيِّ ، أَيْ
لَا يُذَرِّكُهُ ، فَيُرِيدُ إِذَا جَاءَهُمْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا لَهُ عَشَاءَهُ عَلَى حِدَةٍ .

(١) يريد أن بطنه قد ضمرت فاسترخى رباطه حتى صار له صوت ، فذهب ذلك الصوت باللفظ .

(٢) الأونان : الحاصرتان . وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

وبال الجوع في أرنبه حتى كانه حبيب يدان إلى حبيب

وفيه تحريف ظاهر . والتصويب عن إصلاح المنطق لابن السكيت ولسان العرب .

(٣) متعقفاً ، أي معوجاً .

وأنشد :

حَيَّاكَ رَبُّكَ وَأَصْطَبَحْتَ ثَرِيدَةً وإدامها رُزٌّ وَأَنْتَ تَدَبَّلُ
والقمة والقمة إذا جُمَعَتَا من الثريد والمصائد يقال لهما دُبْلَةٌ ، ومنه سُمِّيَتْ
الدُّبَيْلَةُ ، وهى الورم الذى يخرج بالناس . وأنشد :

أقول لك ابتَرَكَوا جُنُوحًا بقِصْعَةٍ قد طُفِّعَتْ تَطْفِيعًا
دَبَّلُ أبا الجوزاء أو تَطْفِيعًا^(١)

وقال الفرزدق :

هَدَبْتُ أَمْثَالَ الْأَثافي كَأَنَّهَا رُدُوسُ أَعَادٍ قُطِعَتْ يَوْمَ تَجْمَعُ
وقال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أطيبوا
الطعام فإنه أنقى للشُّخْطِ ، وأجلبُ للشُّكْرِ ، وأرضى للعاصِبِ » .
قال بشار .

يَقْصُ إِذَا نَالَ الطَّعَامَ بِذِكْرِكُمْ وَيَشْرِقُ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ حِينَ يَشْرَبُ
المُسْمُورُ : الجائع . قال هيمان بن قُحَافَةَ :
* لَأَقَى صَاحِقًا بَطْنًا مَسْمُورًا *

وقال شاعر :

* يَمْشِي مِنَ الْبِطْنَةِ مَشْيَ الْأَنْزَحِ^(٢) *

(١) فى الأصل : « دبل أما الجوز أو بطيخا » ؛ وفيه تصحيف ظاهر . والتصحيح
عن الخمس .

(٢) فى (١) الذى ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الأنزح » ... « النزع »
بالنون والماء ؛ وهو تصحيف فى كلتا السكتين ؛ والصواب ما أثبتنا قلا عن كتب اللغة

الْبَزَخُ : دخول البطن وخروج الشئ أسفل الشرة .

وقال آخر :

أَغْرُهُ كَصَبَاحِ الدُّجْنَةِ يَتَّقَى شَذَى^(١) الزَّادِ حَتَّى تُسْتَفَادَ أَطَايِبُهُ
شِدَاءُ^(٢) : طيبه .

وقال أعرابي : بنو فلان لا يَبْزِرُونَ^(٣) ولا يَقْدُرُونَ .

وقال الثوري : بَطْنُوا غَدَاءَكُمْ بِشَرْبَةٍ .

[وقال الشاعر^(٤) :

لَا يَسْتَوِي الصَّوْتَانِ حِينَ نَجَاوَبَا صَوْتُ الْكَرِيبِ^(٥) وَصَوْتُ ذَنْبٍ مُقْفِرِ
الْكَرِيبِ : الشوبق^(٥) وهو المَخَوْر والمِسْطَح .

وقال الشاعر :

إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَا بِشَاشَةٍ لَهُ بِرُجُوعِ كَالْدَّانِيرِ : مَرْحَبًا
وَأَهْلًا فَلَا تَمْنُوعَ خَيْرَ زَيْدِهِ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى هُنْدَانًا أَنْ نُؤْوَبَا
قال الشعبي : اسْتَسْقَيْتُ عَلَى خِرَانٍ قَتِيبَةً ، فقال : ما أَسْقَيْكَ ؟ فقلت :
الْمَيْنُ الْوُجْدُ ، الْقَزِيرُ الْفَقْدُ ، فقال : يَا غَلَامَ ، اسْقِهِ الْمَاءَ .

(١) ورد هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل بالقاف وهو تحريف :

(٢) لا يَبْزِرُونَ ، من بَزَرْتُ الْقَدْرَ إِذَا رَمَيْتُ فِيهَا الْبَزْرَ ، وهو التَّابِل . ولا يَقْدُرُونَ ، من الْقَدْرَ بِفَتْحِ الْقَافِ ، وهو الطَّبِخُ فِي الْقَدْرِ .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٤) في الأصل : « الْكَرِيبُ » بالثاء ؛ وهو تصحيف . والتصحيح عن إصلاح المنطقي . وفي الأصل : « مَقَر » ؛ وهو تصحيف أيضا . والتصحيح عن إصلاح المنطقي كذلك .

(٥) في الأصل : « السُّوَيْقُ » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن إصلاح المنطقي . والشوبق : هو الحشبة التي يبسط عليها الحجاز الخبز .

مرّةً يسكينُ بأبي الأسودِ ثِيلاً وهو ينادى : أنا جائع ! فأدخله وأطعمه حتى شَبِعَ ، ثم قال له : انصرفت إلى أهلي ، وأتبعته غلاماً وقال له : إن تمنّنته يسأل فارّده إلى . فلما جاوزَه للسكينُ سأل كعادته ، فتشبّث به الغلامُ وردّه إلى أبي الأسود . فقال : ألم تشبع ؟ فقال : بلى . قال : فما سؤالك ؟ ثم أمرَ به نَعِيسٌ في بَيْتٍ وأغلق عليه الباب ، وقال : لا تُروِّع مسلماً سائر الليلة ولا تكذب . فلما أصبح خَلَّى سَبِيلَهُ ، وقال : لو أطلقنا السؤالَ صِرنا مثْلهم . وسمع دابةً له تَعْتَلِفُ في جَوْفِ الليل ، فقال : إني لأراك تَسْهَرِينَ في مالى والناسُ نيام ، والله لا تُصِحِّحِينَ عندي . وباعها .

وأبو الأسود يُعَدُّ في الشعراء والتابعين والمحدثين والبُخلاء والمفاليج والنحويين والقضاة والعُرُج والمعلمين .

وقال الشاعر :

أَنْفَقَ أَبَا عَمْرٍو وَلَا تَعْدَرَا وَكُلَّ مِنَ الْمَالِ وَأَطْعِمُ مَنْ عَرَا
لَا يَنْفَعُ الدَّرْهَمُ إِلَّا مُذْبِرَا

كان مُسلم بن قُتَيْبَةَ لا يجلس لحوائج الناس حتى يشبع من الطعام الطيّب ، ويَرَوِي من الماء البارد ، ويقول : إن الجائعَ ضيق الصدر ، فقيرُ النفس ، والشبعانُ واسع الصدر ، غنيُّ النفس .

وقال أعرابي :

هَلَكْتُ هَرِيشَةً^(١) وَهَلَكْتُ جُوعَا وَخَرَقَ مِنْدَقِي شَوْكُ الْقَعَادِ

(١) هريرة ، أى بردا . يقال قرء (بكسر القاف) فيها هريرة ، أى يصيب الناس منها ضرر وموت كثير . والهريرة : وقت اشتداد البرد ، كما في اللسان .

وَحَبَّةُ حَنْظَلٍ وَلُبَابُ قَطِينٍ وَتَنُومٌ يَنْظُمُ بَطْنَ وَادِي^(١)
وقال الفرزدق :

وإن أبا الكِرْشَاءِ^(٢) ليس بسارقٍ ولكنّه ما يَسْرِقُ القَوْمُ يا كل
ولديك الجنّ :

إذا لم يكن في البيتِ مِلْحٌ مُطَيَّبٌ وَخَلٌّ وَزَيْتٌ حَوْلَ حُبٍّ^(٣) دَقِيقٍ
فَرَأْسُ ابنِ أُمِّي في حِرَامٍ [ابن] خالتي ورأسُ عدوّي في حِرَامٍ صديقي
وقال آخر :

وما جيرةٌ إلّا كَلِمَةُ بنٍ وَائِلٍ لِيَالِي تَعْمَى عِرَّةٌ مَنِيَتِ البَقْلُ
وقال مسعر بن مكدّم لِرَقِبة بن مصلّة : أراك طُفَيْلِيًّا . قال : يا أبا محمد ،
كلُّ مَنْ تَرَى طُفَيْلِيًّا إلّا أَنَّهُمْ يَتَيْكَاثِمُونَ .
وقال شاعر :

قَوْمٌ إِذَا آنَسُوا ضَيْفًا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا دَمَ الرَّأْسِ صَبْؤُهُ عَلَى الباب
قال الفصيح : الرأس الرئيس .

اشتدّ بأبي فرعونَ الشاعِريُّ الحالُ فكتب إلى بعض القضاة بالبصرة :
يا قاضيَ البصرةِ ذا الوجهِ الأغرِّ إِلَيْكَ أَشْكُو ما مَقَى وما غَبَرُ
هَمًّا زَمَانٌ وشِئًا قد حَضَرَ إِنَّ أبا عَمْرَةَ^(٤) في بَيْتِي أُنْجَحَرُ
يَضْرِبُ بالذَّفِّ وإن شاء زَمَرُ فاطْرُدْهُ عني بدقيقٍ يُنْتَظَرُ
فأجابه إلى ما سأل .

(١) التّنوم : شجر له حب كحب الخروع . وينظم بطن وادي ، أي يملؤه ويصه .
(٢) كذا في (١) وديوان الفرزدق . والذى في (ب) : « أبا العرجاء » ؛ وهو خطأ
من النسخ . (٣) الحُبّ بضم الحاء : الجرّة ؛ ولعلهم كانوا يضعون الدقيق في الجرار .
(٤) أبو عمرة : كنية الجوح .

ويقال : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى حَلْقَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ :
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَى مِنْ سَعَةِ ، وَوَأَسَى مِنْ كِفَافٍ ، وَآثَرَ مِنْ قِلَّةٍ . فَقَالَ
الْحَسَنُ : مَا أَبْقَى أَحَدًا إِلَّا سَأَلَهُ .

وقال ابن حبيب : يقال أُنْحَقُّ مِنَ الضَّبْعِ ، وذلك أنها وَجَدَتْ تَوْدِيَةً^(١)
فِي غَدِيرٍ ، فَجَمَلَتْ تَشْرَبُ الْمَاءَ وَتَقُولُ : « يَا حَبْذَا طَعْمُ اللَّبَنِ » حَتَّى انشَقَّ بَطْنُهَا
فَنَاتَتْ . وَالتَّوْدِيَةُ : الْعُودُ يُشَدُّ عَلَى رَأْسِ الْخِلْفِ^(٢) لثَلَا يَرْضَعَ الْفَصِيلُ أُمَّهُ .
دَعَا رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ^(٣) تُكْسِبُ الزِّيَارَةَ وَإِنْ لَمْ تُسْعِدْ ، وَلَعَلَّ
تَقْصِيرًا أَنْفَعُ فِيمَا أَحَبُّ بَلُوغَهُ مِنْ بَرِّكَ^(٤) . فَقَالَ صَاحِبُهُ : حَرَصْتُكَ عَلَى كِرَامَتِي
يَكْفِيكَ مَوْزُونَةُ التَّكْلِيفِ لِي .

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : لَوْ كُنْتَ خَلِيفَةً كَيْفَ كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : كُنْتُ
أُسْتَكْنِي^(٥) شَرِيفَ كُلِّ قَوْمٍ نَاحِيَتِهِ ، ثُمَّ أَخْلُو بِالْمَطْبِخِ فَأَمُرُ الطَّاهَةَ
فَيُغْطَمُونَ^(٦) الثَّرْبِلَةَ وَيُكْتَرُونَ^(٧) الْعُرَاقَ ، فَأَبْدَأُ فَأَكُلُ لُقْمًا ، ثُمَّ آذَنُ
لِلنَّاسِ ، فَأَتَى ضِيَاعًا^(٨) يَكُونُ بَعْدَ هَذَا !

(١) فِي الْأَصْلِ : « بَوْدَقَةٌ » بِالْبَاءِ وَالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَتَيْنَاهُ قَلًا عَنْ
كُتُبِ الْقَنَةِ . وَعِبَارَةٌ بِجَمْعِ الْأَمْثَالِ : تَزْعُمُ الْأَعْرَابُ أَنَّ أَبَا الضَّبَاعِ وَجَدَ تَوْدِيَةً فِي غَدِيرٍ ...
الْخَ مَا هُنَا .

(٢) الْخِلْفُ : الْفُرْعُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْخِلْفُ » بِالْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
(٣) هَذِهِ : لِإِشَارَةِ إِلَى دَعْوَتِهِ لِإِيَّاهُ . أَيْ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ تَكْسِبُ زِيَارَتَكَ لِي وَإِنْ لَمْ
تُسْعِدْ ، أَيْ تُعْنَسَ عَلَى قَضَاءِ الْحَقِّ كُلِّهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « تَكْتَرُ » مَكَانَ « تَكْسِبُ » . وَهُوَ
تَحْرِيفٌ . وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا السَّلَامُ : « تَرَكْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٥) فِي (١) : « اسْتَلَقَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٦) فِي (١) : « فَيُغْطَمُونَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٧) الْعُرَاقُ (بِالضَّمِّ) : جَمْعُ مَرَقٍ (بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ) ، وَهُوَ الظُّلْمُ الَّذِي أَخَذَ أَكْثَرُ
مَا عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ وَبَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَسِيرٌ .
(٨) فِي كَلَامِنَا النَّسَخَتَيْنِ : « صَنَاعٌ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

وقال أعرابي لأبن عم له : والله ما جفانكم بعظام ، ولا أجسامكم^(١)
 بوسام ، ولا بدت^(٢) لكم نار ، ولا طولبت^(٣) بشار .
 وقيل لأعرابي : لم قالت الحاضرة للعبد : باعك الله في الأعراب ؟ قال :
 لأننا نمرى جلده ، ونطيل كده ، ونجيع كبده .
 وقال طفيلي : إذا حدثت على المائدة فلا تزد في الجواب على نعم ، فإنك
 تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومسيغا للقيمتك ، ومقبلا على شأنك .
 وقيل لأعرابي : أي شيء أحد ؟ قال : كيد جائعة ، تلقى إلى أمعاء ضالعة^(٤)
 وقيل لآخر : أي شيء أحد ؟ قال خرس جائع ، يلقى [إلى] معي ضالع^(٥)
 وقال آخر :

أحب أن أضطاد ضببا سحبلأ^(٦) وورلا يرتاد رملأ أرملأ
 قالت سلمي لا أحب الجوزلا ولا أحب السمكات ما كلا
 الجوزل : قرخ الحتام . والورل : دابة^(٧) . أرمل : صفة للورل . وإذا كان
 كذلك^(٨) كان أثنى له ، وهو^(٩) . يسفد فيهرل .

(١) في (١) : « ولا أجاسم » ؟ وهو تحريف .

(٢) كتنا في (ب) . والذي في (١) : « نيرت » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) يريد بالضالعة هنا القوة على احتمال ما يلقي إليها ، وكذلك الضالع الآن بعد .
 والذي وجدناه في كتب اللغة أنه الضليح ، من الضلعة ، وهي القوة . ولم نجد الضالع بهذا
 المعنى . والذي في كتاب التنبيه على أغلاط أبي علي القالي ص ٢٢ أن المحفوظ : خرس قاطع
 يقذف في معي جائع ، وهذا هو الصحيح .

(٤) السحبل : العظيم السن من الضباب . والورل دابة تشبه الضب وأعظم منه يسير .
 والأرمل : الذي لا زوج له . ويقال ذلك في الذكر على التشبيه . قاله في اللسان مستعمداً
 بهذا البيت ، وروايته فيه : « رمى الربيع والشتاء أرملأ » مكان قوله : « وورلا يرتاد » .

(٥) في (١) : « بيت » ؟ وهو تحريف ، وقد سبق التعريف بهذه الدابة في الحاشية
 التي قبل هذه . (٦) كذلك ، أي أنه أرمل لا زوج له .

(٧) في الأصل : « مري » ؟ وهو تحريف ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .

ويقال : أَفْبَحُّ هَزِيلَيْنِ : المرأة والفرس ، وأطيبُ غَتٍّ أَكْلَ غَتِّ الإبل ، وأطيب الإبل لحماً ما أَكَلَ السَّعْدَانُ^(١) ، وأطيب الغنم لبناً ما أَكَلَ الْحَرْبُتُ^(٢) .

ويقال : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سِقَاءُ مُرَوِّبٍ ، وهو القى يُسْقَى منه قبل أن يُمَخَّصَ وتُخْرِجَ زُبْدَتُهُ .

ويقال : سَقَانَا ظَلِيمَةً وَطَبِيهِ^(٣) ، وقد ظَلَمْتُ أَوْطَبُ^(٤) الْقَوْمِ .

وقال الشاعر :

وصاحب^(٥) صِدْقٍ لَمْ تَنْلُنِي شَكَاتُهُ ظَلَمْتُ وَفِي ظَلَمِي لَهُ عَامِدًا أَجْرُ
يعنى وَطَبَ لَبَنٍ .

وكان^(٦) الحسنُ البصريُّ إذا طَبَخَ اللحمَ قال : هَلَكُوا إِلَى طَعَامِ الْأَحْرَارِ .
قال سفيانُ الثوريُّ : إِنِّي لَأَلْقِي الرَّجُلَ فَيَقُولُ لِي مَرْحَبًا فَيَلِينُ لَهُ قَلْبِي ،
فكيف بمن أَطَأَ بِسَاطِهِ ، وآكلُ قُرَيْدِهِ ، وَأَزْدَرَدُ عَصِيدِهِ ؟ .

حكى أبو زيد : قد^(٧) هَجَأَ غَرَثِي^(٨) : إِذَا ذَهَبَ ، وقد أَهْجَأَ طَعَامُكُمْ
غَرَثِي : إِذَا قَطَعَهُ . قال الشاعر :

(١) السعدان : نبت تشبه شوكته حلقة الثدي ، وهو من أفضل مراعى الإبل ،
ويقال في المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

(٢) الحربت : نبت منبسطة له ورق رفاق طيب الرائحة يزبل بخر النعم .

(٣) في الأصل : « وطبي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « طيبة » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في الحيوان ، ولم ينسبه كاهنا .

(٦) في (١) : « وقال » ؛ وهو تبديل من الناسخ .

(٧) في (١) : « قال » ؛ وهو تحريف . (٨) الثرت : الجروح .

فَأَخْرَاهُمْ^(١) رَبِّي وَدَلَّ عَلَيْهِمْ وَأَطَعْتَهُمْ مِنْ مَعْلَمٍ غَيْرِ مُهْجِي^(٢)
قال : ويقال بَأَزَتْ^(٣) مُبُورَةً فَأَنَا أَبَارُهَا ، إِذَا حَفَرْتَ حَفِيرَةً يَطْبِخُ فِيهَا
وَهِيَ الْإِرَّةُ . ويقال : أَرَتْ إِرَةً فَأَنَا أَثْرُهَا وَأَرَا .

وقال حسان :

تَخَالُ قُدُورَ الصَّادِ^(٤) حَوْلَ يُبُوتَدَا قَنَابِلَ دُهُمَا فِي الْمَبَاءَةِ صَيِّمَا
قال أبو عبيدة : كَانَ الْأَصْمَى بَخِيلاً ، وَكَانَ يَجْتَمِعُ أَحَادِيثُ الْبَخْلَاءِ وَيُوصَى
بِهَا وَلَكِنَّهُ وَيَتَحَدَّثُ بِهَا .

وكان أبو عبيدة إذا ذَكَرَ الْأَصْمَى أَنْشَدَ :

عَظُمَ الطَّعَامُ بِعَيْنِهِ فَكَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ لِلْأَكْلَيْنِ طَعَامٌ
ويقال : أَسْأَزْتُ ، إِذَا أَبْقَيْتَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَوْ غَيْرِهَا ، وَالْأَسْمُ السُّؤْرُ
وَجَمَاعَتُهُ الْأَسَارُ . ويقال : فَأَذَتْ^(٥) الْخُبْزَةَ فِي الْمَلَّةِ^(٦) أَفَادُهَا^(٥) إِذَا خَبَزَتْهَا
فِيهَا . وَالْمَقَادُ^(٥) : الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُخَبَزُ بِهَا وَيُسَوَّى . ويقال : تَمَلَّتْ مِنْ الْأَكْلِ

(١) في الأصل : « فَأَجْزَاهُمْ » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل . « مَهْجِي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ثَارَتْ ثُورَةٌ فَأَنَا أَثَارُهَا » ؛ وهو تصحيف في الكلمات الثلاث .

(٤) الصاد : النحاس ، وقيل نوع منه . وفي الأصل : « الضَّان » ؛ وهو تحريف .

والقنابل : طوائف الخيل ، الواحد قنبل وزان جعفر وقنبلة . وفي الأصل : « قَنَادِيل » ؛ وهو

تحريف . وفي ديوان حسان : « فِي الْحَقَّة » ، والمعنى عليه يستقيم ؛ وفي الأصل « فِي الْمَلَّة »

والظاهر أن هذا اللفظ عرف عما أثبتنا نقلًا عن محاضرات الأدباء . وقبل هذا البيت :

إِذَا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَأَمَحَلَتْ كَأَنَّ عَلَيْهَا ثُوبَ عَصَبٍ مَسْهَمًا

وفي ديوان حسان : « حَسِبْتُ قُدُورَ » مكان قوله : « تَخَال » .

(٥) في الأصل : « قَادَتْ ... وَأَفَادُهَا .. وَالْمَقَاد » ؛ وهو تحريف في هذه

الكلمات الثلاث .

(٦) الملة : موضع النار .

والشراب تملؤا ، إذا شَبِغَتْ منهما وامتَلأت . ويقال : لَفَأَتْ ^(١) اللحمَ عن العظم لَفَاءً ^(٢) إذا جَلَفَتْ ^(٣) اللحمَ عن العظم . وَاللَّفِيقَةُ ^(٤) هي البَضْعَةُ التي لا عَظْمَ فيها نحو النَّحْضَةِ ^(٥) والهَيَّةِ والوَدْرَةِ ^(٦) .

وَأُنْشَدَ يعقوب :

سَقَى ^(٧) اللهَ الفَضَا وَخُبُوتَ قَوْمٍ متى كانت تكون لم ديارا
أَناسٌ لَا يُنَادِي ^(٨) الضَّيْفُ فِيهِمْ وَلَا يَقْرُونَ آيَةَ صِفَارَا
قال الأصمعي : قال ابن هُبَيْرَةَ : تَعَجُّيلُ الغَدَاءِ يَزِيدُ في المَرُوَّةِ ، وَيَطْيِبُ
التَّسْكُمَةَ ، وَيُعِينُ عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ .

قال بعض العرب : أَطْيَبَ مَضْفَةٌ أَكَلَهَا النَّاسُ صَيْحَانِيَّةً مُصَلَّبَةً ^(٩) .
ويقال : آكَلُ الدَّوَابِّ ، بِرِذْوَنَةٍ رَغُوثٍ وهي التي يَرْضَعُهَا وَلَدُهَا ^(١٠) .
قال أبو الحارث حميد : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشَبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ قَدْرِ
سُقِيَّتِ اللَّبَنِ كَثِيرَةِ الشُّكْرِ .

(١) في الأصل : « لَفَأَتْ ... لَفَاءً إِذَا جَلَتْ » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث .
(٢) في الأصل : « وَاللَّفِيقَةُ ... البَضْعَةُ ... والودنة » ؛ وهو تحريف في هذه
الكلمات الثلاث .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر : سل الله ؛ وهو تحريف لا يستقيم به
المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . ولم نجد هذين البيتين فيما راجعناه من الكتب . والخبوت :
جمع خبت ، وهو المظلم من الأرض .

(٤) لا ينادي الخ ، أي أنهم لا يكلفون الضيف مؤونة السؤال .

(٥) الصيحاني : ضرب من تمر المدينة أسود صلب المنغ . والصلب : الذي خلط
بالصلب ، وهو الودك ، وهو مثل يضرب للثلاثين المتوافقين . وفي الأصل : « مقلية »
بالقاف والياء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلا عن مجمع الأمثال .

(٦) يلاحظ أن تفسير البرذونة الرغوث بهذا المعنى المذكور هنا غير صحيح ، إذ البرذونة
لا ولد لها . والرغوث من البراذين هي التي لا تكاد ترفع رأسها من الملف . أما التي يرضعها
ولها فهي الرغوث من الشياه . فلعل في الكلام نقصا ، وتكملته : « والشاة الرغوث
هي التي ... الخ » .

وقال الشاعر :

وإني لأستحي رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أقرعاً
ضم^(١) عثمان بن رواح^(٢) السَّفرُ ورفيقاً له ، فقال له الرفيق : امض إلى
الشوق فأشتر لنا لحماً . قال : والله ما أقدر . قال : فضى الرفيق واشترى اللحم
ثم قال لعنان : قم الآن فاطبخ القدر . قال : والله ما أقدر . فطمخها الرفيق .
ثم قال : قم الآن فأرُذ . قال : والله إني لأعجزُ عن ذلك . فتردَّ الرفيق . ثم
قال : [قم] الآن فكل . فقال : والله لقد استحييتُ من كثرةِ خلافٍ عليك ،
ولولا ذلك ما فعلت .

قال يونس : أتيتُ ابن سيرين فدعوتُ الجارية ، فسمعتُه يقول : قولي
إنه نائم . فقلت : معي خبيص . فقال : مكانك^(٣) حتى أخرج إليك .

قال أردشير : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، والشم إذا شبع .
قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر بن عبد الله : هلاك الرجل
أن يحترق ما في بَيْتِهِ أن يقدمه إلى ضَيْفِهِ ، وهلاك الضيف أن يحترق
ما قُدِّمَ^(٤) إليه .

وقال الشاعر :

يا ذاهباً في داره جاثياً^(٥) بفَيْرٍ معني وبلا فائدة
قد جنَّ أضيافك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة

- (١) في إحدى النسختين : « صم » ؟ وهو تصحيف .
(٢) في (ب) : « ابن دراج » وهو تصحيف . (٣) في (١) : « فراكبك »
(٤) في الأصل : « وأندم » مكان قوله : « ما قدم » ؟ وهو تحريف .
(٥) في الأصل : « خائباً » بعين « ؟ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

وقال ابن بذر:

ونحن نبذل عند القحط ما أكلوا من السديف إذا لم يؤسر القزع^(١)
وننخر الكوم^(٢) غبطاً^(٣) في أرومتنا للنازلين إذا ما استنزلوا شبعوا

وقال آخر:

أطمعني ببيضنة وناولني من بعد ما ذقت فقهه قدحا
وقال أي الأصوات تشلني^(٤)؟ يزيد، إني أراك مقترعا
قللت صوت المنلى وجردقة^(٥) إن خاب ذا الاقتراح أو صلحا
فقطب الوجه وأنثني غضبا^(٦) وكان سكران طافحا فصحا
قللت: إني مزحت، قال: كذا رأيت حرا بمثل ذا مزحا؟
قال ابن حبيب: كان الرجل إذا اشتد عليه الشتاء تنحى ونزل وحده
لئلا ينزل به ضيف فيكون صقعاً مستحقاً .

وهذا ضد قول زهير:

بسط البيوت لكي تكون مطية من حيث توضع جفنة استرقد
فإذا كان الشتاء انحاز الناس من الجذب والجهد، وإذا أخصبوا أغاروا
للتأر لا للشؤال .

(١) السديف: لحم السنام. والقزع بالقاف: السحاب. وفي الأصل: «الفرع» بالقاء.

(٢) الكوم واحد كوماه بفتح الكاف؛ وهي الناقة العظيمة السنام.

(٣) في الأصل: «غبطا»؛ وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «فاسلني» يريد؛ وهو تحريف.

(٥) الجرذقة: الرغبة، فارسية. وفي الأصل: «خودبة»؛ وهو تحريف.

(٦) في الأصل: «حصنا»؛ وهو تحريف.

وقال الشاعر في عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبَّاس :

ففي السنةِ الجَذْبَاءِ أَطْعَمْتَ حَامِضًا وَحُلُوا وَشَعَمًا تَامِكًا^(١) وَسَنَامًا
وقال مجاهدٌ في قول الله عزَّ وجلَّ : (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا) ، أى طعامًا ،
يقال : أَتَّكْنَا عند فلانٍ ، أى طَعِمْنَا .

ذكر الأصمعيُّ أن أعرابياً خَرَجَ في سَفَرٍ ومعه جماعة ، فأرْمَلَ^(٢) بعضهم
من الزاد ، وحَضَرَ وقتُ العَدَاءِ وجعل بعضهم ينتظر بَعْضًا بالعَدَاءِ ، فلَمَّا أَبْطَأَ
ذلك عليهم عَمَدَ بعضهم إلى زاده فالتقاء بين يَدَيِ القَوْمِ ، فأَقْبَلُوا يَأْكُلُونَ ،
وجلس صاحبُ الزادِ بَعِيداً لِلتَّوْفِيرِ^(٣) عليهم ، فصاح به أعرابي : يَا سُودَدَاهُ !
وهل شَرَفَتْ أَفْضَلُ من إطعامِ الطعامِ والإيثارِ به في وَقتِ الحاجةِ إليه ؟ لقد
آثَرَتْ في مَخْمَصَةٍ ويومِ مَسْغَبَةٍ ، وتفرَّدَتْ بِمَكْرَمَةٍ قَعْدَ^(٤) عنها مَنْ أَرَى من
نُظْرَانِكَ ، فلا زَالَتْ نِعْمُ اللَّهِ عليك غَادِيَةً وَرَائِحَةً .

وفي مثله يقول حاتم الطائي :

ا كَفُّ يَدَيَّ مِنْ أَنْ تَقَالَ أَكْفُهُمْ إِذَا مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَاتُنَا مَعَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْجِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى مَكَانَ يَدَيَّ مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَفْرَعَا
قال : المَخْمَصَةُ : المَجَاعَةُ . وَالْخُمْصُ : الْجُوعُ .

قال شاعرٌ يَدُّمُ رجلاً :

يَرَى الْخُمْصَ تَعْذِيبًا وَإِنْ يَلْقَى شَبْعَةً يَبِيتُ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ^(٥) الهمِّ مُبْهِمًا

(١) التامك : الكثير العظيم . (٢) أرمل من الزاد : فرغ ما عنده منه .
(٣) في الأصل : « يمدُّ القوفر » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا معنى له ، ولعل
الصواب ما أثبتنا . (٤) في الأصل : « فقد » ؛ وهو تحريف .
(٥) في الأصل « من شدة » ؛ وهو خطأ من الناسخ . والبيت لحاتم الطائي .

وقال المرقش الأكبر :

إِنْ يُخْصِبُوا يَغْنَوْا بِمُخْضِبِهِمْ أَوْ يُجْدِبُوا فَجُدُوبِهِمْ أَلَمْ
[وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ ^(١) إِلَى آخِرِهِ] : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَرْوِيَ ظَمًا أَخِيكَ
بُقْرِيكَ ، وَتُبَرِّدَ عَلَيْهِ بِطَلْمَتِكَ ، وَتَوْنِسَ وَخَشَتَهُ بِأَنَسِكَ ، وَتَجْلُوَ غِشَاءَ
نَظِيرِهِ بِوَجْهِكَ ، وَتَزِينَنَّ مَجْلِسَهُ بِجَمَالِ حُضُورِكَ ، وَتَجْمَلَ عَدَاؤُكَ عِنْدَهُ فِي
مَنْزِلِكَ الَّذِي هُوَ فِيهِ سَاكِنٌ ، وَتَمْتَنَ لَهُ السُّرُورَ بِكَ بِأَقَى يَوْمِكَ ، مُؤَثِّرًا لَهُ
عَلَى شَفَاكَ ، فَعَلْتَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — .

وقال الشاعر :

وَكَأَنَّ هَذَرَ دِمَائِهِمْ فِي دُورِهِمْ لَفَطُ الْقَبِيلِ ^(٢) عَلَى خِوَانِ زِيَادٍ
قَالَ بَعْضُ الْخُطَبَاءِ ^(٣) : الْعَجَبُ مِنْ ذِي جِدَّةٍ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ يَطْوِي جَارُهُ
جَوْعًا وَقِرًا ، وَأَفْرُخُهُ شُعْتُ جُرْدٍ مِنَ الرَّبِشِ ، وَهُوَ مَبْطَانٌ مُحْتَشٍ مِنْ حُلُوهِ
وَحَامِضِهِ ، مُسَكَّنٌ فِي كِنْتِهِ وَدِفْنِهِ ، مَزِينٌ لَهُ شَهْوَةٌ عَنْ أَدَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ لُجَارُهُ
وَقَرِيبُهُ وَذِي حُلَّةٍ بِطَرِيهِ ^(٤) رَفِيهِ كَيْفَ يَأْمَنُ سُلْبًا مَفَاجِئًا ؟ أَمَّا لَوْ وَجَّهَ بَعْضَ
فَضْلِهِ إِلَى ذِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ كَانَ مُسْتَدِيمًا لِمَا أُولَى ، مُسْتَزِيدًا مِمَّا أُوْنَى .

قال الشاعر ^(٥) :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مَتَسَرِّبٍ لِي سِرِّبَالٍ تَحُلِّ أَعْصَرِ

(١) في (١) : « كاتب » ثم ذكر الكتاب .

(٢) في الأصل : « القليل » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (ب) : « الحكماء » .

(٤) في (ب) : « وذی خلّة يطور به » ؛ وهو تحريف .

(٥) هو العلوي صاحب الزنج ، كما في مجموعة المعاني .

أَوْتَمَّا إِلَى الْكَوْمَاءِ هَذَا طَارِقٌ
[وفي هذه الأبيات ما يُسْتَحْسَنُ ^(١)] :
فَحَرَرْتَنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْجِرِي

كَمْ قَدْ وَلَدْتُمْ مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ دَائِمِ الْأَطَافِ أَوْ غَمَامٍ مُمَطِّرٍ
سَدَكْتُ ^(٢) أَنَامِلُهُ بِقَائِمٍ مَرَهَفٍ وَبَنَشْرٍ عَائِدَةٍ وَذِرْوَةِ مَنِيرٍ
يَلْتَقِي السِّیُوفَ بِوَجْهِهِ وَبَنَحْرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتِهِ مَقَامَ الْمُفْقَرِ
وَيَقُولُ الطَّرْفُ : اصْطَبِرْ لَشَبَابِ الْقَنَا قَعَقَرْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقِرْ
وَقَالَ آخَرُ :

وَقَالَ وَقَدَّمَ ^(٣) كَشَكِيَّةً فَكُلَّ شَيْعًا إِنَّمَا فِي النَّهَائَةِ
تَطْلُقُ الرُّرَارَ وَتَنْفِي الْخُمَارَ وَمَا بَقْدَهَا فِي النَّهَائَةِ غَايَةً
وَلَا تَتَوَقَّعْ أَخِيرًا بِجَحِيكَ فَنِي أَوَّلِ الْمُسْتَطَابِ الْكِفَايَةِ
وَقَالَ آخَرُ :

كَأَنَّمَا فَوْهُ إِذَا تَمَدَّدَا لَلْقَمِ أَخْلَاقُ جِرَابٍ أَسْوَدَا
كَأَنَّهُ مُخْتَرِصٌ ^(٤) قَدْ جَوَّدَا جَانِي جِرَادٍ فِي وِعَاءٍ مِثْلَدَا ^(٥)

(١) وردت هذه النكلة في (ب) مطبوسة الحروف تنمذر قراءتها ، مهمل من النقط ما ظهر منها ؟ وقد أثبتناها هكذا أخذنا من السياق . وبعضها عن مجموعة الماني .

(٢) سدكت أنامله إلخ ، أي أولعت بقائم السيف ، يقال : سدك بالشيء ، إذا أولع به ونفقت يده في عمله .

(٣) في الأصل : « وقد قدم القوم » ؛ وهو تحريف ، كما أن قوله : « للقوم » زيادة من الناسخ لا يستقيم بها وزن البيت .

(٤) المختصر الذي يضع في خرسه (بكسر الحاء) أي جرابه ما يريد . وفي (أ) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) مختصر ؛ وهو تصحيف . كما أن فيها : « هناء » مكان « كأنه » ولا معنى له أيضا .

(٥) أورد في اللسان هذا الشعر ، مادة « قلد » شاهدا على أن المثلد (بكسر الميم) الرجل المجمع .

وصاحب صاحبت غير أبدا تراه بين الحرّبتين مُسنداً^(١)
الحرّبة : الفرارة .

وقال جابر بن قبيصة : ما رأيت أحلم جليسا ، ولا أفضل^(٢) رفيقا ،
ولا أشبه سريرة بعلانية ، من زياد .

وقال جابر أيضا : شهدت قوما ورأيتهم بعثني ، فإرأيت أقرأ لكتاب
الله ، ولا أفقه في دين الله ، من عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وما رأيت رجلا
أعطى من صلب ماله في غير ولاته ، من طلحة بن عبيد الله . وما رأيت رجلا
أسود من معاوية . وما رأيت رجلا أنصع^(٣) ظرفا ، ولا أخضر جوابا ،
ولا أكثر صوابا ، من عمرو بن العاص . وما رأيت رجلا العروة عنده أنفع
منها عند غيره ، من المنيرة بن شعبة .

ويقال : ما كان الطعام مريثا ولقد مرأ ، وما كان الرجل مريثا وقد مرؤ .
وقال لنا القطان أبو منصور رئيس أهل قزوين : الرجل من أرض أردبيل
إذا دخل بلدا يسأل فيقول : كيف الخبز والمبرز^(٤) ، ولا يسأل عن غيرها .
ف قيل له : لم ذلك ؟ فقال : يأخذ الخبز والمبرز يأكل ويسلح^(٥) إلى الصباح .
قال الشاعر :

وما تُفَسِّنَا الأَيَّامُ لَا نَفْسَ جُوعَنَا بَدَارِ يَفِي بَلَدٍ وَطُولِ التَّلَدِ

(١) أورد في اللسان هذين الشطرين مادة (حرب) . والذي في الأصل :

وصاحب صاحب عيرا يعيدا تراه بين الحرّبتين الخ

ولا يخفى ما في ذلك من تحريف .

(٢) في الأصل : « أغضب » .

(٣) في (١) : « أبيض طرف » ؛ وامل صوابه ما أثبتنا .

(٤) المبرز : المطلق للطن .

(٥) في كلتا النسختين : « يسرج » بالسين ؛ وهو تحريف .

ظَلَمْنَا كَانَا بَيْنَهُمْ أَهْلُ مَا نَمُرُ عَلَى مَيِّتٍ مُسْتَوْدَعٍ بَطْنٍ مَلْعَدٍ
يُحَدِّثُ بَعْضُ بَعْضُنَا عَنْ مُصَابِهِ وَيَأْمُرُ بَعْضُ بَعْضُنَا بِالْتَّجَلُّدِ
وقال آخر :

دَعُونِي فَإِنِّي قَدْ تَقَدَّيْتُ أَنَا فَإِنْ مَسَّ كُنْفِي خُبْرَ كَمْ فَاقْطَعُوا يَدَيَّ
وقال آخر يَصِفُ دَارَ قَوْمٍ :

الْجُوعُ دَاخِلُهَا وَاللَّوْحُ^(١) خَارِجُهَا وَلَيْسَ يَفْرُبُهَا خُبْرٌ وَلَا مَاءٌ
قال الملالى : أتى رجل أبا هريرة فقال : إنني كنتُ صائما فدخلتُ بيتَ
أبي فوجدتُ طعاما ، فنسيتُ فأكلتُ . قال : الله أطعمَكَ . قال : ثم دخلتُ
بيتا آخر فوجدتُ أهله قد حلبوا لِقَحْتَهُمْ فسمَوْنِي ، فنسيتُ فشربتُ . فقال :
يَا بُنَيَّ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَلَّمَا اعْتَدْتَ الصَّيَامَ .

وقال الشاعر :

وَجَدْتُ وَعْدَكَ زُورًا فِي مَزْوَرَةٍ^(٢) ذَكَرْتَ مَبْعَدَنَا إِحْكَامَ طَاهِيهَا^(٣)
فَلَا شَفَى اللَّهُ مَنْ يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهَا وَلَا عَلَتْ كَفُّ مُلْقَى كَفِّهِ فِيهَا
فَأَحْسِنِ رَسُولَكَ عَنِّي أَنْ يَجِيءَ بِهَا فَقَدْ حَبَسْتُ رَسُولِي عَنْ تَقَاضِيهَا
قال مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ عن أبيه : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا ،

(١) اللوح : العطش . والذي في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الشعر « والنوح »
وما أثبتناه هو المناسب لقوله بعد : « ولا ماء » .
(٢) المزورة : مِرْقَةٌ تعمل بغير لحم يصفونها للمرضى .
(٣) في الأصل : « طاهيها » ؛ وهو تحريف .

وَأَنْتَ الْجَنَّةُ الْغَرَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا بَسِيفَ زَنْكُمُ الشَّيْطَانُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

وقال آخر :

وَأَحْمَرُ مُبَيِّضُ الزَّجَاجِ كَأَنَّهُ رِداء عَرُوسٍ مُشْرَبٌ بِمَخْلُوقِ
لَهُ فِي الْحَشَا بَرْدُ الْوِصَالِ وَمَطْمَعُهُ ^(١) وَإِنِّ كَانَ يَلْقَاهُ بِلَوْنٍ حَرِيقِ
كَأَنَّ بَيَاضَ الْوُزْرِ ^(٢) فِي جَنَابَتِهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءٍ عَقِيقِ
قال يونس : أَشَدُّ طَعَامٍ ضَرًّا مَا كَانَ مِنْ عَامٍ إِلَى عَامٍ ، وَهُوَ اللَّبَأُ الَّذِي
لَا يُوْجَدُ إِلَّا فِي الْوِلَادَةِ كُلِّ عَامٍ وَإِنِّ كَانَ مَزِيدًا .
حَكَى يونس : التَّنَافِيطُ ^(٣) ، أَنْ يُنْزَعَ شَعْرُ الْجِلْدِ ^(٤) نَمَّ يُلْقَى فِي النَّارِ
نَمَّ يُوْكَلُ ، وَذَلِكَ فِي الْجَذْبِ .

وقال الشاعر :

جَاوَزْتُ شَيْبَانَ فَأَحْلَوَى جِوَارُهُمْ إِنَّ الْكِرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلجَارِ
وَكَتَبَ ابْنُ دِينَارٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : وَكَثَبَتْ تَفْضُلًا مِنْكَ تَعْتَذِرُ مِنْ تَأْخِرِكَ
عَنْ قَضَاءِ حَقِّ زِيَارَتِي بِمُصَوِّرِ يَدَيْكَ عَنْ بَرٍّ يُشْبِهُنِي وَيُشْبِهُكَ ؛ فَأَمَّا مَا يُشْبِهُنِي
فِي هَذَا الْوَقْتِ فَرَغِيفٌ وَسُكَّرٌ جَعَلْتُ كَأَمْعٍ حَرِيفٍ يَنْقُبُ اللِّسَانَ بِمِرَافِقَتِهِ .
وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْبَقَلِ إِذَا أَنْشَدَ : * أُرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي * يَقُولُ :

(١) فِي (ب) : « وَطِيه » .

(٢) فِي (١) : « الْوَنُ » بِالْوَوْنِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ تَعْتَذِرُ قِرَاءَتِهَا . وَنَدَّ
أَبْتَنَّاهَا هَكَذَا نَقْلًا عَنْ كُتُبِ الْفَنَاءِ بِمَدِّ تَقْلِيلِهَا عَلَى عِدَّةٍ وَجُوهٍ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْحَلْدُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

لو شهدتُ قاتله لقلت : كلبُ الحارس يقوم مقامك . هذه قصة في حضور ما يشبهني ، فأما ما يشبهك فتعذر كما قيل :

• وَمَطْلَبُ يَثْلَى إِنْ أَرَدْتَ عَسِيرٌ ^(١) •

وقال رجل لعبيد الله بن زياد بن غلبان : ما أعددتُ في كِنَاتِي سَهْمًا غيرك . فقال : لا تُعِدُّنِي في كِنَاتِيكَ فوالله لو قُتِلْتُ فيها لَطَلْتُهَا ، ولو جَلَسْتُ فيها لخرقتها . ولئن أنظرتَ بي ما يشبهك طال الانتظار ، والعامَّةُ تتمثل ^(٢) — على خُصَاسَةِ لَفْظِهَا — : « إِذَا أَرَدْتُ أَلَّا تُزَوِّجَ ابْنَتَكَ فَنَالِ بِمَهْرِهَا » . وأملِي فيكَ على الأحوال بعيد ، ونلتُّ فيكَ جميل ، ولستُ أخشى فيما لي عندك القوتَ فأعجله ، • وهل يُلقمُ الكلبُ إلا الحجرَ • .

العَرَبُ تقول : لثِمَ جَبَانٌ ^(٣) .

وقال أعرابي : لا يكنْ بطنُ أحدكم عليه مفرمًا ، ليكسِرَه بالتَّيْمِرَةِ والكُسِيرَةِ والبُقَيْلَةِ والعُلَيْكَةِ .

قال ابنُ الأعرابي : القَرَزْدَقُ ، الرَّغِيفُ الواسع .

قيلَ لأَبْنِ القَرِيْبَةِ ^(٤) : تكلم . فقال : « لَا أَحِبُّ التُّلْبِزَ إِلَّا يَابِسًا » . أرادَ لَا أَحِبُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْتِنَاءِ .

وروى أبو عُيَيْدَةَ في تَفْسِيرِ بَيْتِ الْأَعَشَى في دِيْوَانِهِ :

(١) في (١) : « عزيز » .

(٢) في (١) : تقول .

(٣) كذا وردت هذه العبارة في الأصل ، والظاهر أن لها بقية سقطت من النسخ .

(٤) في الأصل : « ابن القرم » .

(١) [إذا ما هم جلسوا بالعشي] فأحلام عاد وأيدى هضم قال : شبههم بأنسال عاد ، وهم ثمانية ذؤ وأحلام وسؤد : مالك — وهو سيد الثمانية — وعمار وطقيل (٢) ، وشمر ، وقرزعة (٣) ، وحمة ، ونثض (٤) ، ودقيف ؛ وهم الذين بعث لثمان بن عاد جارية بعس من لبن ، فقال لها : إيتي الحى فأدفعيه إلى سيدهم لا تسألى عنه . فأنت الجارية الحى ، فرأيتهم مختلفين بين عامل ولاعب ، وثمانية على رؤوسهم الطير وقاراً ؛ ورأت جارية من الحى ، فأخبرتها بما قال لثمان ؛ قالت : هؤلاء سادة الحى ، وسأصيف لك كل واحد منهم ، فأدفعى العس إلى من شئت أما هذا فعمار ، أخاخذ وذار (٥) ، لا تخمد له نار ، المعشبات عقار (المعشبة : التى تسمن على شجر قديم) ، وأما هذا فحمة ، غداؤه كل يوم ناقة سنمة (٦) ، وبقرة شحمة ، وشاة (٧) كدمة . وأما هذا فقرزعة (٨) ، إذا لقي جائئاً أشبعه ، وإذا لقي قروناً جمعه (٩) وقد خاب جيش لا يغزومه . وأما هذا فطقيل ، غصبه حين يغضب ويبل ، وريضاء حين يرضى سئيل ، ولم تحمّل مثله على ظهرها إبل ولا خيل ، وأما هذا فشمر ،

- (١) لم يرد هذا الشطر الذى بين مربعين فى الأصل ؛ وقد أثبتناه عن شعر الأعشى للبطوح فى أوربا . وفى الأصل : « وأنشد » مكان قوله : « وأيدى » ؛ وهو تحريف . وهضم بضمتين : جمع هضم ، وهو الجواد المتلاف .
 (٢) فى الأصل : « وثمبل » ؛ وهو تحريف .
 (٣) كذا ورد هذا الاسم فى كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم فى (١) التى ورد فيها وحدهما هذا الكلام ؛ ولم نجد من نص على تصحيحه بالبارة .
 (٤) كذا ورد هذا الاسم فى (١) التى ورد فيها وحدهما هذا الكلام هنا وفى صفحة ٥٠ سطر ٣ . ولم نجد من نص على تصحيحه فيما راجعنا من المظان .
 (٥) ودّره : أهلكه .
 (٦) فى الأصل : « شبة » ؛ وهو تحريف .
 (٧) فى الأصل : « وسماه » ؛ وهو تحريف . والشاة الكدمة : الغليظة السمينة .
 (٨) جمعه : نحره .

ليس في أهله بالشحيح اتقتر، ولا المُشْرِف البَطِر، ولا يَخْدَع الحَيَّ إذا أوْتَمِر^(١).
 وأما هذا فدُفَيْف، قارى الضَّيْف، ومُعِيدُ السَّيْف، ومُعِيل^(٢) الشَّتَاء والصَّيْفِ
 وأما هذا فنَفِضٌ، أَشْنَتَ الحَيَّ فَرِض، فَعَدَلَ مَرَضَهُ عِنْدَهُمْ إِنْشَاءَهُمْ
 (أى قَعَطَهُمْ)، فقاموا^(٣) عليه فأَوْسَعَهُمْ دَقِيقًا وَلَحْمًا غَرِيضًا، وَمِسْكَ
 رَمِيضًا^(٤)، وكسَاهُمْ ثِيَابًا بَيْضًا؛ وأما هذا فَصَالِك، حَامِيَتُنَا^(٥) إذا غَزَوْنَا،
 وَطِيمٌ وَلِدَانِنَا إذا شَتَوْنَا^(٦)، ودافعُ كُلِّ كَرِيهَةٍ إذا عَدَّتْ عَلَيْنَا. فدَفَعَتْ
 العُسَّ إلى مَالِكٍ، فكان سَيِّدَهُمْ.

بَشَّرَتْ أَسْرَاءَ زَوْجِهَا بَأَن أَبْنَاهَا مِنْهُ قَدْ اتَّقَر^(٧)، قَالَ: أَتُبَشِّرُ بِنِي بَعْدُ
 الْخُبْرُ؛ أَذْهَبِي إِلَى أَهْلِكَ.

قال الشاعر:

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي أَبَا زَيْنٍ بَكْرَ بْنَ نَطَاحٍ بِفَلَسْنِ
 كَأَنَّمَا الْأَكِلُ مِنْ خُبْرِهِ يَقْلَعُ مِنْهُ شَحْمَةَ الْعَيْنِ
 وَأَنْشَدَ غَلِيمٌ مِنْ بَنِي دُيُورٍ^(٨) :
 يَا بَنَ الْكِرَامِ حَسْبًا وَنَاثِلًا حَقًّا أَقُولُ لَا أَقُولُ بَاطِلًا

(١) أوْتَمِر : استشير .

(٢) يقال : أعال الرجل أهله ، إذا كفاهم ومانهم ، كما لهم .

(٣) قاموا عليه ، أى قاموا بخدمته وما يصلحه في مرضه .

(٤) الرَّمِيضُ : الحاد ، يريد هنا حدة الرائحة . والذي في الأصل : « رَمِيضًا » ؛
 ولعله محرف عما أَهْبَتْنَا . أو لعله : « فُضِيضًا » ، أى متفتتا متكسرا .

(٥) حَامِيَتُنَا الخ ، أى أنه يحمى بيوت الحى من المفيرين إذا خرج الرجال للغزو .

(٦) في الأصل : « سنونا » ؛ وهو تحريف .

(٧) اتقَر الغلام واتقَر : نبت ثفره .

(٨) في الأصل : « دِينَار » ؛ وهو تحريف .

إليك أشكو الدهر والزلازلا وكل عام نفتح الحمايل^(١)
التفتيح : القشر ، أى قشروا حمايل سيوفهم فباعوها لشدة زمانهم .
وأنشد :

سلا أم عباد إذا الريح أعصفت وجلل أطراف الرعان قمامها^(٢)
وجئت بقايا الطرقي إلا نصية^(٣) يصد الأشافي^(٤) والمواصي سنامها
وهم إلى الليل منزل رقة ترامت بهم طغياه^(٥) داج ظلامها
تكاد الصبا تهتزهم من ثيابهم شديداً بأرباط الرجال اعتصامها
لقد علمت أني مفيد ومتلف ومطعم أيام يحب طعامها
وقال آخر :

إن بني غاضرة الكراما إن يقيم الضيف بهم أعواما
يكن قراء اللحم والسناما أو يصبح الدهر لهم غلاما
يكن ظريفا وجهه كراما

وقال سماعة بن أشول :

رأت إبلا لأبني عبيد تمنعت من الحق لم تورك بحق إياها^(٦)

(١) في الأصل : « الحلائلا » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « قيامها » ؛ وهو تحريف . وأطراف الرعان ، يريد أطراف الجبال .

(٣) في الأصل : « قصبة » بالفاء والصاد ، وهو تصحيف .

(٤) الأشافي : اللثاق ، وأحدثه إشقي بكسر الهزة وسكون الشين والفاء المفتوحة .
وفي الأصل : « نمد السلافي » وهو تحريف . يقول : إن سنامها لم يبق فيه ما تخرجه
الأشافي ولا المواصي : جمع موسى .

(٥) الطغياه : الظلمة الشديدة .

(٦) كذا ورد هذا الشطر في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجد فيه فيما
راجعناه من السكتب .

قَالَتْ أَلَا تَعْدُو لِقَاحُكَ هَكَذَا فَقُلْتُ أَبْتُ ضَيْفَانُهَا وَعِيَالُهَا
فَا حَلَبْتُ إِلَّا الثَّلَاثَةَ^(١) وَالثَّنْيَ وَلَا قِيْلْتُ إِلَّا قَرِيْبًا مَقَالُهَا
وَأَنْشَدَ أَبُو الْجَرَّاحِ :

أَرَى الْخِلَانَ قَدْ صَرَمُوا وَصَالِي وَأَضْحَوْا لَا سَلَامَ وَلَا كَلَامَ
وَمَا أَذْنَبْتُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ سِوَى خَفٍ^(٢) الْمَنَاجِحِ وَالسَّوَامِ
وَقَالَ آخَرُ :

خِرْقٌ إِذَا وَرِقَ^(٣) الْمَطِيُّ مِنَ الْوَجَا لَمْ يَطْوِ دُونَ دَقِيْقِهِ ذُو الْمِرْوَدِ
حَتَّى تَوَوَّبَ بِهِ قَلِيْلًا^(٤) حَمْدَ الرَّفِيقِ نَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ
وَقَالَ آخَرُ :

تَزَوَّدْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ^(٥) غَادِيَا إِلَيْكَ وَنَحْوِ^(٥) النَّاسِ لَا أَنْزَوْدُ
أَرَانِي إِذَا مَا جِئْتُ أَطْلُبُ نَائِلًا نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِكَ كَأَنَّكَ أَرَمْدُ

- (١) الثلاثة بضم الـثاء ، أى الثلاثة بفتحها ؛ يريد أنها لم تحلب إلا الثلاثة من الآنية أو الاثنين . وقيل بضم القاف وتشديد الياء المكسورة : ذكره ثعلب هكذا ؛ ورواها بعضهم قيل بفتح القاف من القيل بمعنى اللبن القذى يعرب وقت الغائلة (السان) (مادة ثلث) .
- (٢) خف المنافع ، أى خففتها ، مصدر خَفَفَ ؛ يريد قلّة للنافع ، جمع منيعة ، وهى النافعة الممنوحة للائتناف بوبرها وولدها ولبنها . وفى الأصل « جف » بالجيم ؛ وهو تحريف .
- (٣) فى الأصل : « رنغ المطى من الرحا » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين . ويريد توانى المطايا وتخاذلها عن المشى من طول السفر وشدة ما أصاب حوافرها من المشى . يصف بمدوحه بالكرم فى هذه الحال ، وأنه خرق أى كرم متغرق فى المعروف وأن ذا مزوده (أى صاحب زاده القيم عليه) لم يُخَفِّرْ دقيقه ولم يُغْنِهْ ، بل يبذله للمرلين من الرفاق .
- (٤) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ناقصا ؛ ولم تنف عليه فيما راجعناه من الكتب .
- (٥) فى الأصول : « نحول » مكان « نحوك » و « حق » مكان « ونحو » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

ويقال : أزواد^(١) الركب من قریش أبو أمية بن المغيرة ، والأسود^(٢)
ابن الطلب بن أسد بن عبد العزى ، ومُساوِر بن أبي عمرو بن أمية عم عتبة
كانوا إذا سافروا خرج معهم الناس فلم يتخذوا زاداً ، ولم يوقدوا ناراً
كانوا يكفونهم .

وقال الشاعر :

وبالبدو جود^(٣) لا يزال كأنه رُكَّامٌ بأطراف الإكامِ يَمُورُ

وقال آخر :

والناسُ إن شِيعَتُ بَطُونُهُمْ فَفَيْرُهُمْ^(٤) مِنْ ذَلِكَ لَا يَشْبَعُ

وقال آخر :

دُورٌ تُحاكى الجِنانَ حُسناً لَكِنْ سُكَّانُهَا خِساسُ

مَتَى أَرَى الْجُنْدَ ساكِينَها فِي دَهاِيزِها يَدَّاسُ

وقال آخر :

لولا غفائهُ ضَغْنِي عَنْ ذَوِي رَحْمِي وَحَالُ مُعْتَصِمِي مِنْ ذَوِي عَدَمِ

وَحَاجَةُ الْأَخْرِ^(٥) تَبْدُو لِي فَأُنْجِحُها لَمْ أَتُنْ فِي عَمَلِي كَفَى عَلَى قَلَمِي

وقال آخر :

وَأَوْرُرُ ضَيْفِي حِينَ لَا يُوجَدُ الْقَرَى بِقُوتِي أَحْبُوهُ وَأَرْفُدُ طَاوِيَا

(١) في الأصل : « ازداد الراكب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

(٢) في شرح القاموس « زمة بن الأسود » .

(٣) في الأصل : « جوع » ؛ وهو تحريف ، إذ ليس من المعروف تشبيه الجوع بالسحاب المتراكم ، وإنما يشبه بذلك الجود .

(٤) في الأصل : « فقيرتهم في » ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لاح » ، وهو تصحيف .

وما أَسْتَكْثَرَتْ نَفْسِي لِإِذْلٍ وَجْهِهِ تَوَالًا وَإِنْ كَانَ النَّوَالُ حَيَاتِيَا
وقال المبرد : البَطْنُ : الذى لَا يَهْمُهُ إِلَّا بَطْنُهُ . والرَّغِيب : الشَّدِيدُ
الْأَكْل . والمعْهُوم : الذى تَمْتَلِكُ بَطْنُهُ وَلَا تَنْتَعِي نَفْسُهُ .

وأنشد ابن الأعرابي :

وإنَّ قَرَى أَهْلِ النَّبَاجِ أَرَانِبٌ وَإِنْ جَاءَ بَعْدَ الرِّيثِ فَهُوَ قَلِيلُ
إِذَا صَدَّ مَشْغُورٌ^(١) وَأَعْرَضَ مَعْرِضٌ فَيَوْمٌ عَلَى أَهْلِ النَّبَاجِ طَوِيلُ
وقال آخر :

يَمِينُكَ^(٢) فِيهَا الْخِصْبُ وَالنَّاسُ جُوعٌ وَقَدْ شَمِلَتْهُمْ حَرَجَفٌ^(٣) وَدَبُورُ
وقال آخر :

أَلْقَتْ قَوَائِمَهَا خَسَاً^(٤) وَرَنَّمَتْ طَرَبًا كَمَا يَتَرَنَّمُ السَّكْرَانُ
يَعْنِي قِدْرًا . وقَوَائِمُهَا ، يَعْنِي الْأَنَافِي . وَخَسَاً : فَرَدَ .
وَأَنْشَدَ :

بِئْسَ غِذَاءُ الْعَرَبِ الْمَرْمُوعُ^(٥) حَوَابَةٌ تُغْمِضُ بِالضُّلُوعِ
الرُّمَاعُ^(٦) : دَاءٌ . وَحَوَابَةٌ : دَلْوٌ كَبِيرَةٌ . وَالْحَوْبُ وَالْخَوْبُ : الْإِنْمُ .

(١) المشغور : الذى سقطت أسنانه لا يقدر على الأكل

(٢) فى الأصل : « عينك » ؛ وهو تحريف .

(٣) الحرجف : الريح الشديدة ، وكنى بالحرجف والدبور عن الجذب ، وفى الأصل :
« وقد شملهم جرجف ودبور » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « قرأعها حسا » وهو تحريف فى كلنا الكلمتين ؛ والتصحيح عن
كتب اللغة .

(٥) فى الأصل : « العرب المرفوع * خوانه » الخ البيت ؛ وهو تحريف كما ترى .

(٦) عبارة الأصل : الرضاع وخوانه داء كثيرة ؛ وهو تحريف فى جميع هذه الألفاظ
وقد ذكر اللغويون أن الرماع داء فى البطن يصفر منه الوجه . وتُغْمِضُ الضُّلُوعُ ، أى تسمع
الاضلاع نقيضا ، أى صوتا من ثقل تلك العلو .

والحبيبة : الحال . والحوباء : النفس ^(١) .

العَرَبُ يَقُولُ : مَا لَا تَبْنَ ^(٢) مَعَهُ وَلَا غَيْرَهُ . خَبِرُ قَقَار : لَا أُدَمِّ مَعَهُ . وَسَوِيقٌ جافٌّ هُوَ الَّذِي لَمْ يُلْتَ بِسْتَمِنْ وَلَا زَيْتٍ . وَحَفْظَلٌ مُبَسَّلٌ ، وَهُوَ أَنْ يُؤْكَلَ وَحْدَهُ .

قال الراجز :

بُسُ الطَعَامُ الْحَفْظَلُ الْمُبَسَّلُ يَجْعُ مِنْهُ كِبْدَى وَأَكْسَلُ ^(٣)
وَيَنْجَعُ أَيْضًا .

وقال أبو الجراح : الْمُبَسَّلُ يُحْرِقُ الْكَيْدَ . وَالْمُبَسَّلُ ^(٤) : أَنْ يُؤْكَلَ بِتَمْرِ ^(٥) أَوْ غَيْرِهِ ، يُقَالُ بَكَّلُوهُ ^(٦) لَنَا ، أَيْ اخْلَطُوهُ . قَالَ : وَعِنْدَنَا طَعَامٌ يُقَالُ لَهُ : الْخَوَلَعُ وَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْحَفْظَلُ فَيَنْقَعَ مَرَّاتٍ حَتَّى تَخْرُجَ مَرَارَتُهُ ، ثُمَّ يُخْلَطَ مَعَهُ تَمْرٌ وَدَقِيقٌ ، فَيَكُونُ طَعَامًا طَيِّبًا .

وقال : الْخَلِيطَةُ وَالنَّخِيسَةُ وَالْقَطِيبَةُ : أَنْ يُحْلَبَ لَبَنُ الضَّأْنِ عَلَى لَبَنِ الْمَغْزَى ، وَالْمَغْزَى عَلَى لَبَنِ الضَّأْنِ ، أَوْ حَلَبَ التُّوقِ عَلَى لَبَنِ الْقَنْمِ .

قال :

• اسقَى ^(٧) وَأَبْرَدَ غَلِيلِي •

(١) يلاحظ أن استطراد المؤلف هنا يذكر الحوب لا مناسبة له ، فإن الحوابة في البيت إنما هي من مادة « حَاب » ، والحوب الذي ذكره من مادة (حوب) .

(٢) يريد بالبن ما يعم أنواع الملف .

(٣) في الأصل : « وَأَبْسَل » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل بالبدال مكان الباء ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا قلا عن كتب اللغة . يقال : بَكَلَهُ : إِذَا خَلَطَهُ .

(٥) في الأصل : « مَمَرًا وَغَيْرِهِ » ؛ وهو تحريف .

(٦) لم ترد في الأصل بقية هذا البيت ؛ ولم نجده فيها راجعناه من الكتب .

مَلَى الرَّجُلُ : سَمِنَ بَعْدَ هُزَالٍ .

قِيلَ لَطْفِيلَ الْعَرَائِسِ : كَمْ أُنْذِنَ فِي أَمْنَيْنِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةٌ أَرْغِفَةٌ .

وقيل له : حُكِيَ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ نَحْنُ الْعَرَبُ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ ،

فَقَالَ : إِنَّ هَذَا النَّصَبَ عَلَى الْمَذْحِ .

وَقَالَ الْعُمَانِيُّ :

مِنْ كُلِّ جِلْفٍ ^(١) لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا جَمْدٌ يُرَى مِنْهُ التَّمَصُّعُ رَيْثًا ^(٢)

لَمْ يَتَجَبَّشًا مِنْ طَعَامِهِ بَشْمًا ^(٣)

وَلَمْ يَبْتَ مِنْ فِتْرَةٍ مُوصِمًا ^(٤) يَغْمِزُ صُدْغَتَيْهِ وَيَشْكُو الْأَعْظَمَا

إِذَا أَجَاعَ بَطْنُهُ تَحَزَّمًا ^(٥) لَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ وَلَمْ يَحْشَ الظَّلَا

يَكْفِيهِ مِنْ قَارِصَةٍ ^(٦) مَا يَمَّا

(١) في الأصل حلف بالماء المهملة ؛ وهو تصحيف . وقوله : لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا ، إما أن يفسر بأنه لَمْ يَكُنْ مُتَعَلِّمًا ، مأخوذ من الصرم يكسر الصاد وهو الحلف الذي له فعل . وإما أن يراد أنه لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ مأخوذ من الصرمة بكسر الصاد ، وهي القطعة من الإبل من الأربعين إلى الخمسين ؛ وقيل غير ذلك في عددها .

(٢) رَيْثًا ، أى يمتصع رَيْثًا بنال بَيْتِهِ . وفي الأصل رَيْثًا ؛ وهو تحريف .

(٣) ورد في هذا الموضع الذي وضعنا فيه هذه للنقط شطر من هذه الأرجوزة سهل أكثر حروفه من النقط ومطلوس بعضها ، ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه ، كما أننا لم نعتد على الأرجوزة في المصادر التي بين أيدينا ؛ وها هو هذا الشطر كما في الأصل :

* وَلَمْ يَرْحَنَّا غَرْمَانَا أَدْمًا *

(٤) يقال وصمته الحُمَّى بتشديد الصاد إذا جعلت في جسده فترة . ويقال وصمته التسب إذا فترت جسده وأكسله . وفي الأصل : « فترة » بالفتح ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر : إذا أجاع قبضة تخدمًا . وهو تحريف في جميع هذه الألفاظ . وسيأتى الشعر يقتضى ما أثبتنا .

(٦) القارصة : الطائفة من اللب الحامض الذي يحذى اللسان بحرقائه .

وَخَلَّةٌ^(١) مِنْهُ إِذَا مَا أُعْيِمَا أَصَابَ مِنْهُ مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا
لَا يَفْقِرُ الشَّارِفَ إِلَّا مُحَرَّمًا^(٢) وَلَا يَخَافُ^(٣) بَصَلًا وَسَلَاجِمًا
يَوْمًا وَلَمْ يَفْقِرْ لِطَيْيخٍ فَمَا فَهُوَ صَاحِبٌ لَا يَخَافُ سَقَمًا
أَسْوَدَ كَالْحَرَاثِ^(٤) يُدْعَى شَجَمًا^(٥) مِنْ طُولِ مَا تَأْتِمَا
لَمْ يَيْلِ^(٦) يَوْمًا سَوْرَةً مِنَ الْقَمَى وَلَمْ يَحُجَّ الْمَسْجِدَ الْمَكْرَمَا
وَلَمْ يَزُرْ حَظِيصَتَهُ وَزَمَزَمَا وَلَا تَرَاهُ يَطْلُبُ التَّفْهِمًا
لَوْ لَمْ يُرَبِّ^(٨) مُسْلِمًا مَا أَسْلَمَا مَا عَبَدَ أَتْنَانِ جَمِيعًا صَنَمَا
عَاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرَّجَالِ مَقْنَمًا إِذَا رَأَى مُصَدِّقًا تَجَهَّمَا
وَهَزَّ فِي الْكَفِّ وَأَبْدَى الْمَعْمَا هِرَاوَتَيْنِ^(٩) تَبْنَمَةً وَسَلَمَا
بِقَرْكٍ^(١٠) مَا رَامَ رُقَاتَا رِمَا وَإِنْ رَأَى إِمْرَةً^(١١) تَزْعَمَا
لَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا وَإِنْ تَزْعَمَا وَإِنْ قَرَأَ عَهْدًا لَهُ مُنْعَمًا
هَانَ عَلَيْهِ شَقٌّ مَا قَدَّ رَقَمَا وَأَنْ يَدُقَّ طَيْفَتَهُ الْمُخْتَمَا

(١) وخلة منه ، أى من اللبن ، واحدة الخلة ، معروف ، أى الطائفة منه . والخلة قد يكون من اللبن كما فى كتب اللغة .

(٢) فى الأصل : لا يعرف الشارف المحترما ؛ وفيه تحريف كما ترى ، وسياق الشر يقتضى ما أثبتنا . والشارف : المستنق من الإبل ، أى لا يعرف الناقة إلا فى الحج حين يجب عليه عقربا .

(٣) فى الأصل : « ولا يأنف » ؛ وهو تحريف .

(٤) الحرث : حديدة تحرك بها النار .

(٥) الشجم من الحيات : الشديد الفليظ . وفى الأصل : سجمما بالسین المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٦) الصحيح : الشديد المجتمع الألواح .

(٧) فى الأصل : « يبك » بالكاف ؛ وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : « يرث » بالثاء المثناة ، وهو تصحيف .

(٩) فى الأصل : « لهاؤه يبعث » وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين .

(١٠) فى الأصل : « ينزل » ؛ وهو تحريف .

(١١) الإمرة : الضميف الرأى الذى يوافق كلامى ما يريد ولا رأى له

صَمْنَانُهُ ماضٍ إِذَا مَا صَمَّمَا إِذَا أَعَزَّتْهُ عِزَّةٌ^(١) نَمِ أُنْقَمَى
فِي قَرْوَةٍ الْحَيِّ إِذَا مَا يَمَّمَا ظَلَّ بَرَى حُكْمًا عَلَيْهِ مُبَرَّمَا^(٢)
أَنْ يَظْلِمَ النَّاسَ وَأَلَّا يُظْلَمَا

وقال آخر :

مَا كَانَ يُنْكَرُ فِي نَدَى مُجَاشِعٍ أَكَلُ الْخَزِيرِ وَلَا ارْتِضَاعُ الْقَيْشَلِ^(٣)
وقال آخر :

بِلَادُ كَأَنَّ الْجُوعَ يَطْلُبُ أَهْلَهَا
بَدْخِلُ^(٤) إِذَا مَا الضَّيْفُ صَرَّتْ جَنَادِبُهُ^(٥)

وقال آخر :

كَرِيَهُ لَا يُطِيمُ السَّكْرِيَا^(٦) بِاللَّيْلِ إِلَّا جِرْجَرًا مَقْلِيَا
مُحْتَرَقًا نِصْفًا وَنِصْفًا نِيَا

وقال الأصمعي : قال المهين بن جرّاد — وَذَمَّ قَوْمًا — : وَاللَّهِ مَا أَتَمَّ آلُ

(١) في الأصل : « غرة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « منها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) الوارد فيها وحدها هذا الشعر « عزي » مكان « ندى » ، وحرير مكان خزير ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن النقائص ؛ والبيت لجرير . والخزير : لحم يقطع صفاراً ويلقى في الماء فإذا أميت طبخاً ذرّ عليه الدقيق .

(٤) في الأصل : « بدخل » ؛ وهو تصحيف .

(٥) صرير الجندب مثل يضرب للأمر يشتد حتى يلقى صاحبه . والأصل فيه أن الجندب إذا رمض في شدة الحر لم يقر في الأرض ، وطار فتسمع لرجليه صريراً . والجندب طائر أصفر من الصدى يكون في البراري .

(٦) إذا أكربت لساناً بغيرك أو أكرأك بغيره فكل منكما كرى صاحبه ، قاله في اللسان وأنشد هذا الرجز . والجرجر : الفول بلغة أهل العراق ؛ أو هو نبت . والذي في الأصل « كدنة » مكان قوله « كريه » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بعد تقليب هذه الكلمة على عدة وجوه .

فَلَا تَقْصِمَكُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ آلُ رَيْفٍ فَمَا تَكُلُونَ . فقيل : لوزِدْتَ ؟ فقال : ما بَعْدَ هذا شيء .

قال : وما أشبه هذا الجواب بقول عقيل بن علفة^(١) حين قيل له : لم لا تطيلُ الهجاء ؟ قال : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

وقيل لابن^(٢) عُمر : لودَعَوْتَ اللَّهَ بِدَعَوَاتٍ ؟ فقال : اللَّهُمَّ عَافِنَا وَارْحَمْنَا وَارْزُقْنَا . فقيل له : لوزِدْتَنَا ؟ فقال : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ .

قال شاعر :

إِذَا أَغْلَقَ الْبَابَ الْكَرِيمُ مِنَ الْفَرَى فليس على باب الْفَرَزْدَقِ حَاجِبُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّمَاءِ بِمَالِهِ إِذَا أَغْبَرَ مِنْ بَرْدِ الشَّوَاءِ الْكَوَاكِبُ
قال : وكلَّ لَحْمٍ وَخُبْزٍ أَنْضَجَ دَفِينًا فَهُوَ مَلِيلٌ ، وما كان في تَنْوَرٍ فَهُوَ
شِوَاءٌ ؛ وما كان في قِدْرِ فَهُوَ حَمِيلٌ^(٣) .

قال الأحنفُ لعمر بن الخطاب : إِنْ إِيْخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ
نَزَلُوا فِي مَقَلَةٍ^(٤) الْجَلِّ وَحَوْلَاءِ النَّاقَةِ مِنْ أَنْهَارٍ مُتَفَجِّرَةٍ ، وَثِمَارٍ مُتَدَلِّيةٍ ، وَنَزَلْنَا

(١) كذا في (ب) والذي في (١) : « ابن علفة » .

(٢) في (ب) « لأبي عمرو » .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذي وجدناه بالمعنى المذكور « قدير » أى مطبوخ في القدر ؛ ولعل قوله جميل بالهاء للهمة مصنف عن جميل بالجيم ؛ وهو الشعم المذاب ، فيكون هنا كلام سقط من الناسخ قبل هذه الكلمة المصحفة التي نحن بصددھا .

(٤) مقلة الجمل وحولاء الناقة يتشبه بهما في الحصب والنعمة ، فيقال : هم في مثل حدقة البعير ، وذلك أن حدقة البعير أخصب ما فيه ، لأن بهما يعرفون مقدار سمته ، وفيها يبقى آخر النقي ، وهو منح العظم . ويقال صاروا في حولاء الناقة إذا صاروا في خصب ؛ وإذا وصلت الأرض قبل كأنها حولاء الناقة ، لأن ماء الحولاء أشد ماء خضرة . والحولاء : الماء الذي يخرج على رأس الولد إذا ولد ، وليس في الكلام فعلاء بالسكسر ممدودا إلا حولاء =

بَسْمِخَةٍ نَشَاشَةٍ^(١) يَأْتِينَا مَاؤُنَا فِي مِثْلِ حَلْقُومٍ^(٢) النَّعَامَةِ أَوْ مَرَىءِ الْحَمَلِ ، فِيمَا
أَنْ تَشُقُّ لَنَا نَهْرًا ، وَإِمَّا أَنْ تَرْفَعُنَا إِلَيْكَ .

قال جابر : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ ،
وَالْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ .

وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَكْرِمُوا الْإِبِلَ إِلَّا فِي بَيْتٍ يُبْنَى ، أَوْ دَمٍ يُفْسَدَى ،
أَوْ عَرْبٍ يَنْزُوجُ ، أَوْ حَمَلٍ سَحَالَةٍ .

وَقَالَ مُنَاوِيَةٌ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا تَجَارَتُكَ ؟ قَالَ : أبيعُ الْإِبِلَ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ
أَنْ أَفْوَاهَهَا حَرْبٌ^(٣) ، وَجُلُودَهَا جَرَبٌ ، وَبَعْرُهَا حَطَبٌ ، وَتَأْكُلُ الذَّهَبَ .

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : الْإِبِلُ لِلْبُعْدِ ، وَالْبَعَالُ لِلثَّقَلِ ، وَالْبِرَازِينُ لِلْجَمَالِ
وَالدَّعَّةُ ، وَالْحَمِيرُ لِلْحَوَاشِجِ ، وَالْخَيْلُ لِلْكَرِّ وَالْفَرِّ .

وقال آخر :

يَقْذِفَنَّ فِي الْأَعْنَاقِ وَالنَّالِمِ^(٤) قَذْفَ الْجَلَامِيدِ بِكَفِّ الرَّاجِمِ -
يُرِيدُ بِالْأَعْنَاقِ الْحُلُوفَ .

==وعنباء وسبراء . وقيل : الحولاء : غلاف أخضر كأنه دلو عظيمة مملوءة ماء وتنفق حين تقع
على الأرض وهو قائد السلي ، أى يخرج قبله ؛ ويقال أيضا هم في مثل حولاء السلي . انظر
ما يقول عليه السعي ولسان العرب .

(١) نشاشة ، أى نرازة بالماء لا يجف ثراها ، ولا يبت مرهاها .

(٢) حلقوم النعامة ومرىء الحمل : مثلان في قلة ما يأتيهم من الماء وضيق مسايله إليهم .

(٣) حرب ، أى ذات حرب ، وهو والكلب واحد وزنا ومعنى ؛ وجلودها جرب
أى ذات جرب .

(٤) الناليم : جمع غلصة ، وهى رأس الحلقوم . يريد أن هذه الإبل تقذف الطعام
في حلوقها وأعناقها قذف الحجارة . يصفها بقوة القذف قذف الطعام . والذى فى الأصل :
« يقدمن » مكان « يقذفن » ؛ وهو تحريف .

وقال آخر :

نَفَارُ إِذَا مَا الزَّوْعُ أَبْدَى عَنِ الْبُرَى وَنَقَرَى عَمِيطَ اللَّحْمِ وَالْمَاءِ جَامِسٌ^(١)

وقال آخر :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا نَاقُ^(٢) مُصْرَمَةٌ نَرَعَى الْقَلَاةَ وَلَا قَعْبُ مِنَ اللَّبَنِ

وقال أبو الصلت :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ^(٣) مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدَ أَبْوَالَا

وَوَصَفَ بَعْضُ الْبُلْفَاءِ الْهَجَارَ فَقَالَ : لَا يَوْجِدُ الْأَكْثَبُ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالشُّلْطَانِ وَمُدَبَّرِيهِ ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّا لَا نَعْدَمُ مِنْ أَحَدِهِمْ خُلُقًا دَقِيقًا وَدِينًا رَقِيقًا ، وَحِرْصًا مُسْرِفًا ، وَأَدَبًا مُخْتَلَفًا ، وَدَنَاءَةً مَقْلُومَةً ، وَمُرُوءَةً مَقْدُومَةً وَإِلْفَاءَ الْإِنْفِ^(٤) ، وَجُحَازَةً عَلَى الطَّفِيمِ ، يَبْلُغُ أَحَدُهُمْ غَايَةَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فِي عِلْقٍ^(٥) وَاحِدٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، إِذَا اشْتَرَاهُ مِنْهُ أَوْ بَاعَهُ إِيَّاهُ ، إِنْ بَايَعَكَ مُرَابِحَةً^(٦) وَخَبَّرَ بِالْإِثْمَانِ ، قَوَّى الْإِيمَانَ عَلَى الْبُهْتَانِ ، وَإِنْ قَلَّدَتْهُ

(١) البيت لدى الرمة ، والبرى : الخلاخيل ، والماء الجامس : الجامد . يقولون إنهم يشارون على النساء إذا اشتد الفزع ، وكشف الرعب عن سيقانهن فأبدى من خلاخيلهن ، فهم إذ ذاك يحمونهن ويكفينهن ما يفزعهم ؛ ثم يقول في الشطر الثاني إنهم كرام ، إذا اشتد البرد وجد الماء يقرون أضيافهم عبيط اللحم ؛ وفي رواية سديف ؛ وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا : يغار إذا ما الزرع أبدى عن الترى ويقرى الخ وفيه تصحيف في بعض كلماته كما ترى ؛ والتصويب عن ديوان ذي الرمة وغيره .

(٢) الناق : جمع ناقة . وفي (١) التي ورد فيها وحدها هذا البيت : « لا نَاب » بالباء ؛ وهو تحريف ، إذ الناب الواحدة — وهي للسنة من الإبل — لا تكون مصرمة ، أى بالقة صرمة ؛ وهي عدة من الإبل تبلغ الأربعين .

(٣) القعب : القدح الضخم . (٤) النفيف : الصديق .

(٥) العلق : النفيس من اللتاع .

(٦) يريد بالمرابحة هنا أن يقول المشتري للبائع : أربحك في هذه السلعة كذا فوق

ما اشتريتها به من الثمن أو أن يقول البائع للمشتري ذلك .

الْوَزْنَ أَعْنَتَ لِسَانَ الْمِيزَانِ ، لِيَأْخُذَ بَرُجْجَانِ أَوْ يُعْطَى بِنُقْصَانٍ ؛ وَإِنْ كَانَ لَكَ قَبْلَهُ حَقٌّ لَوَاهُ مُحْتَجًّا فِي ذَلِكَ بِسُنَّةِ الشُّوْقِيِّينَ ، يَرْضَى لَكَ مَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ ، وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِنَقْدٍ وَيُعْطِيكَ بِغَيْرِهِ ، وَلَا يَرَى أَنْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فِي الْمُبَايَعَةِ مِثْلَ مَا لَهُ ؛ إِنْ اسْتَنْصَحْتَهُ غَشَّكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ كَذَبَكَ ، وَإِنْ صَدَّقْتَهُ حَرَبَكَ مُتَمَرِّدُهُمْ صَاعِقَةٌ عَلَى الْعَامِلِينَ ، وَصَاحِبُ مَنَتِهِمْ نِقْمَةٌ عَلَى الْمُسْتَرْسِلِينَ ^(١) ؛ قَدْ تَعَاظُوا الْمُسْكِرَ حَتَّى عُرِفَ ، وَتَنَا كَرُوا الْمَعْرُوفَ حَتَّى نُسِيَ ، يَتَمَسَّكُونَ مِنَ الْمَلَّةِ بِمَا أَضْلَحَ الْبِضَائِعَ ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا كُلَّمَا عَادَتْ بِالْوَضَائِعِ ^(٢) ؛ يُسْرِءُ أَحَدُهُمْ بِحِيلَةٍ يُرْزِقُهَا ^(٣) لِسَلَامَةٍ يَنْفَعُهَا ، وَغِيْلَةٍ لِمُسْلِمٍ يَخْصِيهِ الْإِسْلَامُ ، فَإِذَا أَحْكَمَ حِيلَتَهُ وَغِيْلَتَهُ غَدًا قَادِرًا عَلَى حَرْدِهِ ، فَفَرَّ وَضَرَّ ، وَأَبَّ إِلَى مَنْزِلِهِ [بِحِطَامٍ قَدْ جَمَعَهُ مَقْتَبَطًا بِمَا أَبَاحَ مِنْ دِينِهِ] وَانْتَهَكَ مِنْ حُرْمَةِ أَخِيهِ ، يَعُدُّ الَّذِي كَانَ مِنْهُ حَذَقًا بِاتِّكَسَبٍ ، وَرِفْقًا بِالْمَطْلَبِ ، وَعِلْمًا بِالتَّجَارَةِ ، وَتَقَدُّمًا فِي الصَّنَاعَةِ .

(٣) فَلَمَّا بَلَغْتُ قِرَاءَتِي هَذَا الْمَوْضِعَ قَالَ الْوَزِيرُ : إِنْ كَانَ هَذَا الْوَاصِفُ عَنَى الْعَامَّةَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ دَخَلَ فِي وَصْفِهِ الْخَاصَّةَ أَيْضًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَسْمَعُ وَلَا أَرَى هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا شَائِعَةً فِي أَصْنَافِ النَّاسِ مِنَ الْجُنْدِ وَالْكَتَّابِ وَالنُّنَّاءِ ^(٤) وَالصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ ؛ لَقَدْ حَالَ الزَّمَانُ إِلَى أَمْرٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ النَّعْتُ ، وَلَا تَسْتَوْعِبُهُ الْأَخْبَارُ ، وَمَا عَجَبِي إِلَّا مِنْ الزَّيَادَةِ عَلَى مَرِّ السَّاعَاتِ ، وَلَوْ وَقَفَ لَعَلَّهُ كَانَ يَرْجَى بَعْضُ مَا قَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ مِنْهُ ؛ وَأَعْتَرَضَ الْقُنُوطُ دُونَهُ .

(١) السمت : هيئة أهل الخير وطريقتهم . والمسترسلون : من استرسل إليه إذا انبسط إليه واستأنس ثقة به واتسكلا على ما بينهما من ودٍّ وصلة . وفي الأصل : المترسلين ، وهو تجريف . (٢) الوضائع : الخسائر . (٣) في (١) « يزورها » بتشديد الواو ؛ وهو وإن صح به المعنى إلا أنه لا يستقيم به السبع . (٤) النُّنَّاء : الدهاقين ورؤساء القرى ، الواحد ناني .

فقال ابن زُرعة وكان حاضراً : هذا لأن الزمان من قبل كان ذا لبوس من الدُّبْن رائع ، وذا يدٍ من السَّياسة بسيطة ، فأخْلَقَ اللُّبوسُ [وَبَلَى ، بل تَمَرَّقَ] وَفَنَى ، وضعت اليدُ بل شَلَّتْ وقُطعتْ ، ولا سبيلَ إلى سياسة دينية لأسباب لا تنقضي إلّا بطل فلَكِيَّة ، وأمور سماوية ، فينثذ يكون انقيادُ الأمور الجالحة^(١) لها ، في مُقابلة حِران الأمور الجالحة^(٢) عنها ، وذلك مُنتظر في وَقْتِه ، وتَمَنَّى ذلك قبل إبانِه وسواسُ النَّفس ، وخَوَرُ الطَّباع ، والناس أهدافٌ لأغراض الزمان ومُتَلَبِّون بمحادث الدهور^(٣) ، ولا فَكَاكَ لِم من السَّكارِه ، ولا أُعْتِلَاقَ لِم بالهَبْ [إلّا] بالدواعي والصوارف التي لا سبيلَ لِم إلى تحويل هذه إلى هذه ، ولا إلى تبديل هذه بهذه ، وأختيارُهم للتوجُّه إلى محبوبهم أو الإغراضِ عن مكرُهم ضعیفٌ طفيف ، ولولا ذلك لكانت الحَسرات تزول في وَقْتِ ما يُراد^(٤) ، والنَّبْطَةُ تُمَلِّكُ^(٥) بإدراك ما يَتَمَنَّى ، وهذا شَأْنٌ مُحْكومٌ به بِقُوَّة النَّفس ، غيرُ مُسْتَنقِظٍ إليه^(٥) بِقُوَّة الحِسِّ .

فقال الوزير : أحسنت يا أبا عليٍّ في هذا الوصف ، « وإنَّ نَفْثَكَ^(٦) لِيَكْذَابٌ على أَكْثَر من ذلك » ، ولو كان البالُ ظافراً بِنِعْمَةٍ ، والصَّدْرُ قارِغاً من كُرْبَةٍ ، لَكُنَّا نَبْلُغُ من هذا الحديث مبلغاً نَشْفِي به غَلِيلَنَا [قائلين] ونَشْفِي به مُسْتَمِعِينَ ،

(١) ورد هذان اللفظان في كلتا النسختين كل منهما مكان الآخر ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما ترى .

(٢) في (ب) « الأمور » .

(٣) كذا في (ب) والذي في (أ) « في فوت الإيراد » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (ب) « تدرك » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في كلتا النسختين : « عليه » وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٦) كذا ورد هذا الكلام الذى بين هاتين العلامتين في (ب) والذي في (أ) « وأن تهبه كيدك على أعز من ذلك » ؛ وفي هذا الكلام تحريف كما ترى لا يفهم له معنى .

ولكنني قاعدٌ معكم وكأني غائب ، بل أنا غائبٌ من غير كاف التشبيه ، والله ما أملكُ تصرُّفي ولا فِكْري في أمْري ، أرى واحداً في قَتْلِ حَبَل^(١) ، وآخر في حَنْزِ بئر ، وآخر في نَضْبِ فَخٍّ ، وآخر في دَسِّ حِيَلَةٍ ، وآخر في تَقْبِيحِ حَسَنِ ، وآخر في شَحْذِ حَدِيدٍ ، وآخر في تَمْزِيْقِ عِرْضٍ ، وآخر في اخْتِلاقِ كَذِبٍ ، وآخر في صَدْعِ مُلْتَحِمٍ ، وآخر في حَلِّ عَقْدٍ ، وآخر في نَفْثِ سِحْرِ ، وناري مع صاحبي رَمَادٍ ، وريحه على عاصِفةٍ ، ونَسِيْمِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَمُومٌ ، ونَصِيْبِي مِنْهُمُومٌ [وغموم] ، وإني أحدثكم بشيء تَعْلَمُونَ [به] صِدْقِي في شَكْوَايَ ، وتَقِفُونَ منه على تَفْسُخِي^(٢) تَحْتَ بَلْوَايَ ، ولولا أنني أُلْقِي بالحديث لَهَبًا قد تَفَرَّمَ صَدْرِي بِهِ نَارًا ، وأَحْتَشَى فَوَادِي مِنْهُ أَوَارًا ؛ لما تَعَدَّدْتُ بِهِ ، ولو اسْتَطَعْتُ طَيْهَهُ لَمَا نَبَسْتُ بِحَرْفٍ مِنْهُ ، ولكن كِتَابِي للحديث أَنْقَبُ لِحِجَابِ الْقَلْبِ مِنَ أَلَمَتِهِ لِسُورِ الْقَصْرِ .

دَخَلْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ فَوَصَلْتُ^(٣) إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ لِي قَدْ أَعَدْتُ الْخِلْعَةَ فَالْبَسْهَا عَلَى الطَّائِرِ الْأَسْمَدِ ، فَقُلْتُ أَفْعَلُ ، وَفِي تَذَكُّرِي^(٤) أَشْيَاءٌ لَا بَدَّ مِنْ ذِكْرِهَا وَعَرْضِهَا .

فَقَالَ : هَاتِ ، فَقُلْتُ : يُتَقَدَّمُ^(٥) بِكَذَا وَكَذَا ، وَيُفْعَلُ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : عِنْدِي جَمِيعُ ذَلِكَ ، أَمَضِ هَذَا كُلَّهُ ، وَأَصْنَعْ فِيهِ مَا تَرَى ، وَمَا فَوْقَ يَدِكَ يَدٌ ، وَلَا عَلَيْكَ لِأَحَدٍ أَعْتَرَا ضٌ ؛ فَانْقَلَبْتُ عَنِ الْمَجْلِسِ إِلَى زَاوِيَةٍ فِي الْحُجْرَةِ ، وَفِيهَا تَحَدَّرَتْ دُمُوعِي ، وَعَلَا شَهيقِي ، وَتَوَالَى نَشيجِي ، حَتَّى كِدْتُ أَفْتَضِحَ

(١) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين مهملة بعض حروفها من النقط تتمتع بقرائتها .

(٢) في كلتا النسختين « تفسخي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « فدخلت » . (٤) في (أ) « وفي فكري » .

(٥) يتقدم بكذا ، أي يؤص به .

فَدَنَا مَنِي بَعْضُ خَدَمِي مِنْ ثِقَاتِي ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ النَّاسُ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ
بُرُوزَكَ بِالْخِلْمَةِ الْمُبَارَكَةِ وَالتَّشْرِيفِ الْمَيْمُونِ ، وَأَنْتَ فِي نُوحٍ وَنَدَمٍ ؟؟ فَقُلْتُ :
تَنَحَّ عَنِّي سَاعَةً حَتَّى أَطْفِئَ نَارَ صَدْرِي ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْعَارِضُ لِأَنِّي كُنْتُ
عَرَضْتُ عَلَى صَاحِبِي تَذْكَرَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ ، فَأَمَضَاهَا كُلَّهَا ، وَلَمْ
يُنَظِرْنِي فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا زَادَنِي شَيْئًا فِيهَا ، وَلَا نَظَرَ نِي عَلَيْهَا ، وَلَعَلِّي قَدْ بَلَوْتُهُ
بِهَا ، وَأَخْفَيْتُ مُغْزَايَ فِي ضِمْنِهَا ، فَخُيِّلَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْحَالِ أَنَّ غَيْرِي يَقِفُ
مَوْقِفِي ، فيَقُولُ فِي قَوْلَا مُزْخَرَفًا ، وَيَنْسِبُ إِلَيَّ أَسْرًا مُؤَلَّفًا ، فَيَمِضُ ذَلِكَ
أَيْضًا لَهُ كَمَا أَمَضَاهُ لِي ، فَوَجَدْتُنِي ^(١) بِهَذَا الْفِكْرِ الَّذِي قَدْ فَتَقَى لِي ^(٢) هَذَا
النُّوعَ مِنَ الْأَمْرِ كَرَأْفَةٍ عَلَى صَفْحَةِ مَاءٍ ، أَوْ كَقَابِضٍ فِي جَوْءٍ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هَوَاءٍ ؛
أَوْ كَمَنْ يَنْفُخُ فِي غَيْرِ قَنَمٍ ، أَوْ يَلْعَبُ فِي قَيْدٍ ^(٣) ، وَلَقَدْ صَدَّقَ الْأَوَّلُ حَيْثُ قَالَ :

وَإِنْ أَسْرًا دُنْيَاءُ أَكْبَرُ هَمِّهِ لَمَسْتَمْسِكُ مِنْهَا بِجَبَلٍ غُرُورٍ

غَيْرَ أَنِّي أَذْكَرُ لَكُمْ مَا عَنِّي ^(٤) مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .

إِغْلَمُوا إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّ مَا نَظَّمَهُ ^(٥) الْمَاضِي — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَأَصْلَحَهُ ، وَبَنَاهُ
وَقَوَّمَهُ ، وَنَسَجَهُ وَنَوَقَهُ ^(٦) لَا يَسْتَحِيلُ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا خَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَأَنَّ

(١) فِي (ب) « فَوَجَدْتُهُ » ؛ وَسَبَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِي (١) .

(٢) فِي (١) « فِي » .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « فِي مَد » ؛ وَظَاهِرُ أَنَّ مَعْنَاهُ لَا يَنْسَابُ مَا هُنَا ؛ وَلَعَلَّهُ عَرَفَ
عَمَّا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (ب) : « مَا عَرَفِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) : « مَا يَظْهَرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) : « وَقَوَّمَهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاظُحُ أَنَّ (١) وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي وَرَدَتْ

فِيهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا .

الحال تدوم على ذلك المنهاج ، وتستمر على ذلك السَّيَّاح ، ونكون قد أخذنا بطريق من السَّعادة ، وبلغنا لأنفسنا بعض ما كنا نسلط عليه التَّمَنَّى من الإرادة فنَجْمَعُ بين علو المرتبة ، وشرَفِ الرِّياسة ، ونيل اللذة ، وإدراك السرور ، وأصطناع العُرف ، وكسب الثناء ، ونشر الذِّكر ، وبعْدِ الصَّيت ، فماد ذلك كله بالصد ، وحال إلى الخلاف ، ووقف على الفكر المُضني ، والخوف المُقِلق ، واليأس الحَيّ ، والرجاء الميت ؛ وما أحسن ما قال القائل :

أَطْمَعَنِي ^(١) الدُّنْيَا فَلَمَّا جَنَّتْهَا مُسْتَسْقِيَا مَطَرَتْ عَلَى مَصَائِبِهَا
فقال له ابن زُرعة : إن الأمور كلها بيد الله ، ولا يُسَنَّجَزُ الخَيْرُ إلَّا منه ، ولا يُسْتَدْفَعُ الشرُّ إلَّا به ، فسله بجمل الصَّنْع [وحسن التية] وأتو الخير ، وبث الإحسان ، وكل أعداءك إلى ربك الذي إذا عَرَفَ صِدْقَكَ وتَوَكَّلَكَ عليه قَلَّ حَدَمُ ، وَعَفَرَ خَدَمُ ، وَسَبَّحَ الْفَرَاتُ إِلَى جَمْرِهِمْ حتى يُعْطِفُهَا ، وَسَلَطَ الْأَرْضَ عَلَى أَيْدَانِهِمْ حتى تَقْرِيضُهَا ، وَشَغَلَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَخَالَفَ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ ، وَصَدَّعَ شَمْلَ جَمِيعِهِمْ ، وَرَدَّهم إِلَيْكَ صَاغِرِينَ ضَارِعِينَ ، وَعَرَضَهُمْ عَلَيْكَ خَاضِعِينَ . وما ذلك على الله بَعِزِيزٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ عَلَى الْمُسِيئِينَ .

قال : والله لقد وَجَدْتُ رَوْحاً ^(٢) كثيراً بما قُلْتُ لَكُمْ وما سَمِعْتُ مِنْكُمْ ، وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ يُعِينُ الْمَظْلُومَ ، وَيُهِينُ الظَّالِمَ . قد تَمَطَّى اللَّيْلُ ، وَتَغَوَّرَتِ النُّجُومُ ، وَحَنَّ الْبَدَنُ إِلَى التَّرَفُّهِ ؛ فَإِذَا شِئْتُمْ ^(٣) . فَأَنْصَرَفْنَا مُتَمَجِّجِينَ .

(١) في (١) : « أطمعني » . وفي (ب) : أطمعني ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين . والبيت المتن .

(٢) الروح ينتح الراء والراحة كلاهما بمعنى واحد .

(٣) هذه الجملة أريد بها الإيدان بالانصراف .

الليلة الثالثة والثلاثون

هَذَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَالِخَةِ — وَكَانَ قَدْ اسْتَزَادَنِي — فَكُتِبَتْ (١)
لَهُ هَذِهِ الْوَرَقَاتُ وَقُرَأَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ كَلَامًا كَثِيرًا عِنْدَ كُلِّ مَا مَرَّ بِمَا يَكُونُ
صِدْقًا لِدَلَالَةِ الْحَدِيثِ ، خَزَلَتْهُ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ .

قَالَ سَمَاءُ الرَّائِيَةِ : عَنْ قَتَادَةَ قَالَ زِيَادُ لَغَيْلَانَ بْنِ خَرْشَةَ : أَحِبُّ أَنْ
تُحَدِّثَنِي عَنِ الْعَرَبِ وَجَهْدِهَا وَضَنْكِ عَيْشِهَا لِتَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا
بِهَا . فَقَالَ غَيْلَانُ : حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : تَوَالَّتْ عَلَى الْعَرَبِ سِنُونَ [سَبْعٌ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ] حَصَّتْ (٢) كُلُّ شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ عَلَى بَكْرِ لِي فِي الْعَرَبِ ، فَكُنْتُ
سَبْعًا لَا أَذُوقُ فِيهِمْ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْأَلُ بَعِيرِي مِنْ حَشَرَاتِ [الْأَرْضِ] حَتَّى
دَنَوْتُ (٣) إِلَى حِوَاءِ (٤) عَظِيمٍ ، فَإِذَا بَنِيَّتُ جَجِيشٍ (٥) عَنِ الْحَيِّ ، فَلِئْتُ إِلَيْهِ ،
فَخَرَجْتُ إِلَى امْرَأَةٍ طَوَالَةَ حَسَانَةَ (٦) ، فَقَالَتْ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ
الْقِرَى . فَقَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ آتَرْنَاكَ بِهِ ، وَالِدَالُ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاهِيهِ ،
جُسَ هَذِهِ الْبُيُوتَ فَأَنْظُرْ إِلَى أَعْظَمِهَا ، فَإِنْ يَكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ فَفِيهِ .
فَقَعَلْتُ حَتَّى دَنَوْتُ (٧) إِلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بِي صَاحِبُهُ وَقَالَ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ
يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ (مِنْ) طَعَامٍ ؟ قَالَ :

(١) فِي (ب) : « أَهْلَكْتُ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . يُقَالُ : حَمَسَ الشَّعْرَ وَنَحَمَهُ
إِذَا اسْتَأْصَلَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَلَعَتْ » . (٣) الْحِوَاءُ : جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ .

(٤) الْجَعِيشُ : مَنْ قَوْلُهُمْ : رَجُلٌ جَعِيشٌ الْمَلْ إِذَا نَزَلَ نَاحِيَةً عَنِ النَّاسِ وَلَمْ يَنْطَلِقْ
بِهِمْ . وَيُرِيدُ بِهَذَا الْمَنْزِلَ وَالْمَنْزَالَ عَنْ مَنَازِلِ ذَلِكَ الْحَيِّ .

(٥) طَوَالَةُ حَسَانَةَ ، أَيْ طَوِيلَةُ حَسَنَةٍ .

(٦) فِي (ب) : « دَفَعْتُ إِلَيْهِ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

لا، قال: فوالله ما وقر في أذني شيء كان أشدَّ عليَّ منه. فقال: هل عندك من شراب؟ قال: لا، ثم تأوّه وقال: قد أبقينا في ضرع فلانة^(١) شيئاً لطارق إن طرّق، قال: فأت به، فأتى العطن فأبتعها، فحدثني عني أنه شهد فتع أصفيهان وتستر ومهرجان^(٢) فذق وكور الأهواز وفارس، وجاهد عند السلطان وكثر ماله وولده، قال: فما سمعت شيئاً قط كان ألدَّ لي من شخب تلك الناقة في تلك العلبة، حتى إذا ملأها ففاضت من جوانبها وأرتفعت عليها رغوّة كجمة^(٣) الشيخ أقبل بها نخوي فبئر بعودي أو حجير، فسقطت العلبة من يده، فحدثني أنه أصيب بأبيه وأمه [وولده] وأهل بيته، فما أصيب بمصيبة أعظم عليه من ذهاب العلبة؛ فلما رآني^(٤) كذلك ربُّ التبت خرج شاهراً سيفه، فبعث الإبل ثم نظر إلى أعظمها سناماً، على ظهرها مثل رأس الرجل الصعل^(٥)، فكشف عن فوهته^(٦) ثم أوقد ناراً، وأجّيب سنامها، ودفع إلى مذبة وقال: يا عبد الله، اصطل واجتمل^(٧) فجعلت أهوى بالبضعة إلى النار، فإذا بلغت إناها أكلتها، ثم مسح ما في يدي من إهالتها على جلدي، وكان قد قرح^(٨) على عظمي حتى كأنه شن^(٩)، ثم شربت ماءً وخررت مغشياً عليّ، فما أفتت إلى السحر.

- (١) فلانة: كتابة عن اسم بعض نياقه. وفي (١): النلاية؛ وهو تحريف.
 (٢) تستر: مدينة عظيمة بخورستان. ومهرجان فذق: كورة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة، من نواحي الجبال. وغير هذين من البلاد المذكورة هنا معروف فلا، فتضى لتعريف به.
 (٣) الجمة: مجنم شعر الرأس، وهي أكبر من الوفرة.
 (٤) في (ب): «فلما رأى ذلك». (٥) الصعل: الدقيق الرأس.
 (٦) فوّة النسي: أعلاه، يريد أعلى السنام. وفي الأصول ما يشبه في الرسم كلمة عرقوبها ولا. فتضى لكشف عرقوب الناقة هنا. (٧) اجتمل الشعم: أذابه في النار.
 (٨) قرح على عظمي: أي يئس من وهج الحر وبعد عهده بالماء.
 (٩) الشن: المزاغة اليابسة الخلفة.

فَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثِ وَقَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنَا بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا ، فَتَنِي
الْمَنْزُولُ بِهِ ^(١) . قُلْتُ : عَامِرُ ^(٢) بْنُ الطَّقِيلِ . قَالَ : أَبُو عَلِيٍّ ؟ قُلْتُ : أَبُو عَلِيٍّ .
وَاسْتَعَادَنِي الْوَزِيرُ [أَدَامَ اللَّهِ عُلُوَّهُ] هَذَا الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ وَأَكْثَرَ التَّعَجُّبِ ،
وَقَالَ : صَدَقَ الْقَائِلُ فِي الْعَرَبِ : مُنِعُوا الطَّعَامَ وَأَعْطُوا الْكَلَامَ .

تَنَدَّى أَبُو الْعَتِيَاءِ عِنْدَ ابْنِ مَكْرُمٍ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُرَاقًا ^(٣) ، فَلَمَّا جَسَّهُ قَالَ :
قَدَّرْتُكُمْ هَذِهِ قَدْ طُبِخَتْ بِشِطْرِنَجٍ ^(٤) .

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمًا قِدْرًا فَوَجَدَهَا كَثِيرَةَ الْعِظَامِ ، فَقَالَ : هَذِهِ قِدْرٌ أَمْ قَبْرٌ ؟
وَأَكَلَ عِنْدَهُ أَبُو الْعَتِيَاءِ يَوْمًا ، فَسُقِيَ ثَلَاثَ شَرَبَاتٍ بَارِدَةٍ ، ثُمَّ طَلَبَ
الرَّابِعَةَ فَسُقِيَ شَرْبَةً حَارَّةً ، فَقَالَ : [لَعَلَّ] مَرَّئِلَتُكُمْ ^(٥) تَمْتَرِيهَا تُحْيِي ^(٦) الرَّبْعَ .
قَالَ سَلَمَةُ : بَقِيَ أَبُو النَّمَقَامِ بِبَغْدَادَ وَكُنَّا نَأْتِيهِ وَنَسْمَعُ مِنْهُ ، فَجَاءَنَا بِحَفْنَةٍ
فِيهَا جُوزَابٌ ^(٧) فَجَعَلَ أَصْحَابُنَا يَأْكُلُونَ ، ثُمَّ أَتَانَا بِسَقُودٍ فِيهِ بَرَايِيسُ فَسَلَّمَهَا
فِي الْجَنْفَةِ ، فَلَمَّ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ قَدْ دُهِوا ، فَجَعَلُوا يَسْتَقِيمُونَ مَا أَكَلُوا .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ : [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِي جَارَتَانِ بَأَيْتُهُمَا أَبْدَأُ ؟
قَالَ : « بَادَأْتُهُمَا بِأَبَا مِنْكَ ^(٨) » .

(١) فِي (١) : « عَلَيْهِ » .

(٢) عَامِرُ بْنُ الطَّقِيلِ : هُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابِ الْعَامِرِيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَيْدٍ .

(٣) الْعُرَاقُ : الْمَغْلَمُ الَّذِي أَخَذَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ .

(٤) يُرِيدُ بِهَذِهِ الْعِسَارَةَ وَصَفَ مَا فِي الْقَدْرِ بِالْبَيْسِ وَالصَّلَابَةِ كِيَادِقِ الشَّطْرِنَجِ .

(٥) الْمَرْمَلَةُ : جَرَّةٌ أَوْ خَافِيَةٌ خَضِرَاءُ فِي وَسْطِهَا ثَقْبٌ فِيهِ قَصْبَةٌ مِنَ الْفَضَّةِ أَوْ الرِّسَاسِ

يُشْرَبُ مِنْهَا .

(٦) حَمَى الرَّبْعِ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ يَوْمًا وَتَدَعِي يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ تَجِيءُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ .

(٧) الْجُوزَابُ : طَعَامٌ يَتَّخِذُ مِنْ سَكَّرٍ وَأَرْزٍ وَلَحْمٍ ، وَهُوَ فَارَسِيٌّ .

(٨) فِي (ب) : « إِلَيْكَ » .

وقال حكيم : يَنْبَغِي أَلَّا يُعْطَى الْبَخِيلُ أَكْثَرُ مِنْ قُوَّتِهِ ، لِيُحْكَمَ
عليه بِمَثَلٍ مَا حَكَمَ [به] على نفسه .
وقال الشاعر :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْمَصْرَةٌ^(١) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَرَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ مِرْخَةٌ^(٢) يَزُخُّهَا ثُمَّ يَنَامُ الْفَخَّةُ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَوْخَلَةٌ^(٣) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَلَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِرْشَقَةٌ^(٤) وَنَشَقَةٌ^(٥) يَلَأُ مِنْهَا كَفَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ كِرْدِيدَةٌ^(٦) يَا كُلُّ مِنْهَا وَهُوَ ثَانٍ جِدَّةً

وقال أبو فرعون الشاشي يخاطب الحجاج :

يَا خَيْرَ رَكْبٍ سَلَكَوا طَرِيقًا وَيَمَمُوا مَكَّةَ وَالْعَقِيقَا
وَأَطْعَمُوا ذَا الْكَدِّكَ وَالسَّوِيقَا وَالْخَشْكَفَانِ^(٧) الْيَابِسَ الرَّفِيقَا

(١) القومصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري ؛ وينسب هذا الشعر إلى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ . والمزخة : زوجة الرجل لأنه يزخها ، أى يجامعها ؛ والفخة : نومة النداء ، وقيل نومة التعب . وفي الأصل : الفخة بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٣) الدوخلة : سفينة من خوص يوضع فيها التمر والربط ؛ وهى كالزليل . والملة : الرمة .
(٤) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ ، والمرشفة : خرقه ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تصير في الإناء ؛ وإنما يفعل ذلك إذا قل الماء . ذكره صاحب اللسان وأورد هذا البيت شامداً عليه .

(٥) في الأصل : « ومنشر » ؛ وهو تحريف . والنشقة : خرقه تنشف بها اليد .
(٦) الكرديدة : القطعة العظيمة من التمر . وهو ثان جيد ؛ أى وهو في راحة ودعة .
(٧) الخشكفان : الحيز اليابس ، وهو المعروف عندنا بالسكويت . انظر المعجم الفارسي الانجليزي لاستاينجاس .

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْجُوعَ يَطْرُدُهُ رَغِيفٌ وَمِنْهُ الْكَفُّ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الطاعم ^(١) الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » .
قَبْلَ مُزَبَّدٍ ^(٢) جَارِيَةٍ بَحْرَاءَ ، فقال لها : أَطْلُتْكِ تَحْشِيَتِ بَكْرِشَ ، أَوْ احْتَشَيْتِ
صَحْنًا ^(٣) ؛ فقالت : مَا أَكَلْتُ إِلَّا خَرَدَلًا . قال : قَدْ ذَهَبَ النُّصْفُ الثَّانِي
وَبَقِيَ مَا قَبْلَهُ .

قال شاعر :

وَبَاتُوا يُعْشَوْنَ الْقُطَيْعَاءَ ضَيْفَهُمْ وَحَدَّثُ الْبَرْزِيِّ فِي جُلَلِ دُسْمٍ ^(٤)

وقال آخر :

وَمَا أَطْعَمُونَا الْأَوْتَسْكَى ^(٥) مِنْ مَتَاحَةٍ وَلَا مَنَعُوا الْبَرْزِيَّ إِلَّا مِنَ الْبُخْلِ
سَمِعْتُ الْحِجَاجِيَّ يَقُولُ : كُلِّ الْخُبْزِ أَوْ السَّمَكِ ، فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا كَانَ
مُطِيعًا ؛ فَإِذَا نَفَيْتَ فَقُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ وَالسَّمَكِ ؛ فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا لَمْ
يَقْصِكَ ؛ وَإِذَا قُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ أَوْ السَّمَكِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَحَدُهُمَا

(١) الطاعم ، أى ذو الطعام ، أو المعلوم .

(٢) فى كلتا النسختين « مزيد » بالياء المثناة ؛ وهو تصحيف . ومزيد بالموحدة هو صاحب النوادر المرووف .

(٣) الصحن والصحناء — وعمدان ويقصران — لإدام يتخذ من السمك الصغار ؛ مشة

مصلح للعمدة

(٤) القطيعاء : التمر السهريز ، والتمر السهريز : الصغير ، وهو أردأ التمر ؛ وقيل هو البسر قبل أن يدرك ؛ والبرزى نوع جيد من التمر . والجلّة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر . والدسم : الغلاظ .

(٥) الأوتسكى ، هو التمر السهريز ؛ وهو والقطيعاء التى تقدم شرحها فى الماشية السابقة واحد ؛ وفى المخصص « الزوم » مكان « البخل » ؛ وفى الأصل : « الأربكى » مكان « الأوتسكى » ؛ وهو تحريف .

لأن التقدير في النفي لا تأكل أحدهما ، والتقدير في الإيجاب اثنتان هما شئت ؛
فهذه خاصية أو . السويق : الجشيش^(١) ، لأنه رُضَّ وكُسِرَ . المجشَّة : رَحَى
صغيرة يُجشُّ بها . رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الشُّبْرَمَ^(٢) عِنْدَ
أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَقَالَ : « حَارَّةٌ حَارَّةٌ » ، وَأَمَرَ بِالسَّنَا^(٣) .

وَيُقَالُ : أَكَلُ الْبَطِيخِ^(٤) تَجْفَرَةً ، أَيْ يَقْطَعُ مَاءَ الْفَسَاخِ .

وَيُقَالُ : فَلَانٌ عَظِيمُ الْمَجْرَاشِ^(٥) أَيْ الْوَسَطِ ، فَرَسٌ مُجْرَشٌ^(٦) الْجَفْنَيْنِ
وَأَجْرَأَشْتُ^(٧) الْإِبِلُ ، إِذَا بَطِنَتْ ، وَإِبِلٌ مُجْرَشَةٌ^(٨) أَيْ بَطَانٌ ؛ وَيُقَالُ :
كَفَأْتُ^(٩) قِدْرِيكُمْ ، وَهِيَ مَا أَرْتَفَعَ مِنْهَا عِنْدَ الْقَلَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو عَبَّاسٍ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « لَيْسَ
بِمُؤْمِنٍ مَنْ بَاتَ شَبَعَانَ [رِيَّانَ] وَجَارَهُ جَائِعٌ طَاوٍ » .

قَالَ عُمَرُ : مُدْمِنٌ اللَّحْمِ كَدْمِنِ الْخَمْرِ .

وَقَالَ لَقِيَطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَدْمُ أَصْحَابَهُ يَوْمَ جَبَلَةَ :

(١) في الأصل : « الحشيش » ؛ وهو تصحيف .

(٢) الشبرم : نبات له حب كالمدس ، وأوراقه تشبه الطرخون . وفي النهاية لابن الأثير
عن أم سلمة أنها شربت الشبرم الخ فقال إنه حارٌّ حارٌّ ، وفسر الشبرم بأنه حب كالحبس يطبخ
ويشرب ماؤه لتداوى ، وقيل إنه نوع من الشيع ، أخرجه الزمخشري عن أسماء بنت عميس .
(٣) السنا . نبات معروف في الأدوية ، له حل إذا يبس وحركته الريح سمعت له زجلا
الواحدة ستانة ، وعرفه بعضهم بأنه نبات يشبه الحناء ، زهره إلى الزرقاء وحبّه مفرطج إلى
الطول مريض الأوراق وأجوده الحجازي ، ويعرف بسنامكة ؛ وقد يقال له السنا المسكي ؛ ونوع
آخر يثبت ببلاد الروم ويقال له السنا الرومي .

(٤) في الأصل : « البطيخ » بالحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٥) وردت هذه الألفاظ التي تحت هذا الرقم في الأصل بالحاء والسين المهملتين ؛ وهو
تصحيف ؛ والتصويب عن كتب اللغة .

(٦) في الأصل : « كباء » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف ، والتصويب عن كتب اللغة .

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالكَأْسَ الْأَنْفَ
لِلضَّارِبِينَ الْمَامَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قيل لدُبٍّ : لَمْ تَفْقِرْ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ مِنْ كَثَرَةِ مَا تَأْكُلُ [مِنْ] عِنَبِهِ ؟ فقال :
لَا تَلْنِي ، فَإِنَّ بَيْنَ يَدَيَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَنْجَحِرُ فِيهَا فَلَا أَنْلَعُ إِلَّا بِالْهُوَاءِ .

قال ابن الأعرابي : إِذَا أَقْدَحَ ^(١) الرَّجُلُ مَرْءَةً بَعْدَ مَرْءَةٍ فَأَطْعَمَ لَحْمَهُ
الْمَسَاكِينَ سُمِّيَ مَتَمِّمًا ، وَبِهِ سُمِّيَ ابْنُ نُؤَيْرَةَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

إِنِّي أَتَمُّ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ مَتْنِي الْأَيْدِي ^(٢) وَأَكْمُوا الْجَفْنَةَ الْأَدْمَا

الْزَنْمُ ^(٣) مِنْ فُتَاتِ الطَّعَامِ ، وَيُقَالُ التَّرْمُ أَيْضًا [مَا فَضَلَ مِنْ ^(٤) الطَّعَامِ

فِي الْإِنَاءِ] ، وَيُقَالُ : طَعَامٌ ذُو نُزُلٍ ^(٥) . وَالْمَلِيحُ وَالْمَلْحُ : السَّمْنُ ، يُقَالُ :
تَمَلَّحْتُ الْجَارِيَةَ وَتَحَلَّمْتُ إِذَا سَمِمْتُ .

وقال أبو الطمحان القينى ^(٦) :

وإِنَّ لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا كَشَطَتْ مِنْ جِلْدِ أَشْمَثَ أَغْبَرَا

هَكَذَا سَمِمْتُ . وَيُقَالُ : سَمِنَ حَتَّى كَانَتْ خَرَسٌ ^(٧) ، وَالْخَرَسُ ^(٧) : الدَّنُّ

بَعِيْنُهُ . وَفِي الْمَثَلِ : « إِنَّ آخِرَ الْخَرَسِ ^(٧) لَدُرْدِي » أَيْ آخِرُ الدَّنِّ دُرْدِي .

(١) أقدح الرجل ، أى ضرب بالفداح فى اليسر .

(٢) كذا ورد هنا البيت فى اللسان ؛ والذى فى الأصل : « متنى الأمانى » مكان قوله :
متنى الأيدى ؛ وهو تحريف . والأدم : بضمين هو الأدم بتسكين الدال ، أى ما يؤتد به .
يقول : إنه يفوز بهذا اللحم فيطعمه المساكين .

(٣) فى الأصل : الترم ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن كتب اللغة .

(٤) لم ترد هذه العبارة فى (١) النقول عنها وحدها هذا الكلام ، غير أنها تكملة يقتضيها
سياق الكلام أخذنا من كتب اللغة ؛ ووضح أن الكلام بدونها يكون ناقصاً .

(٥) ذو نزل ، أى ذو بركة .

(٦) فى الأصل : « العنبي » ؛ وهو تصحيف .

(٧) فى الأصل : « الحرش » ؛ وهو تصحيف فى المواضع الثلاثة التى تحت هذا الرقم .

وَأُنْشِدُ:

حَبْدًا صَنِيفُ حَبْدًا مِنْ أَوَانٍ وَزَمَانٍ يَفُوقُ كُلَّ زَمَانٍ
 زَمَنُ الْخَمْرِ وَالْمَسَاوِرِ وَالْجَشَنِ^(١) وَوَرْدِ^(٢) الْخِلَافِ وَالرَّيْحَانِ
 زَمَنُ كَانَتْ الْمَضَارِ^(٣) فِيهِ بُلُحُومُ الْجِدَاءِ وَالْعُضَلَانِ
 وَصُدُورُ الدَّجَاجِ بِالْخَلِّ وَالْمَرْمَى وَنَثَرِ السَّدَابِ وَالْأَنْجَذَانِ^(٤)
 وَسِمَانٍ مِنَ الْقَرَارِيجِ تُنْقَلَى بِعَصِيرِ الْأَغْنَابِ وَالرُّثْمَانِ
 وَشِوَا الْوَزَةِ اللَّذِيذَةِ وَالْقَا رِصَ بَيْنَ الْحَلِيبِ وَالْأَلْبَانِ
 وَنَقَى السَّوِيْقِ بِالسَّكَّرِ الْمَذَى خَوْلٍ فِي الثَّلْجِ فِي الرَّجَاجِ الْبِمَانِ
 وَقِلَالٍ تُعْطَى مِنْ بَكْرَاتٍ مُرَوِيَاتٍ غَلَائِلَ الْعَطَشَانِ
 وَأَعْتَرَضَ حَدِيثُ الْعِلْمِ ، فَأَنْشَدَ ابْنُ عُثَيْدٍ الْكَاتِبُ لِسَابِقِ الزُّيْرِيِّ قَوْلَهُ :
 الْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أَسَأْتَ إِجَابَةً وَأَسَأْتَ فَهْمًا

(١) الجشن : لفظ فارسي معناه مجتمعات الناس في الأعياد والولائم ونحو ذلك ، كما في المعجم الفارسي الإنجليزى لاستاينجاس . ولم نجد للمساوِر معنى يناسب السياق ، فلعله تحريف لم نهتد إلى وجه الصواب فيه . وفي الأصل : (ومن) مكان (زمن) ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل « ورد » مكان (وورد) ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ومن كانت المضار » ؛ وفيه تحريف لا ينبغي . والمضائر : جمع مضيرة وهي لحم يطبخ باللبن المضير ، أى الحامض ، وقد يخلطون به الحليب . أما كيفية عملها فقد ذكرت في كتب الأطعمة فانظرها .

(٤) الأنجذان : نبات له أصل أغلظ من الإصبر ، وقرون كقرون اللوباء ، فيها حب كالقدس ؛ وهو فارسي معرب .

آخر :

الْعِلْمُ يُنْمِشُ أَقْوَامًا فَيَنْقَمُهُمْ^(١) كَالْقَنْيِثِ يُدْرِكُ عِيدَانَا فَيُخَيِّبُهَا
فقال الوزير : عندى فى صحيفه حِفْظُ الصَّبَا : الْعِلْمُ سِرَاجٌ يُجَلِّى الظُّلْمَةَ ،
وَضِيَاءٌ يَكْشِفُ الْعَمَى .

التَّذَلُّلُ مَكْرُوهٌ إِلَّا فى اسْتِفَادَتِهِ ، وَالْحِرْصُ مَذْمُومٌ إِلَّا فى طَلَبِهِ ، وَالْحَسَدُ
مَنْعِيٌّ عَنْهُ إِلَّا عَلَيْهِ .

ثم عاد الحديث إلى المأخلة : (٢)

حدثنى مُطَهَّرُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ عَنْ ابْنِ قَرَارَةَ الْعَطَّارِ قَالَ : اجْتَمَعَ ذَاتَ
يَوْمٍ عِنْدَى عَلَى الْمَائِدَةِ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مُقَلَّةَ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيُّ ، وَكَانَ ابْنُ
مُقَلَّةَ يُفَضِّلُ الْهَرِيرَةَ ، وَكَانَ الْيَزِيدِيُّ يُفَضِّلُ الْجُودَابَةَ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
يُصِفُ النُّوعَ الَّذِى يَقُولُ بِهِ وَيُؤْثِرُهُ ، فَقَالَ الْيَزِيدِيُّ : الْهَرِيرَةُ طَعَامُ السُّوقِيِّينَ
وَالسُّقَلَةُ ، وَلَيْسَتِ الْجُودَابَةُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؛ فَقَالَ لِي ابْنُ مُقَلَّةَ : مَا أَسْمُ الْجُودَابَةِ
بِالْفَارَسِيَّةِ ؟ فَقُلْتُ جَوَزَابُ^(٣) ، فَقَالَ : ضُمَّ الْكَافُ^(٤) . وَفَهِمْتُ مَا أَرَادَ ،
فَقُلْتُ : نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، وَاللَّهُ لَقَدْ عَافَيْتَهَا نَفْسِي ، وَسَكَتَ الْيَزِيدِيُّ .

قال يزيد بن ربيع : الْكَبَابُ طَعَامُ الصِّعَالِيكِ ، وَالْمَاءُ وَاللَّحُّ طَعَامُ
الْأَعْرَابِ ، وَالْمِرْأَسُ وَالرُّهُوسُ طَعَامُ السَّلَاطِينِ ، وَالشُّوَاهُ طَعَامُ الدُّعَارِ ، وَالزَّيْتُ طَعَامُ أُمَمَانَا .

(١) ينقمهم ، أى يروهم ، وفى الأصل « ينغمهم » بالفاء ؛ ولعل سوابه ما أثبتنا
أخذنا من التشبيه . (٢) ضبطنا هذا اللفظ بفتح الجيم وبالزاي بعدها لما تقتضيه النكتة
الآتية . وهذا اللفظ بالفارسية ينطق بالذال أو الزاي كما فى معجم استاينجاس بمعنى الطعام الذى
يتخذ من اللحم والأرز والسكر والبندق .

(٣) أراد بالكاف هنا الكاف الفارسية ومى تنطق جيا مصرية ، ويعبر إلى لفظ جوز
بالفارسية وهو الفساء ؛ فهو يفره من هذا الطعام بهذه النكتة .

وَحَدَّثَنِي أَبُو نُصَيْبٍ الصُّوفِيُّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَمْرِو الشَّارِئِيُّ ^(١) صَاحِبُ
الْخَلِيفَةِ : انْهَضْ بِنَا حَقَّ نَبْتِنَا ، فَإِنَّ عِنْدِي مَصُوصًا ^(٢) وَهَلَامًا ^(٣) وَبَقِيَّةَ
مُطَجَّنَةٍ ، وَشَيْئًا مِنَ الْبَازَنْجَانِ الْبُورَانِيِّ الْبَائِتِ الْحَمَرِّ . قُلْتُ : هَذِهِ كُلُّهَا تَزَايِينُ
الْمَائِدَةِ ، فَأَيْنَ الْأَذَمُ ؟

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ يُكْثِرُ أَكْلَ الْجُذَابِ
وَلَا يُؤْثِرُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَكَانَ يَقُولُ : يَشُدُّ الْعَصْدَيْنِ ، وَيَقْوَى السَّاعِدَيْنِ ، وَيَجْلُو
النَّظَرَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي سَمْعِ الْأَذْنَيْنِ ، وَيَحْمَرُّ الْوَجْنَتَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي اللَّيْلِ ، وَهُوَ
طَعَامُ شَعْيٍ ، فَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟

وَبَلَغَ الْمَنْصُورَ وَصْفُهُ هَذَا ، فَقَالَ : بِحَقِّ مَا وَصَفَهُ ، وَلَا نَقْبِلُ أَكْلَهُ .
وَقَالَ وَكَيْعُ بْنُ الْجِرَّاحِ : التَّمْتِينُ ^(٤) عَلَى الْمَائِدَةِ خَيْرٌ مِنْ زِيَادَةِ لَوْنَيْنِ ،
وَكَأَلُ الْمَائِدَةِ كَثْرَةُ الْخُلْبِزِ ، وَالسَّمِيدُ الْأَبْيَضُ أَحْلَى مِنَ الْأَصْفَرِ .

وَكَانَ يَمْحِي بْنُ أَكْثَمٍ يَحِبُّ ^(٥) الْجُذَابَ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِّنْ [يَحْضُرُ] عِنْدَهُ
يَمْعِبُ الْجُذَابَ ، فَقَالَ يَمْحِي : إِنْ ثَبَتَ عِنْدِي هَذَا تَوَقَّعْتُ عَنْ شَهَادَتِهِ ، وَحَكَمْتُ
عَلَيْهِ بِضَعْفِ الْحَسِّ وَقَلَّةِ التَّمْيِيزِ ، فَبَلَغَ الرَّجُلَ ذَلِكَ ، فَأَحْتَرَسَ ، فَقَالَ لَهُ يَمْحِي
يَوْمًا : مَا قَوْلُكَ فِي الْجُذَابِ ؟ فَقَالَ : أَشْرَفَ مَا أَكَلْتُ وَأَطْيَبُهُ ، سَهْلٌ لِلدَّخْلِ ،
لَذِيذٌ لِلطَّعْمِ ، حَيِّدٌ الْغِذَا ، قَلِيلٌ الْأَذَى . قَالَ : أَصَبْتَ ، هَكَذَا أُرِيدُكَ .
أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ قَالَ : مَا مِنْ دَاخِلٍ إِلَّا وَلَهُ حَيَرَةٌ ، فَأَبْدَهُهُ

(١) كَذَا فِي (ب) : وَالْقِي فِي (١) : « ابْنُ أَبِي صَمْرَةَ الشَّرَائِي » .

(٢) الْمَوْصُوسُ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَطْبَخُ وَيَنْقَعُ فِي الْمَلْحِ ؛ وَيَكُونُ مِنْ لَحْمِ الطَّيْرِ خَاصَّةً .

(٣) الْهَلَامُ كَنْزَابٌ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَجْلِبُ بِجِلْدِهِ ؛ وَقِيلَ مَرَقُ السَّكْبَاجِ الْبَرْدُ الْمَصْفَى

(٤) التَّمْتِينُ : تَهْوِيَةُ الطَّعَامِ بِالْأَفْوَاهِ .

مِنَ الدَّهْنِ .

(٥) فِي (١) : « يُوْثِرُ » .

بالسلام ، وما من مدْعُوٍّ إلا وله حِشْمَةٌ ، فابدؤوه باليمين ^(١) .

قال حُذَّان : قلتُ لجاريةٍ آردتُ شراءَها — وكانت ناعمةَ البدنِ رَطْبَةً شَطْبَةً ^(٢) غَضَّةَ بَضَّةٍ — : ما كان غِذاؤُك عند مولاي ؟ قالت : المَبْطَنُ . قلتُ : وما المَبْطَنُ ؟ قالت : الأرزُ الرِّيانُ مِنَ اللَّبَنِ ، بالفالوذجِ الرِّيانُ من العسلِ ، والخبِيصَةُ الرِّيانَةُ مِنَ الدَّهْنِ والسكرِ والزَّعفرانِ . قلتُ : حقٌّ لكِ .

وقال ابنُ الجِصَّاصِ الصُّوفِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ رَوْحِ الْأَهْوَازِيِّ فقال : ما تقولُ في صَحْفَةٍ أَرَزِي مَطْبُوحٍ ، فيها نَهْرٌ مِنْ سَمْنٍ ، على حافتيها كُتُبَانُ مِنَ الشُّكْرِ التَّمْخُولِ ، فدمَعَت عَيْنِي ، فقال : مالك ؟ قلتُ : أبكي شَوْقًا إِلَيْهِ ، جعلنا الله وإِيَّاكَ مِنَ الْوَارِدِينَ عَلَيْهِ بِالْفَوَاصِ وَالرَّدَّادَتَيْنِ . فقال لي : ما الفَوَاصِ [والرَّدَّادَتان] ^(٣) ؟ قلتُ : الفَوَاصِ الْإِبْهَامُ ، والرَّدَّادَتَانِ : السَّبَابَةُ وَالْوُضْطَى . فقال : أحسنتَ ، بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ .

شَكَرَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ الْجُجُوعِ فقال : أَكْذَكَ وَأَنْتَ تَنْثُ نَثٌ ^(٤) الْحَمِيَّتِ ؟ أَيْ تَرْتَشِحُ كَمَا يَرْتَشِحُ الزُّقُّ .
وقال ابنُ سُكْرَةَ :

أَطْمَعَنِي فِي خَرُوفِكُمْ خَرَفِي فَجِئْتُ مُسْتَعْجِلًا وَلَمْ أَقِفْ
وَجِئْتُ أَرْجُو أَطْرَافَهُ فَعَدَّتْ فِي طَرَفِي وَالسَّيَّاتُ ^(٥) فِي طَرَفِي

(١) في (١) : « بالتمييز » ؛ وهو تحريف .

(٢) الشطبة : الجارية الحسناء الغضة ؛ وقيل الطويلة .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيها أخذنا من الجواب .

(٤) في الأصل : « تمت مت » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلائعاً للصادر التي بين أيدينا ، ونصه فيها ؛ وفي حديث سمر أنه جاءه رجل فقال له : هلكت . فقال له : أهلكت وأنت تنث كما ينث الحميت ؟

(٥) في الأصل : « والشمال » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن يتيمة الدهر .

وَحَدِّثُونِي مِنْ ذِكْرِ رُزَّتِهِ يَا حَرَّ صَدْرِي لَهَا وَيَا لَهْفِي
عَايِنْتُهُ وَالَّذِي يُفَصِّلُهُ وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَى شَفَا جُرْفِ
مَا حَلَّ بِي مِنْكَ عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَا كُنْتُ إِلَّا فَرِيسَةً التَّلَفِ

ويقال : القانع غني وإن جاع وعري ، والحريص فقير وإن ملك الدنيا .
قيل لإبراهيم الخليل - عليه السلام - : بأي شيء أتخذك الله خليلاً ؟
قال : بأني ما خيَّرتُ بين أمرين إلا اخترتُ الذي لله ، وما أهتممتُ لما
تكفل لي به ، وما تغذيتُ وما تعشيتُ إلا مع ضيف .

وأعترض حديث فقال : أنشدني بَيْتِي ابن غسان البصريُّ في حديث
بختيَّار ، يعني عزَّ الدولة ، فأنشدته :

أَقَامَ عَلَى الْأَهْوَاِ سِتِّينَ لَيْلَةً يَدْبِرُ أَمْرَ الْمَلِكِ حَتَّى تَذْمُرَا
يَدْبِرُ أَمْرًا كَانَ أَوَّلُهُ عَمَى وَأَوَسَطُهُ نُكْلًا وَآخِرُهُ خَرًا
فقال : ما أعجب الأمور التي تأتي بها الدهور ! عُدْ إِلَى قِرَاءَتِكَ ،
فَعُدْتُ وَقَرَأْتُ .

رَوَى فِي الْحَدِيثِ : لَا تَأْكُلُوا ذِرْوَةَ الثَّرِيدِ ، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِيهَا .
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَمَلِكُ الْمَجِينِ أَحَدُ الرَّيْعَيْنِ ،
وَالْمَرْقَةُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَالبَلاغَةُ أَحَدُ السَّبْقَيْنِ ^(١) وَالنَّمْيُ أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ ^(٢)
أَرَادَ مُزِيدٌ أَضْحِيَّةً فَلَمْ يَجِدْهَا ، فَأَخَذَ دِيكًا لِيَضْحَى بِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ جِيرَانُهُ
شَاءَ شَاءَ حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ سَبْعُ شَيْءٍ ، فَقَالَ دِيكِي أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِسْعَاقٍ
لأنه فُدِيَ بِكَبْشٍ ، وَدِيكِي بِسَبْعَةٍ .

(١) في الأصل : الشَّيْبَيْنِ ؟ وهو تحريف ؟ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٢) في الأصل . « السلون » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

الْكُتْلُ : اللَّحْمُ ^(١) ، وَالْمَنِيْمَةُ ^(٢) : شَهْوَةُ اللَّبَنِ ، وَالْقَرَمُ : شَهْوَةُ اللَّحْمِ .
 وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِقَّ قَلْبُهُ فَلْيَكْثِرْ مِنْ أَكْلِ
 الْبَلَسِ » . قِيلَ : هُوَ التَّيْنُ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

يَمُنُّ عَلَى التَّزْوِيجِ شَبِيحِي وَفِي التَّزْوِيجِ لِي هَمٌّ وَشُغْلُ
 وَكُنْتُ مِنَ الْهُمومِ رَخِيًّا بِالِ فَحَلَّ مِنَ الْهُمومِ عَلَى قَلْبِي
 فَقُلْتُ لَهُ : مَنَنْتَ بِغَيْرِ مَنْ وَمَالَكَ بِالَّذِي أَسَدَيْتَ فَضْلُ
 أَغْزَابِ الْعَشِيرَةِ لَوْ عَلِمْتُمْ بِحَالِ حِينَ لِي بَيْتٌ وَأَهْلُ
 عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ فِي حَالِ عَيْشٍ رَخِيًّا مَالَهُ يَا قَوْمُ عَذْلُ
 قَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ : أَمَلِي بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِالْكُوفَةِ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِهَ السَّمَرَ إِلَّا فِي الْفَقْهِ ، يَرِيدُ كَثْرَةَ السَّمَرِ إِلَّا فِي الْفَقْهِ .
 قِيلَ لِمِيسِرَةِ الرَّأْسِ ^(٣) : مَا أَكْثَرُ مَا أَكَلْتُ ؟ قَالَ : مَائَةٌ رَغِيفٍ بِكَتْلَةِ
 مِلْحٍ ؛ فَقِيلَ هَذَا أَكَلْتُكَ فِي بَيْتِكَ ؟ قَالَ : آكُلُ فِي بَيْتِي رَغِيفَيْنِ ، وَأُحْتَشَى ^(٤)
 إِلَى اللَّيْلِ فِشْلَ الْخَيْلِ .

تَنَاوَلَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ تَفَاحَةً فَأَكَلَهَا ، فَقِيلَ : وَيَحْكُ ، تَأْكُلُ
 التَّحِيَّاتِ ؟ فَقَالَ : وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ .

يُقَالُ : الطَّنْمَةُ : السَّكْسَبُ . وَيُقَالُ : جَثْتُ بِالطَّنْمَةِ . وَالطَّنْمُ : الْعَطَامُ :

(١) الكتل : اللحم ، أى القطع منه ، الواحدة كتلة ، وفي الأصل « الكبل » بالباء ؛ وهو تصحيف .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل مضطربة الحروف تتمذر قراءتها ، وما أثبتناه

من كتب اللغة . (٣) في (ب) : « التراس » .

(٤) في كلتا النسختين : « وأجشأ » ؛ وهو تحريف .

وَالطَّم : الذَّق . وهذه الأرضُ طُعْمَةٌ لَكَ وَطُعْمَةٌ .

قال إسحاق : كنت يوما عند أحمد بن يوسف الكاتب ، فدخل أحمد بن أبي خالد الكاتبُ ونحن في الغناء ، فقال : والله ما أُجِدُ شيئاَ مما أنتم فيه . قال إسحاق : فهانَ عليَّ وخفَّ في عيني ، فقلت له كالستهزيُّ به ، جُعِلْتُ فداك ، فَصَدَّتْ إلى أَرْقَى شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ وَأَلْيَنِهِ عَلَى الْأُذُنِ وَالْقَلْبِ ، وَأُظْهِرِهِ لِلشُّرُورِ وَالْفَرَحِ ، وَأَنْفَاهُ لَهُمَّ وَالْحُزْنَ ، وَمَالِي لِلجَّوَارِحِ مِنْهُ مَوْؤَنَةٌ غَلِيظَةٌ ، وَإِنَّمَا يَقْرَعُ السَّمْعَ وَهُوَ مِنْهُ عَلَى مَسَافَةٍ ، فَتَطَرَّبُ لَهُ النَّفْسُ ، فَذَمَّتْهُ ! ؟ وَلَكِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : لَا يَجْتَمِعُ فِي رَجُلٍ شَهْوَةٌ كُلُّ لَذَّةٍ ، وَبَعْدُ ، فَإِنَّ شَهْوَةَ كُلِّ رَجُلٍ عَلَى قَدَرِ تَرْكِيبِهِ وَمِزَاجِهِ . قال : أَجَلٌ ، أَمَا أَنَا فَالطَّعَامُ الرَّقِيقُ أَغْجَبُ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَاءِ . فقلت : إِي وَاللَّهِ وَلَحْمُ الْبَقَرِ وَالْجَوَامِيسِ وَالتَّبُوسِ الْجَبَلِيَّةِ بِالْبَازِ نَجَانِ الْمُبَرَّرِ أَيْضًا تُقَدِّمُهُ ؟ فقال : [الْغِنَاءُ ^(١)] مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، وَقَدْ كَرِهَهُ قَوْمٌ . قلتُ فَأَلْخُتَلَفَ ^(٢) فِيهِ أَطْلَقَهُ لَنَا حَتَّى تُجِزِمُوا عَلَى تَحْرِيمِهِ ، أَعْلَمْتَ — جُعِلْتُ فداك — أَنَّ الْأَوَائِلَ كَانَتْ تَقُولُ : مَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ [عَلَى] حَقِيقَتِهِ مَاتَ . فقال : اللَّهُمَّ لَا تُسَمِّعْنَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِذَا فَنِمُوتَ . فَاسْتَظَرَفْتُهُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ ، وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ الطَّعَامَ فَشَغِلَ مِنْ ذَمِّ الْغِنَاءِ .

قال سعيد بن أبي عروثة : نَزَلَ الْحِجَّاجُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَقَالَ لِلْحَاجِبِ : اُنْظُرْ أَعْرَابِيًّا يَتَقَدَّمُ مَعِيَ ، وَأَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَتَنَلِرُ الْحَاجِبُ إِلَى أَعْرَابِيٍّ بَيْنَ شَمَلَيْنِ ، فَقَالَ : أَجِبِ الْأَمِيرَ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَّاجُ : إِذَنْ فَتَقَدَّمْ مَعِيَ . فَقَالَ : إِنَّهُ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قال : وَمَنْ هُوَ ؟ قال : اللَّهُ عَزَّ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في كلتا النسختين : « فالاختلاف » ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

وَجَلَّ دَعَانِي إِلَى الصَّوْمِ فَصُمْتُ، قَالَ: أَيْ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِ؟ قَالَ: نَعَمْ، صُمْتُه لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا. قَالَ: فَأُفْطِرُ وَصُمْ غَدًا. قَالَ: إِنْ صُمَمْتُ لِي الْبَقَاءَ إِلَى غَدٍ. قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ. قَالَ: فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدُرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ. قَالَ: إِنَّكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَلَا الْغَبَّازَ؛ وَلَكِنَّ الْعَافِيَةَ طَيَّبَتْهُ، وَلَمْ يُفْطِرْ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ.

قال أعرابي: هَذَا الطَّعَامُ مَطْيَبَةٌ لِلنَّفْسِ، مَحْسَنَةٌ لِلْجِسْمِ.

قال أبو حاتم: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: قَالَ أَبُو طَلِيحَةَ الْجِرْمَازِيُّ^(١): قَالَ أَعْرَابِيٌّ: ضِيفْتُ رَجُلًا فَأَنَا نَا بَجْبَزٍ مِنْ بُرٍّ كَأَنَّهُ مَنَاقِبُ النَّفْرَانِ^(٢)، وَأَنَا نَا بَهْمَزٍ كَأَعْنَاقِ الْوَرْلَانِ^(٣)، يَوْحَلُ فِيهِ الضَّرْسُ.

وقال آخر: ونظر إلى رَجُلٍ يَأْكُلُ بِالتَّيْنِ وَالْقَمْ وَالْيَدِ وَالرَّأْسِ وَالرَّجْلِ: لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ اسْمِهِ لَمَّا ذَكَرَهُ، وَلَوْ طَلَعَ وَلَدُهُ الْغَائِبُ عَلَيْهِ مَا عَرَفَهُ:

يَلْتَبُّ بِالْخَمْسَةِ فِي قَصْمَةٍ لَيْتَبُ أَخِي الشُّطْرَنْجِ بِالشَّاءِ

قال ابن الأعرابي: كَانَ لِلْمُحَسَّنِ الضُّبِّيِّ^(٤) شَرِّهَا عَلَى الطَّلْعِ، وَكَانَ دَجِبًا، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ ذَاتِ يَوْمٍ: كَمْ عِيَالُكَ؟ قَالَ: تِسْعُ بَنَاتٍ. قَالَ: فَأَيْنَ هُنَّ مِنْكَ. فَقَالَ: أَنَا أَحْسَنُ مِنْهُنَّ وَهِنَّ آكَلُ مَتًى؛ فَضَحِكَ. وَقَالَ: جَازَ^(٥) مَا سَأَلْتَ لَهْنًا. وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ [فَقَالَ]:

(١) فِي الْأَسْلِ: «الْجِرْمَازِيُّ»؛ وَهُوَ تَصْغِيرُ.

(٢) النَّفْرَانُ: جَمْعُ نَفَرٍ يَضُمُ فَتْحَ، وَهُوَ فَرَخُ الْمَصْفُورِ أَوْ طَائِرٌ يَعْجَبُهُ.

(٣) الْوَرْلَانُ: جَمْعُ وَرْلٍ بِالتَّحْرِيكِ، وَهُوَ دَابَّةٌ شَبِيهَةٌ بِالضَّبِّ.

(٤) فِي (١) الْمُحَفِّى مَكَازٍ: الْمُحَسَّنُ، وَفِي (ب) «الْأَلْسِي» مَكَانُ الضُّبِيِّ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٥) جَازَ مَا سَأَلْتَ، أَيْ قَدْ أَمَرْنَا بِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمُ: السَّرُورُ تَوْقِيعُ جَائِزٍ، أَيْ نَافِذٍ.

مَنْشُورٌ فِي وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: «جَاه».

إذا كنت مُرْتَادَ الرَّجَالِ لِنَفْسِهِمْ فَنَادِ^(١) زِيَادًا أَوْ أَخَا زِيَادٍ
يُحِبُّكَ اسْرُوءُ يُعْطَى عَلَى الْحَدِّ مَالَهُ إذا ضَنَّ بِالْمَرْوِفِ كُلُّ جَوَادٍ
وقال سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ :

ثُمَّ أَطْلِمُ زَادِي غَيْرَ مُدْخِرٍ أَهْلَ الْمَحَلَّةِ مِنْ جَارٍ وَمِنْ جَادِي^(٢)
قَدْ يَنْلِمُ الْقَوْمُ إِذْ طَالَ اغْتِرَابُهُمْ وَأَرْمَلُوا الزَّادَ أَنِّي مُنْفِدُ زَادِي
وقال السَّمَاعُ بْنُ بَكْرٍ :

وَالسَّالِي الشُّبْرِي^(٣) لَا أَضْيَافِهِ كَأَنَّهَا أَعْضَادُ حَوْضٍ بِقَاعٍ
لَا يَخْرُجُ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ رِوَالُ شِبَاعٍ
أَوْرَدَ أَعْرَابِيٌّ إِلَيْهِ ، فَأَبَى أَهْلُ الْمَاءِ أَنْ يُجِيزُوهُ ، وَقَالُوا : إِبْلُكَ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ
أَوْرَدْتَ فَشَرَطْنَا أَنْ تَقِفَ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ وَتَسْقَى مَا جَاءَكَ مِنْهَا ، وَلَا تُحَاجِزُ^(٤)
بِهَا ؛ قَالَ : أَقْلُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رُبَّ طَبِيعٍ مِنْ جَلِّ مُلْهَوِّجٍ يَسْلُتُهُ الْقَوْمُ وَلَمَّا يَنْضَجِ
حُشٌّ بِشَيْءٍ مِنْ ضِرَامِ الْعَرَنْجِ^(٥)
فَأَنْقَضَتْ الْإِبِلُ كُلَّهَا عَلَى الْمَاءِ فَشَرِبَتْ .

قال الشاعر :

شَرِبُ النَّدِيدِ عَلَى الطَّعَامِ قَلِيلُهُ^(٦) فِيهِ الشَّيْءُ فَهَلْ وَصِيحَةُ الْأَبْدَانِ

(١) في (١) : « فبادر » . (٢) الجادى : طالب الجدوى .
(٣) الشُّبْرِي بكسر الشين وفتح الزاى خشب أسود تصنع منه الفصاع . ويريد هنا
نفس الفصاع ؛ وأعضاء الحوض ما عهد حوله من البناء . وفي الأصل : « السرى » مكان قوله :
« الشبزي » ؛ وهو تصحيف . (٤) المحاجة : المانعة .
(٥) حش النار : أوقدها ، والمرفج ضرب من النبات سهل سريع الاتقاد وهو من شجر
الصبغ وهو لين أغبر إلى الخضرة له ثمرة خشنة كالحسك وزهره أصفر ولهبه شديد الحمرة
(٦) في الأصل : « بلية » ؛ وهو تحريف .

وإذا شَرِبْتَ كَثِيرَهُ فَكَثِيرُهُ مُرْجٌ عَلَيْكَ رَكائبُ الشَّيْطَانِ
فَتَكُونُ بَيْنَ الضَّاحِكِينَ كَبُومَةٍ غَمِيَاءَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْغُرَبَانِ
فَأَحْذَرُ بِمِثْلِكَ أَنْ تُنْزَى كَجَنِينَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ تُقَادُ بِالْأُرْسَانِ
قال حمزة المصنف في بعض كتبه : قال النبي صلى الله عليه وسلم لسلطان
الفراسي : أَنْ اتَّخِذَ لَنَا سُورًا ، أَى طَعَامًا كَطَعَامِ الْوَلِيَّةِ ، وَهِيَ فَارِسِيَّةٌ .
قال شيخنا أبو سعيد السِّيرافي : أَخْطَأَ هَذَا الْمَنَاقِلُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ سَلَّمَ أَنْ اتَّخَذَ لَنَا خَنْدَقًا يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، لِأَنَّهُ حَفَضَ^(١) عَلَى ذَلِكَ ،
وَلَيْسَ ذَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّفْظِ .

وقال جُعَيْفِرُ بْنُ الْمُوسَى فِي وَصْفِ عَصِيدَةٍ :

وَمَاءُ عَصِيدَةٍ حَمْرَاءُ تَحْكِي إِذَا أَبْصَرْتَهَا مَاءُ الْخَلْقِ^(٢)

تَزِلُّ عَنْ الْأَهَامَةِ تَمْرٌ سَهْلًا وَتَجْرِي فِي الْعِظَامِ فِي الْعُرُقِ

قال الحسن بن سهل : أَشْيَاءُ تَذْهَبُ هَبَاءً ، دِينَ بِلَا عَقْلٍ ، وَمَالٌ بِلَا بَذَلٍ
وَعِشْقٌ بِلَا وَصْلٍ . فقال حميد : بَقِيَ عَلَيْهِ مَائِدَةٌ بِلَا نَقْلِ^(٣) ، وَلَحْصَةٌ بِلَا فَضْلٍ .
قيل لصوفي : مَا حَدُّ الشُّبَّعِ ؟ قال : الْمَوْتُ .

وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشُّبَّعِ ؟ قال آكل حتى يقع على الثُّبَاتِ فَأَنَامَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَتَتَجَاوَى أَطْرَافِي عَنْ الْأَرْضِ .

وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشُّبَّعِ ؟ قال : أَنْ أُدْخِلَ إصْبَعِي فِي حَلْقِي فَيَصِلَ

إِلَى الطَّعَامِ .

(١) فِي الْأَسْل : « خَمْس » ؟ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٢) فِي الْأَسْوَلِ « تَحْكِي » مَكَانُ « تَحْكِي » وَ « الْخَلْقُ » مَكَانُ « الْخَلْقُ » ؟ وَهُوَ

تَحْرِيفٌ . وَالْخَلْقُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْلِ قَوَاهِ الزُّعْفَرَانِ

(٣) النِّقْلُ : مَا يَنْتَقِلُ بِهِ عَلَى الطَّعَامِ .

قال يعقوب : أصبحتُ خالفا : لا أشتهى الطعام . وخُلوْف البطنِ تَغْيَرُهُ .
ويقال : مَفَسَّنِي بَطْنِي ، وهو النَّفْس ، ورجل مَتَغُوس .
ويقال : غَمَزَنِي ^(١) بَطْنِي وَمَا كَفَى .

والعامة تقول : كلُّ ما في القَدْرِ تُخْرِجُهُ المِغْرَقَةُ ، ورجل مُقْرَضِبٌ ^(٢)
وقْرَضِبٌ ^(٣) وقْرَضَابٌ ^(٤) إذا كان أكوَّلا ، وكذلك السَّيْفُ وَاللَّصُّ ، قال الشاعر :
وليسَ يَرُدُّ النَّفْسَ عَنْ شَهْوَانِهَا مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا كُلُّ مَا ضَى الْقَزَائِمُ
ومرَّ ابنُ عاصِرٍ على عاصِرِ بنِ عبدِ القَيْسِ وهو يأكلُ بَقْلًا بِمِلْحٍ ، فقال :
لقد رضيتَ باليسير . فقال : أرْضَى مِنِّي باليسيرِ مَنْ رَضِيَ بالدُّنْيَا عَوْضًا
عن الآخِرَةِ .

(٤) قال عبد الملك بن مروان : لا تَسْتَأْكَنَّ إِلَّا عَرْضًا ، ولا تَأْكُلَنَّ إِلَّا عَضًا
ولا تَشْرَبَنَّ إِلَّا مَضًا ، ولا تَرْكَبَنَّ إِلَّا نَصًا ^(٥) ، ولا تَقْدِنَنَّ إِلَّا وَصًا .

ويقال : ملا قَرَّاح ؛ وَخُبِرَ قَفَّار : لا أَدَمَ مَعَهُ ، وَسَوِيقٌ جافٌ ، وَلِهِنَّ
صَرِيحٌ : لَمْ يَخَالِطَهُ شَيْءٌ .

وقال سعيد بن سَلَمَةَ : شَيْثَانٌ لَا تَشْبَعُ مِنْهُمَا بَيْغَدَادٌ : السَّمَكُ وَالرُّطَبُ .

قال أعرابي : أَكَلْتُ « فِرْسِكَةً » ^(٥) وَمَلَى خَوْخَةً ، فجاء غلام حَزَوْرٌ ^(٦)
فَنَظَرَ حُرَّتِي ^(٧) .

(١) في الأصل : « عمرن » بالعين والراء المهملتين ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : قرضب وقرضب ؛ وما أُمْتِنَاهُ عَنْ كِتَابِ الْاَلْفَةِ .

(٣) النمس : الارتفاع . (٤) في الأصل : « يقدن » مكان « يقدن » ؛ وهو

تحريف . وما أُمْتِنَاهُ هُوَ الْمَلَامُ الْوَسْ ، وهو الإحكام في العمل .

(٥) في الأصل : (الفرشلة) بالعين المعجمة واللام ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ والتصحيح

والضبط عن الحمص . (٦) الحزور : الغلام الذي اشتد وقوى وخدم .

(٧) في الأصل : « حديق » بالذال ؛ وهو تحريف .

الْفِرْسِيَّةُ : الْخَوْخَةُ الْمَقْدَّةُ . وَالْخَوْخَةُ : الْقَبِيصُ الْأَخْضَرُ بَطْنُ بَقَرٍ .
وَالْحُرَّةُ^(١) : الْأُذُنُ .

قِيلَ لِحَانِمِ الْأَصْمِ : بِمِ رُزِقْتَ الْحِكْمَةَ ؟ قَالَ : بِمَخْلَاقَةِ الْبَطْنِ ، وَسَخَاوَةِ
النَّفْسِ ، وَمَكَابِدَةِ الْأَيْلِ .

وَقَالَ شَقِيقُ الْبَلْخِي : الْعِبَادَةُ حِرْفَةٌ ، وَحَابُوتُهَا الْغُلُوءُ ، وَأَلَتْهَا الْجُوعُ .
قَالَ لُثْمَانُ : إِذَا أَمْتَلَأْتَ الْمِدَّةَ نَامَتِ الْفِكْرَةُ ، وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ ،
وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ .

وَقَالَ عَمْرٌ : لَوْلَا الْقِيَامَةُ لَشَارَكْنَاكُمْ فِي لَبَنِ عَيْشِكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : أَقْلِلْ طَعَامَكَ تَحْمَدُ مَنَامَكَ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَادٍ : الشَّبَعُ يُكْنَى بِالْكَفْرِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : الْجَوْعُ يُكْنَى بِالرَّحْمَةِ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

تَحَيَّرْتُ مِنْ خِيَفَةٍ أَنْ أَضِيفَهَا كَمَا أَنْحَازَتِ الْأَقْمَى مَخَافَةَ ضَارِبٍ
وَذَكَرَ الْمُهَلَّبُ اللَّحْمَ [فَقَالَ] إِذَا التَّقَى الْوَارِدُ وَالْغَائِبُ فَتَوَقَّعِ الْفَسَادَ .

الليلة الرابعة والثلاثون

وَقَالَ الْوَزِيرُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي : قَدْ وَاللَّهِ ضَاقَ^(٢) صَدْرِي بِالْفَيْظِ لِمَا يَبْلُغُنِي^(١)

عَنِ الْعَامَّةِ مِنْ خَوْضِهَا فِي حَدِيثِنَا ، وَذَكَرَهَا أُمُورُنَا ، وَتَنْبِيْهَا لِأَسْرَارِنَا ، وَتَنْقِيْرَهَا
عَنِ مَسْكُونِ أَحْوَالِنَا^(٣) ، وَمَكْتُومِ شَأْنِنَا ، وَمَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهَا ، وَإِنِّي لَأَتُّمُّ فِي

(١) فِي الْأَمَلِ : « الْحَدِيَّةُ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « فَاس » . (٣) فِي (ب) : « أَخْبَارُنَا » .

الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيد وأزجل وتنكيل شديد ، لعل ذلك يطرَحُ
 الهَيْبَةُ وَيَحْسِمُ المَادَّةَ ، وَيَقْطَعُ هذه المَادَّةَ ، لِحَاثِ اللَّهِ ، مَا لَمْ لَا يَقْبَلُونَ عَلَى
 شُؤْنِهِم المَهْمَةَ ، وَمَعَايِشِهِم النَافِعَةَ ، وَفَرَائِضِهِم الواجِبَةَ ؟ وَلَمْ لَا يَقْبَلُونَ عَمَّا لَيْسَ
 لَمْ ، وَيُرْجِفُونَ عَمَّا لَا يُجْدِي عَلَيْهِمْ ، وَلَوْ حَقَّقُوا مَا يَقُولُونَ مَا كَانَ لَمْ فِيهِ عَائِدَةٌ
 وَلَا فَائِدَةٌ ؛ وَإِنِّي لَا أُعْجِبُ مِنْ لَهْجِهِمْ ^(١) وَشَفَفِهِمْ بهذا الخُلُقِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ
 القَرَائِضِ المحتومة ، وَالوظائفِ الملزومة ؛ وَقَدْ تَكَرَّرَ مِنَّا الزَّجْرُ ، وَشَاعَ الوَعِيدُ ،
 وَفُشِيَ الإنكَارُ بَيْنَ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَلَقَدْ تَعَايَى عَلَى هَذَا الأَمْرُ وَأُغْلِقَ دُونِي
 بَابُهُ ، وَتَسَكَّأَتْ عَلَى حِجَابِهِ ، وَاقَلَّه المَسْتَعَانُ .

قُلْتُ : أَيُّهَا الوزير ، عِنْدِي فِي هَذَا ^(٢) جَوَابَانِ : أَحَدُهُمَا مَا سَمِعْتُ مِنْ شَيْخِنَا
 أَبِي سُلَيْمَانَ ، وَهُوَ مَنْ تَفَوَّقَ فِي الفَضْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَمَحَبَّةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ^(٣)
 وَالشَّمَقَةِ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ هَيْبَةٍ وَدَبَّةٍ ؛ وَالْآخَرُ مِمَّا سَمِعْتُهُ مِنْ شَيْخِ صُوفِيٍّ ، وَ
 الْجَوَابَيْنِ فَاثْنَانِ عَظِيمَتَانِ ، وَلَكِنْ الْجُمْلَةُ خَشَنَاءُ ، وَفِيهَا بَعْضُ الغِلْظَةِ ، وَالْحَقُّ
 مُرٌّ ، وَمَنْ تَوَخَّى الْحَقَّ أَحْتَمَلَ مَرَارَتَهُ .

قَالَ : فَأَذْكَرُ الْجَوَابَيْنِ وَإِنْ كَانَا غَلِيظَيْنِ ، فَلَيْسَ يُذْنَبُ بالدَّوَاءِ إِلَّا
 بِالصَّبْرِ عَلَى بَشَاعَتِهِ ، وَصُدُودِ الطَّبِيعِ عَنْ كَرَاهَتِهِ .

قُلْتُ : أَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ : لَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ اللَّهُ
 عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهُ سَائِسَ النَّاسِ : عَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ ، وَعَالَمِهِمْ وَجَاهِلِهِمْ . وَضَعَفِهِمْ
 وَقَوَّيْتِهِمْ ، وَرَاجِحِهِمْ وَشَائِلِهِمْ ، أَنْ يَضْجَرَ مَا يَبْلُغُهُ عَنْهُمْ أَوْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا : أَنَّ عَقْلَهُ فَوْقَ عُقُولِهِمْ ، وَحِلْمُهُ أَفْضَلُ مِنْ حُلُومِهِمْ ،

(١) فِي (ب) : « بِمَنْهُمْ » . (٢) فِي (ب) : « لِهَذَا » .

(٣) فِي (١) : « هَذِهِ الْمَقَالَةُ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

وَصَبَّرَهُ أَنْتُمْ مِنْ صَبْرِهِمْ ؛ وَمِنْهَا أَنَّهُمْ إِنَّمَا جُعِلُوا تَحْتَ قُدْرَتِهِ ، وَيَنْطَلِقُوا بِتَدْيِيرِهِ ، رَاخُتِيرُوا بِتَضَرِيفِهِمْ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، لِيَقُومَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ، وَيَصْبِرَ عَلَى جَهْلِ جَاهِلِهِمْ ، وَيَكُونَ عِمَادُ حَالِهِ مَعَهُمُ الرَّفْقُ بِهِمْ ، وَالْقِيَامُ بِمَصَالِحِهِمْ ، وَمِنْهَا أَنَّ التَّلَاقَ الَّذِي بَيْنَ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ الرَّعِيَّةِ قُوَّةٌ ، لِأَنَّهَا إِلَهِيَّةٌ ، وَهِيَ أَوْشَجُ مِنَ الرَّحِمِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ ، وَالْمَلِكِ وَالذَّكِيِّ ، كَمَا أَنَّ الْوَالِدَ مَلِكٌ صَغِيرٌ ، وَمَا يَجِبُ عَلَى الْوَالِدِ فِي سِيَاسَةِ وَلَدِهِ مِنَ الرَّفْقِ بِهِ ، وَالْحُسْنُ عَلَيْهِ ، وَالرَّقَّةُ لَهُ ، وَاجْتِلَابُ الْمَنْفَعَةِ إِلَيْهِ ، أَكْثَرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْوَلَدِ فِي طَاعَةِ وَالِدِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَلَدَ غَيْرٌ ، وَقَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْكُونِ ، وَجَاهِلٌ بِالْحَالِ ، وَعَارٍ مِنَ التَّجَرُّبَةِ ، كَذَلِكَ الرَّعِيَّةُ الشَّيْبَةُ بِالْوَلَدِ ، وَكَذَلِكَ لِلْمَلِكِ الشَّيْبَةُ بِالْوَالِدِ ؛ وَمَا يَزِيدُ هَذَا الْمَقْنَى كُشْفًا ، وَيُكْسِبُهُ لُطْفًا ، أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَكُونُ مَلِكًا إِلَّا بِالرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ الرَّعِيَّةَ لَا تَكُونُ رَعِيَّةً إِلَّا بِالْمَلِكِ ، وَهَذَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَضَايِفَةِ ، وَالْأَسْمَاءِ الْمُتَنَاصِفَةِ ؛ وَبِسَبَبِ هَذِهِ التَّلَاقِ الْمُشْكِكَةِ وَالْوَصْلَةِ الْوُشَّيْجَةِ ، مَا لَهَجَتِ الْعَامَّةُ بِتَعَرُّفِ حَالِ سَائِسِهَا ، وَالنَّاضِرِ فِي أَمْرِهَا ، وَالْمَالِكِ لِمَامِهَا ، حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَيَانٍ مِنْ رِقَاقَةِ عَيْشِهَا ، وَطِيبِ حَيَاتِهَا ، وَدُرُورِ مَوَارِدِهَا ، بِالْأَمْنِ^(١) الْفَاشِي بَيْنَهَا ، وَالْعَدْلِ الْفَاضِلِ عَلَيْهَا ، وَالْخَيْرِ الْمَجْلُوبِ إِلَيْهَا ، وَهَذَا أَمْرٌ جَارٍ عَلَى نِظَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَمُنْدُوبٌ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ .

قال : ولو قالت الرعية لسلطانها : لم لا نخوضُ في حَدِيثِكَ ، وَلَا نَبْتَثَ عَنْ غَيْبِ أَمْرِكَ ، وَلِمَ لَا نَسْأَلُ عَنْ دِينِكَ وَنَحْلَتِكَ وَعَادَتِكَ وَسِيرَتِكَ ؟ وَلِمَ لَا نَقِفُ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَمَصَالِحِنَا مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ ، وَخَيْرَاتُنَا مُتَوَقَّعةٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِالْأَمْنِ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

من جهتك ، وسررتنا ملحوظة^(١) بتدبيرك ، ومساءتنا مصروفة باهتمامك ، وتظلمنا مرفوع بمرزك ، ورفاهيتنا حاصلة بحسن نظرك وجميل اعتقادك ، وشائع رحمتك ، وبلغ اجتهادك ، ما كان جواب سلطانها وسائسها ؟ أما كان عليه أن يعلم أن الرعية مصيبة في دعواها التي بها استطلت ، بلى والله ، الحق متعرف به وإن شغب الشاغب ، وأعنت المعتنت .

قال : لو قالت الرعية أيضاً : ولم لا تبحث عن أمرك ؟ ولم لا تسمع كل غث وسمين منا ؟ وقد ملكت نواصينا ، وسكنت ديارنا ، وصاдрتنا على^(٢) أموالنا ، وحلت بيننا وبين ضياعنا ، وقاسمتنا مواريتنا ، وأنسيتنا رفاغة^(٣) القبس ، وطيب الحياة ، وطمانينة القلب ، فطرقتنا نخوة ، ومساكيننا منزلة^(٤) ، وضياعنا مقطعة ، ونعمنا مسلوبة ، وحرماننا مستباح ، وتقذنا زائف ، وخارجنا مضاعف ، ومعاملتنا سيئة ، وجندنا متفطرس ، وشرطينا منحرف ، ومساجدنا خربة ، ورؤوفها منتهبة ، ومارستاننا خاوية ، وأعداؤنا مستكلبة ، وعيوننا سخينة ، وصدورنا مقيظة ، [وبلغتنا متصلة] ، وفرحنا مغدوم ؛ ما كان الجواب أيضاً عما قالت وما لم تقل ، هيبة لك ، وخوفاً على أنفسها من سطوتك وصوتك ؟

وحكى لنا في عرض هذا الكلام أنه رُفِعَ إلى الخليفة المفتضد أن طاقة من الناس يجتمعون [بباب الطاق ويجلسون] في دكان شيخ تبان ، ويخوضون في الفضول والأراجيف وفنون من الأحاديث ، وفيهم قوم سراة

(١) في (ب) : « ملحقة » ؟ وهو تحريف . (٢) في (أ) : « من أموالنا » .

(٣) في (ب) : « رفاغة » بالعين للهلة ؟ وهو تصحيف ؟ ورفاغة العيش : خفضه ولينه .

(٤) في (ب) : « ومنازلنا مسكونة » .

وَتَنَاءٌ^(١) وَأَهْلُ بَيُوتَاتٍ سِوَى مَنْ يَسْتَرِقُ السَّمْعَ مِنْهُمْ مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ ، وَقَدْ تَقَافَمَ فَسَادُهُمْ وَإِفْسَادُهُمْ ، فَلَمَّا عَرَفَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ ضَاقَ ذَرْعًا ، وَحَرَجَ صَدْرًا ، وَأَمْتَلَأَ غَيْظًا ، وَدَعَا بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَرَمَى بِالرَّفِيعَةِ^(٢) إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَنْظِرْ فِيهَا وَتَفَهَّمْهَا . فَعَمِلَ ، وَشَاهَدَ مِنْ تَرْبُدٍ^(٣) وَجَهَ الْمُعْتَصِدِ مَا أَرْجَعَ سَاكِنَ صَدْرِهِ ، وَشَرَّدَ آلِفَ صَبْرِهِ ، وَقَالَ : قَدْ فَهَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا الدَّوَاءُ ؟ قَالَ : تَتَقَدَّمُ بِأَخْذِهِمْ وَصَلْبِ بَعْضِهِمْ وَإِحْرَاقِ بَعْضِهِمْ وَتَتَرَقَّى بَعْضِهِمْ ، فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ إِذَا اخْتَلَفَتْ ، كَانَ الْهَوْلُ أَشَدَّ ، وَالْهَيْبَةُ أَفْشَا ، وَالزَّجْرُ أَنْجَعُ ، وَالْعَامَّةُ أَخَوْفُ . فَقَالَ الْمُعْتَصِدُ — وَكَانَ أَعْقَلَ مِنَ الْوَزِيرِ — : وَاللَّهِ لَقَدْ بَرَدْتُ لَهَيْبِ غَضَبِي^(٤) بِفُوزَتِكَ هَذِهِ ، وَنَقَلْتُ إِلَى الْإِلَيْنِ بَعْدَ الْغِلْظَةِ ، وَحَمَطْتُ عَلَى الرَّفْقِ ، مِنْ حَيْثُ أَشْرَنْتَ بِالْخَرْقِ ، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَعِيزُ هَذَا فِي دِينِكَ وَهَدْيِكَ وَمُرُوءَتِكَ ، وَلَوْ أَمَرْتُكَ بِبَعْضِ مَا رَأَيْتَ بِعَقْلِكَ وَحَزَمِكَ لَكَانَ مِنْ حُسْنِ الْمُوَازَنَةِ وَمَبْدُولِ النَّصِيحَةِ وَالنَّظَرِ لِلرَّعِيَّةِ الضَّعِيفَةِ الْجَاهِلَةِ أَنْ تَسْأَلَنِي^(٥) الْكَفَّ عَنْ الْجَهْلِ ، وَتَتَبَعَنِي عَلَى الْحِلْمِ ، وَتُحَبِّبَ إِلَيَّ الصَّنْعَ وَرُغْبَتِي فِي فَضْلِ الْإِغْضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ سَاءَنِي جَهْلُكَ بِحُدُودِ الْعِقَابِ وَبِمَا تُقَابِلُ بِهِ هَذِهِ الْجُرَازِ ، وَبِمَا يَكُونُ كُفًّا لِلذُّنُوبِ ، وَلَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ بِهَذَا الرَّأْيِ وَدَلَلْتَ عَلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَقِلَّةِ الرَّحْمَةِ وَبُيْسِ الطَّيْنَةِ وَرِقَّةِ الدِّيَانَةِ ، أَمَا تَقْلَمُ أَنْ الرَّعِيَّةَ وَدِيْعَةَ اللَّهِ عِنْدَ سُلْطَانِهَا ؟ وَأَنْ اللَّهَ يُسَائِلُهُ عَنْهَا كَيْفَ سُسَّتْهَا ؟ وَلَعَلَّهُ

(١) التناء : الدهاقين والرؤساء .

(٢) الرفعة : الرقعة المرفوعة .

(٣) في كلتا النسختين : « من يريد » ؟ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) : « لهيب غيظي بقسوتك » ؟ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في (١) : « على » ، ولم يظهر منها في (ب) إلا نون ويا ، وسائرهما مطبوس .

لَا يَسْأَلُهَا عَنْهُ ، وَإِنْ سَأَلَهَا فَلْيُؤْكَدِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ مِنْهَا ؛ أَلَا تَذَرِي أَنْ أَحَدًا مِنَ
الرَّعِيَّةِ لَا يَقُولَ مَا يَقُولُ إِلَّا لَظْمَ لَحِقِهِ أَوْ لَحِقَ جَارِهِ ^(١) ، وَدَاهِيَةَ نَالَتِهِ أَوْ نَالَتِ
صَاحِبَهَا ؟ وَكَيْفَ نَقُولُ لَهُمْ : كُونُوا صَالِحِينَ أَتَقِيَاءَ مُتَقَبِّلِينَ عَلَى مَعَايِشِكُمْ ، غَيْرَ
خَائِضِينَ فِي حَدِيثِنَا ، وَلَا سَائِلِينَ عَنْ أَمْرِنَا ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي كَلَامِهَا : غَلَبْنَا
السُّلْطَانَ فَلَيْسَ فَرْقُوتُنَا ، وَأَكَلْ خُضْرَتُنَا ، وَحَقَّقُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْمَالِكِ مَعْرُوفٌ ،
وَإِنَّمَا يُخْتَمَلُ السَّيِّدُ عَلَى صُرُوفِ تَكَالُفِهِ ، وَمَكَارِهِ تَصَارِفِهِ ، إِذَا كَانَ الْعِيشَ فِي
كَتِفِهِ رَافِقًا ، وَالْأَمَلُ فِيهِ قَوِيًّا ، وَالصَّدْرُ عَلَيْهِ بَارِدًا ، وَالْقَلْبُ مَعَهُ سَاكِفًا ،
أَتُظَنُّ أَنْ الْعَمَلُ بِالْجَهْلِ يَنْتَفِعُ ، وَالْمُذَرُّ بِهِ يَسْعُ ، لَا وَاللَّهِ مَا الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ ،
وَلَا الصُّوَابُ مَا ذَكَرْتَ ، وَجَهَّ صَاحِبُكَ وَلَيْسَكُنْ ذَاخِرَةً وَرِيقٍ ، وَمَعْرُوفًا
بِخَيْرٍ وَصِدْقٍ ، حَتَّى يَعْرِفَ حَالَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَيَقِفَ عَلَى شَأْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي
مَعَايِشِهِ ، وَقَدَّرِ مَا هُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهِ وَمُنْقَلِبٌ إِلَيْهِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ فَعَلَّقَهُ
بِهِ ، وَمَنْ كَانَ سَيِّئَ الْحَالِ فَصَلِّهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يُعِيدُ نَضْرَةَ حَالِهِ ، وَيُعِيدُهُ
طُمَأْنِينَةً بِالْهَ : وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الرَّهْطِ ، وَهُوَ غَنِيٌّ مَكْنِيٌّ ، وَإِنَّمَا يُخْرِجُهُ إِلَى
دُكَّانِ هَذَا التَّتَبَانِ الْبَطَرُ وَالزُّهْوُ ، فَأَدْعُ بِهِ ، وَأَنْصَحْهُ ، وَلَا طِفْهَ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ
لَكَ ظَنَّاكَ مَسْمُوعٌ ، وَكَلَامَكَ مَرْفُوعٌ ؛ وَمَتَى وَقَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كُنْهِ ذَلِكَ
مِنْكَ لَمْ تَجِدْكَ إِلَّا فِي عَرَصَةِ الْمَقَابِرِ ، فَاسْتَأْنِفْ لِنَفْسِكَ سِيرَةً تَسْلُمُ بِهَا مِنْ ^(٢)
سُلْطَانِكَ ، وَتُحَمَّدُ عَلَيْهَا عِنْدَ إِخْوَانِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ عِظَةً لِعَيْرِكَ
بَعْدَ مَا كَانَ غَيْرُكَ عِظَةً لَكَ ؛ وَلَوْلَا أَنْ الْأَخْذَ بِالْبَجَرِ رِةَ الْأُولَى خَالَفَتْ لِسِيرَةِ
لِلثَلَاثِ ، لَسَكَانَ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُهُ مَا تَرَاهُ ، وَمَا تَرَاهُ تَوَدُّ أَنْكَ لَوْ سَمِعْتَهُ قَبْلَ أَنْ

(١) فِي كَلَامِ النَّاسِ : « حَارَةً » بِالْهَاءِ ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « عَلَى » مَكَانَ « مِنْ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِ .

تراه . فإنَّكَ يا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذَا قَمَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ بَالَيْتَ فِي الْمُتَوْبَةِ ، وَمَلَكَتَ طَرَفِي
لِلْمُضْلَحَةِ ، وَقُمْتَ عَلَى سَوَاءِ السِّيَاسَةِ ، وَنَجَوْتَ مِنَ الْعَوْبِ وَالْمَأْتَمِ فِي الْعَاقِبَةِ .
قال : وفارقَ الوزيرُ حَضْرَةَ [الخليفة] ، وعملَ بما أَسْرَبَ به على الوجهِ
اللطيفِ ، فعادت الحالُ ترفُفَ بالسَّلامَةِ العامَّةِ ، والعَاقِبَةُ القَاطِمَةُ ؛ فنقدَّم إلى الشيخِ
التَّبَّانِ بَرَفِيعِ حالٍ من يَقْعُدُ عندهُ حَتَّى يَواشِيَ إِنْ كان مُحْتَاجًا ، وَيُصَرِّفُ إِنْ
كان مُتَعَطِّلًا ، وَيُنصَحَ إِنْ كان مُتَعَمِّلًا .

فقال الوزيرُ : ما سَمِعْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، وما ظَنَنْتُ أَنَّ الخَطْبَ فِي مِثْلِ هَذَا
يَبْلُغُ هَذَا القَدْرَ ؛ فهاتِ الجوابَ الآخرَ الَّذِي حَفِظْتَهُ عَنِ الصُّوفِيِّ . فقلتُ : إِنْ
كانَ هَذَا كَافِيًا فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ .

فقال : هَكَذَا هُوَ ، وَإِنْ فِيمَا تَرَى لِكِفَايَةِ ، وما يَزِيدُ عَلَى الكِفَايَةِ ، وَلَكِنْ
الزِّيَادَةُ مِنَ العِلْمِ دَاعِيَةٌ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنَ العَمَلِ ، وَالزِّيَادَةُ مِنَ العَمَلِ جَالِبَةٌ
الْإِنْتِفَاعَ بِالْعِلْمِ ، وَالْإِنْتِفَاعَ بِالْعِلْمِ دَائِلٌ عَلَى سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ ، وَسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ
مَسْهُومَةٌ عَلَى اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ وَالْتِمَاسِ الْعَمَلِ ، حَتَّى يَكُونَ بِأَحَدِهِمَا زَارِعًا ، وَبِالْآخَرِ
حَاصِدًا ، وَبِأَحَدِهِمَا تَاجِرًا ، وَبِالْآخَرِ رَاجِعًا .

فَوَصَلْتُ الحَدِيثَ وَقُلْتُ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ قَالَ : كَفْتُ
بَنِيْسَابُورَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَقَدْ أَشْتَقَلَّتْ خُرَاسَانُ بِالْفِتْنَةِ ، وَقَبَلْتُ دَوْلَةَ
آلِ سَامَانَ بِالْجُورِ وَطُولِ الْمُدَّةِ ، فَلَجَأَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبُ الْجَيْشِ إِلَى قَايِينَ ^(١) ،
وَهِيَ حِصْنُهُ وَمَقْعَلُهُ ، وَوَرَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ صَاحِبُ جَيْشِ [آلِ] سَامَانَ نَيْسَابُورَ
بِعِدَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَعُدَّةٍ عَمِيمَةٍ ، وَزِينَةٍ فَاخِرَةٍ ، وَهَيْئَةٍ بَاهِرَةٍ ، وَغَلَا السُّفْرُ ،

(١) قايين : بلد قريب من طبرستان ، بين نيسابور وأصفهان ؛ وهي فُرْضَةُ خُرَاسَانَ .

وَأُخِيفَتِ السُّبُلُ ، وَكَثُرَ الْإِرْجَافُ ، وَسَاءَتِ الظُّنُونُ ، وَضَجَّتِ الْعَامَّةُ ، وَالتَّسَّسَ
الرَّأْيُ ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَنَبَحَ كَلْبُ سَكَبٍ مِنْ كُلِّ زَاوِيَةٍ ، وَزَارَ كُلُّ أَسَدٍ
مِنْ كُلِّ أُنْجَمَةٍ ، وَضَبَّحَ كُلُّ نَفْلَبٍ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ .

قال : وَكُنَّا جَمَاعَةً غُرَبَاءَ نَأْوِي إِلَى دَوِيرَةٍ ^(١) الصُّوفِيَّةِ لَا تَبْرَحُهَا ، فَتَارَةً
نَقْرَأُ ، وَتَارَةً نُصَلِّي ، وَتَارَةً نَنَامُ ، وَتَارَةً نَهْدِي ، وَالْجُوعُ يُقْتَلُ عَمَلَهُ ، وَنَحْنُ
فِي حَدِيثِ آلِ سَامَانَ ، وَالْوَارِدُ مِنْ جِهَتِهِمْ إِلَى هَذَا السَّكَنِ ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى
السَّيَاحَةِ لِأَسْدَادِ الطَّرِيقِ ، وَتَخَطَّفُ النَّاسَ لِلنَّاسِ ، وَشُمُولُ الْخَوْفِ ، وَغَلَبَةُ
الرَّغْبِ ، وَكَانَ الْبَلَدُ يَتَقَدَّرُ نَارًا بِالشُّوَالِ وَالتَّعْرِفِ وَالْإِرْجَافِ بِالصَّدْقِ
وَالْكَذِبِ ، وَمَا يُقَالُ بِالْمَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ ؛ فَضَاقَتْ صُدُورُنَا ، وَخَبِلَتْ سَرَائِرُنَا ^(٢)
وَأَسْتَوَى عَلَيْنَا الْوَسْوَاسُ ، وَقَلْنَا لَيْلَةً : مَا تَرَوْنَ يَا صِحَابَنَا ^(٣) [مَا] دَفَعْنَا إِلَيْهِ
مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ ، كَأَنَّا وَاللَّهِ أَصْحَابُ نَعْمٍ وَأَرْبَابُ ضِيَاعٍ نَخَافُ
عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالتَّهَبَ ، وَمَا عَلَيْنَا مِنْ وِلَايَةِ زَيْدٍ ، وَغَزَلِ عَمْرٍو ، وَهَلَاكِ بَكْرِ ،
وَنَجَاةِ بَشَرٍ ، نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ رَضِينَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَسِيرَةِ ، وَلِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ ،
بِكُسْرَةٍ يَابِسَةٍ ، وَخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ ، وَزَاوِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ مَعَ الْعَاقِبَةِ مِنْ بَلَايَا
طُلَّابِ الدُّنْيَا . فَا هَذَا [الَّذِي] يَغْتَرِبُنَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَيْسَ لَنَا فِيهَا
نَاقَةٌ وَلَا جَلَّ ، وَلَا حَظٌّ وَلَا أَمَلٌ ، قَوْمُوا بِنَاغِدًا حَتَّى نَزُورَ أَبَا زَكَرِيَّا الزَّاهِدَ ،
وَنُظَلَّ نَهَارَنَا عِنْدَهُ لَاهِينَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ ، سَاكِنِينَ مَعَهُ ، مُقْتَدِينَ بِهِ ؛ فَاتَّفَقَ
رَأْيُنَا عَلَى ذَلِكَ ، فَمَدَدَوْنَا ^(٤) وَصَرْنَا إِلَى أَبِي زَكَرِيَّا الزَّاهِدِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا رَحَّبَ

(١) فِي نَسْخَةِ « وَتَرَةٍ » مَكَانَ « دَوِيرَةٍ » . وَالتَّوَرَةُ : مَا وَتَرَ بِالْأَعْمَدَةِ مِنَ الْبُيُوتِ .

(٢) فِي (ب) : « أَفْسَنَا » . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِأَصْحَابِنَا دَفَعْنَا » ؛ وَفِي

(ب) بَيْنَ قَوْلِهِ « بِأَصْحَابِنَا » وَقَوْلِهِ « دَفَعْنَا » فَرَاغٌ بِسَعِ كَلِمَةٍ ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَ الْعِبَارَةِ مَا أَثْبَتْنَا

إِذْ هُوَ مُقْتَضَى السِّبَاقِ . (٤) فِي (ب) : « فَسَرْنَا » مَكَانَ قَوْلِهِ « فَمَدَدَوْنَا » .

بنا ، وفَرِحَ بِزِيَارَتِنَا ، وقال : ما أَشوقني إليكم ^(١) ، وما أَلْهَمَنِي ^(٢) عليكم ! الحمد لله الذي جَمَعَنِي وإياكم في مَقَامٍ واحد ، حَدَّثُونِي ما الذي سَمِعْتُمْ ، وماذَا بَلَّغْتُمْ من حديث الناس ، وأمر هؤلاء السَّلاطين ؟ فَرَجُّوا عَنِّي ؛ وقولوا لي ما عِنْدَكُمْ ، فلا تَكْتُمُونِي شَيْئًا فإني والله سَرَعَيْ في هذه الأَيَّام إِلَّا ما أَتَصَلُّ بِمُحَدِّثِيهِمْ ، وَأَقْتَرَنَ بِمُخْبِرِهِمْ ، فلما ورد عَلَيْنَا من هذا الزَّاهِد العابد ما وَرَدَ ، دُهِشْنَا وأَسْتَوَّ حَشْنًا ، وقلنا في أَنفُسنا انظروا من أى شَيْءِ هَرَبْنَا ^(٣) ، وبأى شَيْءِ عَلِقْنَا ، وبأى دَاهِيَةٍ دُهِينَا . قال : فَخَقَّقْنَا الحديثَ وَأَنسَلَّلْنَا ، فلما خَرَجْنَا قلنا : أَرَأَيْتُمْ ما مُبْلِغُنَا بِهِ ، وما وَقَعْنَا عَلَيْهِ ؟ (إِنَّ هَذَا لَمَوْ التَّيْلَاهِ الْمُبِينِ) . مِيلُوا بنا إلى أبي عمرو الزَّاهِد فله فَضْلٌ وَعِبَادَةٌ وَعِلْمٌ وَتَفَرُّدٌ في صَوْمَعَتِهِ حتى نُقِيمَ عِنْدَهُ إلى آخر النَّهار ، قد نَبَا بنا المَكَّانُ الأوَّلُ ، وبَطَلَ قَصْدُنَا فيما عَزَمْنَا عَلَيْهِ من الْعَمَلِ ، فشيْنَا إلى أبي عمرو الزَّاهِدَ وَأَسْتَأْذَنَّا ، فَأَذِنَ لَنَا ، وَوَصَّلَنَا إِلَيْهِ فَسَرَّ بِمُحْضُورِنَا ، وَهَشَّ لِرُؤْيَيْنَا ، وَأُبْتَهَجَ بِقَصْدِنَا ، وَأَعْظَمَ زِيَارَتَنَا ، ثم قال : يا أَصْحَابَنَا ما عِنْدَكُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّاسِ ؟ فَقَدْ وَالله طَالَ عَطَشِي إلى شَيْءٍ أَسْمَعُهُ ، ولم يَدْخُلْ عَلَيَّ الْيَوْمَ أَحَدٌ فَأَسْتَخْبِرَهُ ، وَإِنْ أَذْنِي لَدَى الْبَابِ لِأَسْمَعَ قَرْعَةً أَوْ أَعْرِفَ حَادِثَةً ، فَهَاتُوا ما مَعَكُمْ وما عِنْدَكُمْ ، وَقُصُّوا عَلَيَّ الْقِصَّةَ بِقَصِّهَا وَنَصِّهَا ، وَدَعُّوا التَّوَرِيَّةَ وَالْكِنَايَةَ ، وَأَذْكُرُوا الْفَتْ وَالنِّمْنَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ هَكَذَا يَطِيبُ ، وَلَوْلا الْعَظْمُ ما طَابَ الْأَحْمُ ، وَلَوْلا النَّوَى ما حَلَا التَّمْرُ ، وَلَوْلا الْقِشْرُ لَمْ يَوْجِدِ اللَّبُّ ، فَعَجَبْنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الثَّانِي أَكْثَرَ مِنْ عَجَبِنَا مِنَ الزَّاهِدِ الأوَّلِ ، وَخاطَفَنَاهُ الْحَدِيثَ ،

(١) في (ب) : « إلى زيارتكم » . (٢) في (ب) : « والهنى » .

(٣) ورد في (١) من هذه الكلمة باء ونون بعدها ألف . وفي (ب) لم يظهر منها

إلا هاء ونون وألف ؛ والسياق يقتضى ما أنبتنا .

وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَرَجْنَا ، وَأَقْبَلَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ أَظَرَفَ مِنْ أَمْرِنَا
وَأَغْرَبَ مِنْ شَأْنِنَا ؟ انظُرُوا مِنْ أَيْ شَيْءٍ كَانَ تَعْرِيمُنَا (إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَاب)
وَتَلَدَّدْنَا وَتَبَلَدَّدْنَا وَقَلْنَا يَا أَهْمَابُنَا : أَنْظِلُّوا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الضَّرِيرِ ، وَإِنْ كَانَ
مَضْرِبُهُ ^(١) بَعِيدًا فَإِنَّا لَا نَجِدُ سَكُونَنَا إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا نَنْظُرُ بَضَائِقَنَا إِلَّا عِنْدَهُ ،
لِزُهْدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَوَحُّدِهِ وَشُغْلِهِ بِنَفْسِهِ مَعَ زَمَانَتِهِ فِي بَصَرِهِ ، وَوَرَعِهِ ، وَقَلَّةِ
فِكْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ؛ وَطَوِينَا الْأَرْضَ إِلَيْهِ ، وَدَخْلَنَا عَلَيْهِ ، وَجَلَسْنَا حَوَالَيْهِ
فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَمَّا سَمِعَ بَنُو أَقْبَلٍ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مَتَى يَلْسُهُ بِيَدِهِ رُبْرَحْبَ بِهِ ،
وَيَدْعُوهُ وَيَقْرُبُ ، فَلَمَّا أَنْتَهَى أَقْبَلُ عَلَيْنَا [وَقَالَ] : أَمِنَ السَّمَاءُ نَزْلَهُمْ عَلَى ؟ وَاللَّهُ
لَسَكَّانٍ قَدْ وَجَدَتْ بَكُمْ مَأْمُولِي ، وَأَخْرَزْتُ غَايَةَ سُؤْلِي ، قُولُوا لِي غَيْرَ مُخْتَشِمِينَ :
مَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ؟ وَمَا عَزَمَ [عَلَيْهِ] هَذَا الْوَارِدُ ؟ وَمَا يُقَالُ فِي أَسْرِ
ذَلِكَ الْهَارِبِ إِلَى قَائِلِينَ ، وَمَا الشَّائِعُ مِنَ الْأَخْبَارِ ؟ وَمَا الَّذِي يَتَهَمَسُ بِهِ نَاسٌ
دُونَ نَاسٍ ؟ وَمَا يَقَعُ فِي هَوَاجِسِكُمْ وَيَسْتَبِقُ إِلَى نَفُوسِكُمْ ^(٢) ؟ فَإِنَّكُمْ بُرُودُ الْأَفَاقِ ،
وَجَوَالَةُ الْأَرْضِ ، وَأَقَامَةُ الْكَلَامِ ، وَيَقْسَاطُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَطْفَالِ مَا يَتَعَذَّرُ عَلَى
عُظَمَاءِ الْمُلُوكِ وَكِبَرَاءِ النَّاسِ : فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ مَا أَنْتَسَى الْأَوَّلَ
وَالثَّانِي ، وَمَا زَادَ فِي عَجَبِنَا أَنَّا كُنَّا نَعُدُّهُ فِي طَبَقَةِ فَوْقَ طَبَقَاتِ جَمِيعِ النَّاسِ
فَخَفَفْنَا الْحَدِيثَ مَعَهُ ، وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَنَسْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَطَفَقْنَا نَتَلَاوَمُ عَلَى زِيَارَتِنَا
لَهُوَلَاءِ الْقَوْمِ لِمَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ ، وَظَهَرَ لَنَا مِنْ حَالِهِمْ ، وَازْدَرَيْنَاهُمْ ، وَأَنْقَلَبْنَا مُتَوَجِّهِينَ
إِلَى دُورِنَا الَّتِي غَدَوْنَا مِنْهَا مُسْتَطَرِّقِينَ كَاللَّيْلِ ، فَلَقِينَا فِي الطَّرِيقِ شَيْخًا مِنْ
الْحُكَمَاءِ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَاصِمِيُّ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ قَدْ شَحَنَهُ بِعِلْمِنَا

(١) يريد بمضربه بيته ، مستعار من مضرب الخيام .
(٢) في (ب) : « إلى قلوبكم » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

وإشارتنا ، وكان من الجَوَالين الَّذِينَ نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ وَأَطْلَعُوا عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ ؛ فَقَالَ لَنَا : مَنْ أَيْنَ دَرَجَتُمْ ؛ وَمَنْ قَصَدْتُمْ . فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَسْجِدٍ ، وَعَصَبْنَا حَوَلَهُ ، وَقَصَصْنَا عَلَيْهِ قِصَّتَنَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَلَمْ نَحْذِفْ مِنْهَا حَرْفًا . فَقَالَ لَنَا : فِي طَلِيٍّ هَذِهِ الْحَالُ الطَّارِئَةِ غَيْبٌ لَا تَقْفُونَ عَلَيْهِ ، وَمِيرٌ لَا تَهْتَدُونَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا غَرَّكُمْ فُلُوكُمْ بِالزَّهَادِ ، وَقَلْتُمْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَبِيرُ [عَنْهُمْ كَالْخَبِيرِ] عَنْ الْعَامَّةِ ، لِأَنَّهُمْ الْخَاصَّةُ ، وَمِنْ الْخَاصَّةِ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ ، لِأَنَّهُمْ بِاللَّهِ يُلَوِّذُونَ ، وَإِيَّاهُ يَعْبُدُونَ ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، وَمَنْ أَجَلُهُ يَتِمُّ السَّكُونُ ، وَبِهِ يَتِمُّ الْكُونُ .

قُلْنَا لَهُ : فَإِنْ رَأَيْتَ يَا مُعَلِّمُ الْخَيْرِ أَنْ تَكْشِفَ عَنَّا هَذَا الْعِطَاءَ ، وَتَرْفَعَ لِنَا السُّتْرَ ، وَتَعْرِفْنَا مِنْهُ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ هَذَا الْغَيْبِ ، لِنَكُونَ شَاكِرِينَ ، نَكُونَ مِنَ الْمُشْكُورِينَ . فَقَالَ : نَعَمْ ، أَمَّا الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا تَلْمِزُ بِحَدِيثِ كِبَرِائِهَا مَا سَبَّهَا لَمَّا تَرَجُّوْا مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ وَطَيْبِ الْحَيَاةِ وَسَعَةِ الْمَالِ وَدُرُورِ الْمَنَافِعِ وَأَتِّصَالِ جَلَبِ وَتَفَاقِ السُّوقِ وَتَضَاعُفِ الرِّجْحِ ؛ فَأَمَّا هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَارِفَةُ بِاللَّهِ ، الْعَامِلَةُ لِلَّهِ ، فَإِنَّهَا مُوَلَّعَةٌ أَيْضًا بِحَدِيثِ الْأَمْراءِ ، وَالْجَبَّارَةِ الْعِظَاءِ ، لَتَقِفَ عَلَى تَصَارِيفِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَجَرَائِنِ أَحْكَامِهِ عَلَيْهِمْ ، وَنُفُوذِ مَشِئَتِهِ فِي مَحَابِّهِمْ وَمَسْكَارِهِمْ فِي حَالِ النُّعْمَةِ ^(١) عَلَيْهِمْ ، وَالْأَنْتِقَامِ مِنْهُمْ ، أَلَا تَرَوْنَهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) ، وَبِهَذَا الْأَعْتِبَارِ يَسْتَنْبِطُونَ خَوَافِي حِكْمَتِهِ ، وَيَطْلَعُونَ عَلَى تَتَابُعِ نِعْمَتِهِ وَغَرَائِبِ نِعْمَتِهِ ، وَهَاهُنَا يَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُلْكٍ سِوَى مُلْكِ اللَّهِ زَائِلٌ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ غَيْرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ حَاضِلٌ ،

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « النُّعْمَةُ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

وَيَصِيرُ هَذَا كُلُّهُ سَبَبًا قَوِيًّا لَمْ فِي الصَّرَاحِ إِلَى اللَّهِ ، وَالْيَاذِ بِاللَّهِ ، وَالْخُشُوعِ
 اللَّهُ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَيَنْتَبِعُونَ بِهِ مِنْ حِرَانِ الْإِبَاءِ ، إِلَى أَنْتِيَادِ الْإِجَابَةِ ،
 وَيَنْتَبِهُونَ مِنْ رَقْدَةِ النِّقَلَةِ ، وَيَكْتَبِحُونَ بِالْيَقَظَةِ مِنْ سِنَةِ السَّهْوِ وَالْبَطَالَةِ ،
 وَيَجِدُّونَ فِي أَخْذِ الْعِتَادِ ، وَكِتْسَابِ الزَّادِ إِلَى الْمَادِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي اخْتِلَاصِ مِنْ
 هَذَا الْمَكَانِ الْخَرِجِ بِالسَّكَارَةِ ، الْمَحْضُوفِ بِالرَّزَايَا ، الَّذِي لَمْ يُفْلِحْ فِيهِ أَحَدٌ
 إِلَّا بَعْدَ أَنْ هَدَمَهُ وَتَلَمَّه ، وَهَرَبَ مِنْهُ ، وَرَحَلَ عَنْهُ إِلَى مَحَلٍّ لَا دَاءَ فِيهِ وَلَا غَائِلَةٌ ؛
 سَاكِنُهُ خَالِدٌ ، وَمَقِيمُهُ مُطْمَئِنٌّ ، وَالْفَائِزُ بِهِ مُنْعَمٌ ، وَالوَاصِلُ إِلَيْهِ مُكْرَّمٌ ، وَبَيْنَ
 الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَفِي غَيْرِهَا فَرْقٌ بَضِيحٌ لِمَنْ رَفَعَ اللَّهُ طَرَفَهُ إِلَيْهِ ،
 وَفَتَحَ بَابَ السَّرِّ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَتَشَابَهُ الرَّجُلَانِ فِي فِعْلٍ ، وَأَحَدُهُمَا مَذْمُومٌ ،
 وَالْآخَرُ مُعْزَى ، وَقَدْ رَأَيْنَا مُصَلِّيًّا إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ ،
 وَآخَرَ إِلَى جَانِبِهِ أَيْضًا يَصَلِّي إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ فِي طَرَفٍ^(١) مَا فِي كَرِّ الْآخِرِ ، فَلَا تَنْظُرُوا
 مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصَلُّوا بِنَظَرِكُمْ إِلَى بَاطِنِهِ ، فَإِنَّ الْبَاطِنَ
 إِذَا وَاطَأَ الظَّاهِرَ كَانَ تَوْحُّدًا ، وَإِذَا خَالَفَهُ إِلَى الْحَقِّ كَانَ وَحْدَةً ، وَإِذَا خَالَفَهُ
 إِلَى الْبَاطِلِ كَانَ ضَلَالَةً ، وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ مُرْتَبَةٌ لِأَصْحَابِهَا ، وَمَوْقُوفَةٌ عَلَى أَرْبَابِهَا ؛
 لَيْسَ لِمُقَرَّبِ أَهْلِهَا فِيهَا نَفْسٌ ، وَلَا لِغَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا مِنْهَا قَبَسٌ .

قال الشيخ الصوفي : فوالله ما زال ذلك الحكيم يَحْشُو آدَانَا بِهِنِهِ
 وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَيَمْلَأُ صَدُورَنَا بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى سُرِرْنَا^(٢) وَأَنْصَرَفْنَا إِلَى مُتَمَشِّتَانَا وَقَدْ
 اسْتَعْدَدْنَا عَلَى يَأْسٍ مِمَّا فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ لَوْ تَمَنَّيْنَاهَا بِالْفُرْمِ الثَّقِيلِ وَالسَّحَى الطَوِيلِ
 لَكَانَ الرَّجْحُ مَعَنَا ، وَالزِّيَادَةُ فِي أَيْدِينَا .

(١) الطر : الاستلال .

(٢) فِي كَلْمَا النِّسْخَتَيْنِ : « سَدَدْنَا » .

فلما سمع الوزيرُ هذا عَجِبَ وقال : لا أدري : أكلامُ أبي سُلَيْمَانَ في ذلك الاحتجاجِ أبلغُ ، أم الحِكَايَةُ عن المُعْتَضِدِ أَشْفَى ، أم رواية الشيخ الصوفيِّ أطرفُ ، وما عَلِمْتُ أَنَّ في البَحْثِ عن سِرِّ الإِرْجَافِ هذه اللطيفة الخفية ، وهذه الحجة الجليلة ، وكُنتُ أرى أنَّ الصوفية لا يَرْتَجِعُونَ إلى رُكْنٍ مِنَ الْعِلْمِ ، ونَصِيْبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وأنهم إنما يَهْذُونَ بما لا يعلمون ، وأنَّ بناءَ أسرهم على اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ والجُحُونِ .

قلتُ : لو جُمِعَ كَلَامُ أُنْتَهُم وأعلامِهِم لَزَادَ على عَشْرَةِ آلَافٍ وَرَقَةٍ عَنْ تَقَفٍ^(١) عليه في هذه البِقَاعِ الْمُتَقَارِبَةِ ، سِوَى ما عند قومٍ آخَرِينَ لَا نَسْتَعِ بِهِمْ ، وَلَا يَبْلُغُنَا خَبَرُهُمْ . قال : فَأَذْكَرُ لِي جَمَاعَةً مِنْهُمْ . قلتُ : الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصوفيُّ البغداديُّ العالمُ ، والحارثُ بْنُ أَسَدٍ الْحَاسِبِيُّ ، ورُوَيْنُمُ ، وأبو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ ، وعمرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ ، وأبو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ ، والفَتْحُ الْمَوْصِلِيُّ ، وهو الَّذِي سُمِّيَ وهو يقول : إلى مَتَى تُرَدِّدُنِي في سِكَكِ الْمَوْصِلِ ، أما أَنَّ الْحَبِيبَ أَنْ يَلْقَى حَبِيبَهُ ؟ فأت بعدُ جُمُعَةٌ .

قال : هذا عَجَبٌ . ولقد مرَّ في هذا الْقَنْ ما كان فَوْقَ حُسْبَانِي وَأَكْثَرَ مما كان^(٢) في ظَنِّي ، وكَمِ مِنْ شَيْءٍ خَفِيٍّ يُطْلَعُ مِنْهُ على أَمْرٍ كَبِيرٍ .

وقال : أَنشِدْنِي شَيْئًا ؛ فَأَنشَدْتُهُ قولَ الشاعر :

رَجَعْتُ عَلَى السَّغِيهِ بِفَضْلِ حِلْيٍ وَكَانَ تَحَلِّي عَنَّهُ لِحْجَامَا
وَظَنَّنِي السَّفَاهَةَ فَلَمْ يَجِدْنِي أَسَافُهُ وَقَلْتُ لَهُ : سَلَامَا

(١) عمن تقف ، أى مروية من تقف ، وفي كلتا النسختين على ما تقف ، وقوله على هنا لا ملغى له .

(٢) في (ب) : « وأكثر مما دار في خلدي » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

فَقَامَ يَجْرُ رَجُلَيْهِ ذَلِيلًا وَقَدْ كَسَبَ اللَّذَّةَ وَاللَّامًا
وَفَضْلُ الْحِلْمِ أَبْلَغُ فِي سَفِيهِ وَأُخْرَى أَنْ يُقَالَ بِهِ أَنْتِقَامًا

(٣) قال : ما أوجب أمرَ القرب ، تأمرُ بالحلمَ مرَّةً ، والصبرَ والكظمَ مرَّةً ، وتَحَثُّ بعد ذلك على الاتصاف وأخذ النار ، وتَذمُّ السَّغَةَ وقَمَعَ القَدْوُ ! وهكذا شأنها في جميع الأخلاق ؛ أعني أنها رُبَّمَا حَضَّتْ عَلَى الْقَاعَةِ والصَّبْرِ والرضا بالْمَيْسُور ، ورُبَّمَا خَالَفَتْ هَذَا ، فَأَخَذَتْ تَذَكُّرُ أَنْ ذَلِكَ فَسَالَةٌ وَنُقْصَانُ هِمَّةٍ وَلَيْنٌ عَرِيكَةٌ وَمَهَانَةٌ نَفْسٍ ؛ وكذلك أيضًا تَحَثُّ عَلَى الْبَسَالَةِ^(١) والإقدامِ والانتصارِ والصِّمَةِ والجسَّارَةِ ؛ ورُبَّمَا عَدَلَتْ^(٢) إِلَى أَضْدَادِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا والضَّرَائِبِ والأحوال ؛ فِي أَوْقَاتٍ يَحْسُنُ فِيهَا بَغْضُهَا ، وَيَقْبَحُ بَغْضُهَا ، وَيُعْذَرُ صَاحِبُهَا فِي بَغْضِهَا ، وَيُلَامُ فِي بَغْضِهَا ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّبَاعَ مُخْتَلِفَةً ، وَالْقِرَائِنَ^(٣) مُتَعَادِيَةً ، فَهَذَا يَتَمَدَّحُ الْبُخْلَ فِي عُرْضِ الْحَزَمِ ، وَهَذَا يَمْحَدُ^(٤) الْأَقْنَصَادَ فِي بُجْلةِ الْأَحْتِيَاظِ ، وَهَذَا يَذمُّ الشَّجَاعَةَ فِي عُرْضِ طَلَبِ السَّلَامَةِ ؛ وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ شَيْءٌ يَحْسُنُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ ، بَلْ لِسُكُلٍ ذَلِكَ وَقْتُ وَحِينٌ وَأَوَانٌ .

قال : وَلَعَمْرِي إِنَّ الْقِيَامَ بِحَقَائِقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَحُدُودِهَا صَعْبٌ ، لِأَنَّهَا لَا تَوْجِدُ إِلَّا مُتَلَابِسَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، وَتَخْلِيصُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِحَدِّهِ وَحَقِيقَتِهِ وَوُزْنِهِ مِمَّا يَقُوتُ دَرْعَ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ الْمُنَّةِ ، الْمُنْتَفِرِ الطَّيْنَةِ .

قال : وَمِنْهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَالَ لِلْإِسْكَندَرِ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ أَرِذْ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ ،

(١) فِي (١) : « الْقِسَالَةُ » ؛ وَفِي (ب) : الْفَسَالَةُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٢) فِي (ب) : « عَمِدَتْ » .

(٣) فِي (١) : « وَالْقِرَائِنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « يَمْدَحُ » ؛ وَهُوَ تَكَرُّارٌ مَعَ مَا سَبَقَ .

ولا تُرِدْ رِجَالَكَ لِحَيَاتِكَ» ؛ ولو قَلَبَ عَلَيْهِ قَالِبٌ فَقَالَ : لا ، «وَلَكِنْ أُرِدُ رِجَالَكَ لِحَيَاتِكَ ، وَلَا تُرِدْ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ» ، لَكَانَ الْفَضْلُ وَقِيعًا ، وَالذَّغْوَى قَائِمَةً .
وَكَانَ يُحْكِي عَنْ أَعْرَابِيٍّ حَدِيثٌ مُضْحِكٌ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَتُرِيدُ أَنْ تُضَلَّابَ فِي مَضْلَحَةِ الْأُمَّةِ ؟ فَقَالَ : لا ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ^(١) أَنْ تُضَلَّابَ الْأُمَّةُ فِي مَضْلَحَتِي .

قَالَ : وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ فِي ظَاهِرِهِمْ بِالصُّوَرِ وَالْخُلَى حَتَّى يُعْرِفَ بِهَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو ، وَبَكْرٌ مِنْ خَالِدٍ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَذَا مَطْبُوعًا عَلَى الشَّحِّ وَإِنْ مَدَحَ الْجُودَ ، وَهَذَا تَجَبُّوْلًا عَلَى الْجَبْنِ وَإِنْ تَشَبَّعَ لِلشَّجَاعَةِ ؛ وَلَيْسَ يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَكْثُرُوا وَلَا يَخْتَلِفُوا^(٢) ، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُضَيَّعَ الْجِنْسُ وَالتَّنَوُّعُ وَلَا يَأْتَلِفُوا ؛ وَكُلُّ مَا أَسَاقَتْهُ الْحِكْمَةُ أَبْرَزَتْهُ الْقُدْرَةُ ، وَكُلُّ مَا جَادَتْ بِهِ الْقُدْرَةُ شَهِدَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ؛ فَسَبِيحَانِ مَنْ لَهُ هَذَا التَّدْيِيرُ اللَّطِيفُ ، وَهَذَا الْعِزُّ الْعَالِبُ ، وَهَذَا السَّرُّ الْخَافِي ، وَهَذِهِ الْعَلَانِيَةُ الْبَادِيَةُ ، وَهَذَا الْفِعْلُ الْمُخْتَلِمُ ، وَهَذَا النَّفْتُ الْمُسْتَنْفَظُ .

وَحَكَيْتُ أَيْضًا فِي شَيْءٍ جَرَى ، قَالَ حَكِيمٌ فَارِسِيٌّ : قَدْ جَرَّ بَنَاءُ الْمُلُوكِ ، فَإِذَا مَلَكَنَا السَّمَحُ الْجَوَادُ جَادَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَإِذَا مَلَكَنَا الْبَخِيلُ بَخِلَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : هَذَا إِذَا صَحَّ فَهُوَ شَاهِدُ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ الْمُتَّصِلِ بِالْمَلِكِ السَّمْحِ ، وَنُضْوِيهِ عَنِ الْمَلِكِ الْبَخِيلِ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ إِلَهٌ بَشَرِيٌّ .

وَقَالَ مَرَّةً : مَا التَّمَنَّى ؟ — وَقَدْ كَانَ جَرَى مَا أَفْتَضَى الشُّوَالُ عَنْهُ — .

(١) فِي (ب) : «أُرِيدُ» .

(٢) رَوَايَةٌ (ب) : «وَلَا يَخْتَلِفُوا فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مَطْبُوعًا» ؛ وَفِيهَا تَكَرُّارُ ظَاهِرِهِ .

قُلْتُ : أَخْفَظُ نَصًا لِبَقْضِ الْحُكْماءِ : إِنَّ التَّمَنَّى فَضْلُ حَرَكَةِ النَّفْسِ . قَالَ :
جَوَابُ رَشِيقٍ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا إِلَى الْبَسْطِ .

قَالَ : هَاتِ مِنْ حَدِيثِ يُونَانَ شَيْئًا آخَرَ ، فَقُلْتُ : قَالَ أَرِسْطُوطَالِيْسُ :
لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنَبْلُغَ غَايَتَهُ كُنَّا قَدْ بَدَأْنَا الْعِلْمَ بِنَقِيضِهِ ، وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ
لِنَنْقُصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ ، وَتَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .

قَالَ : حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ فِيهِ جَوَابُ حَاضِرٍ ، وَلِلْبَدِيَّةِ فِيهِ تَوْقُذٌ ظَاهِرٌ . (٦)

فَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى الزُّهْرِيَّ فَسَأَلَهُ أَنْ يَحْدِثَهُ وَيَرْوِيَ لَهُ ؛ فَأَبَى عَلَيْهِ ،
قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ الْمِيثَاقَ عَلَى الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ
الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا ؛ فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَحَدَّثَنِي :

وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ الرَّوْرُوذِيُّ ؛ قَالَ : وَقَفَ سَائِلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْأُنْكَادِ عَلَيْنَا فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ فِي الْمَجْلِسِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَابْنُ
مَعْرُوفٍ ، وَأَبُو تَمَامِ الزَّيْلَعِيُّ ، فَسَأَلَ وَالْحَ ؛ فَقُلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ — وَقَدْ
ضَجَرْتُ مِنْ إلْحَاحِهِ وَصَفَاقَةِ وَجْهِهِ — : يَا هَذَا : نَزَلَتْ بِوَائِدٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .
قَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ يُنْجَبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ . فَضَحِكَ الْجَمَاعَةُ ،
وَوَهَبْنَا لَهُ دَرَاهِمَ .

وَمِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ الْمُسْكِتِ الَّذِي خَرَّ الْكَبِدَ وَنَقَبَ الْفَوَادِ (١) مَا جَرَى
لَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَيْتِيِّ (٢) مَعَ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو قَالَ لِلْبَيْتِيِّ (٣) :
أَنْتَ وَاللَّهِ شَتَمْتَهُ وَلَكِنَّهَا مَسْمُومَةٌ . فَقَالَ الْبَيْتِيُّ (٤) عَلَى النَّفْسِ : لَكِنَّكَ أَثَمْتَهَا
الشَّرِيفِ شَتَمْتَهُ مَسْمُومَةٌ ، عَطُرْتُ (٥) الْأَرْضَ بِهَا ، وَسَارَتْ الْبُرْدُ بِذِكْرِهَا .

(١) فِي (ب) : « الْقَلْبِ » . (٢) فِي (ب) . « الْبَيْتِيِّ » .

(٣) فِي لِسْخَةِ « فَطَلْتُ » ؛ وَفِي لِسْخَةِ أُخْرَى « وَطَلْتُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلْمَتَا

الْفَسْخَتَيْنِ ؛ وَسِيَاكُ الْكَلَامِ يَنْقُضِي مَا أَثَبْنَا .

وقال نصر بن سيار بخراسان لأعرابي : هل أُنخِمتَ قط . قال : أَمَا مِنْ طَعَامِكَ وَطَعَامِ أَبِيكَ فَلَا . فيقال : إِنَّ نَصْرًا حُمِّ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ أَيَّامًا ؛ وقال : لِيَتَنِي خَرِشْتُ وَلَمْ أَفُهِ بِسُؤَالِ هَذَا الشَّيْطَانِ .

وَجَرَى حَدِيثُ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ ، فقال الوزير ، قد شَرَّفَ اللهُ الْإِنَاثَ (٧) بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِنَّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) فقلت : فِي هَذَا نَظَرٌ ؛ فقال : مَا هُوَ : قلتُ قَدَّمَ الْإِنَاثَ — كما قلتُ — وَلَكِنْ نَكَّرَ ، وَآخَرَ الذُّكُورَ وَلَكِنْ عَرَّفَ ، وَالتَّعْرِيفُ بِالتَّأْخِيرِ أَشْرَفُ مِنَ النَّكِيرَةِ بِالتَّقْدِيمِ . نِمَ قَالَ : هَذَا حَسَنٌ . قلتُ : وَلَمْ يَتْرُكْ هَذَا أَيْضًا حَتَّى قَالَ : (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) فَجَمَعَ الْجِنْسَيْنِ بِالتَّنْكِيرِ مَعَ تَقْدِيمِ الذُّكْرَانِ ، فقال : هَذَا مُسْتَوْفَى .

وقال : مَا مَعْنَى كَأْسٍ أَنْفُ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنْ يَعْقُوبُ قَالَ : يَقَالُ (٨) كَأْسٌ أَنْفٌ ، أَيْ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ ؛ وَكَذَلِكَ يَقَالُ : رَوْضَةٌ أَنْفٌ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ رَعَاهَا أَحَدٌ .

وقال لَقِيَطُ :

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ

لِلطَّاعِنِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قال : مَا النَّشِيلُ ؟ فَإِنَّ الشَّوَاءَ وَالرُّغْفَ مَعْرُوفَانِ . قلتُ : مَا ضَمَّنْتَهُ الْقِدْرُ مِنَ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ يُنْشَلُ وَيُعْرَفُ ؛ فقال : هَذَا بَابٌ إِنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ جَوَّعٌ .

- (٩) قال : مَا تَحْفَظُ فِي حَدِيثِ الْأَكْلِ ؟ قُلْتُ : الْأَكْلُ وَالذَّمُّ ^(١) .
- وَمِنْ مَلِيحِهِ مَا حَضَرَ نِي . قِيلَ لَجَمِيزٍ ^(٢) : مَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : بَسِيسٌ مَقْلِيٌّ
 بَيْنَ غَلِيَانِ قُدُورٍ ، عَلَى رَائِحَةِ شِوَاءٍ ، بِمَجْنَبِ خَبِيبِص . فَضَحَكَ — أَضْحَكَ
 اللَّهُ سِنَهُ بِالْفَرَحِ وَالشُّرُورِ . وَأَنْتِظَامُ الْأَحْوَالِ وَأَتَسَاقِي الْأُمُورِ — . وَقَالَ : هَاتِ
 حَدِيثًا نَخْرُجُ بِهِ مِمَّا كُنَّا فِيهِ . فَقُلْتُ : كَتَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ إِلَى رُسْتَمَ
 صَاحِبِ الْأَعَاجِمِ : إِسْلَامُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَنَائِمِكُمْ ؛ وَقِتَالُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ
 صَلَاحِكُمْ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ رُسْتَمَ : أَنْتُمْ كَالذُّبَابِ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْعَسَلِ فَقَالَ : مَنْ
 يُوصِلُنِي إِلَيْهِ بِدَرَهْمَيْنِ ، فَإِذَا نَشَبَ فِيهِ قَالَ : مَنْ يُخْرِجُنِي مِنْهُ بِأَرْبَعَةٍ ، وَأَنْتَ
 طَامِعٌ ، وَالطَّمَعُ سُرُودِيكَ . فَأَجَابَهُ سَعْدُ : أَنْتُمْ قَوْمٌ تَحَادُّونَ اللَّهَ وَتُمَانِدُونَ
 أَنْفُسَكُمْ ، لِأَنْتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَحْوِلَ لِلَّهِ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَقَدْ
 أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ حُكَمَاؤُكُمْ وَعُلَمَاؤُكُمْ ، وَتَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَكُمْ ، وَأَنْتُمْ دَائِمًا تَذْفَعُونَ
 الْقَضَاءَ بِمُحُورِكُمْ ، وَتَتَلَقَّوْنَ عِقَابَهُ بِصُدُورِكُمْ ، هَذِهِ جُرْأَةٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ فِيكُمْ ،
 وَلَوْ نَظَرْتُمْ لَا أَبْصَرْتُمْ ، وَلَوْ أَبْصَرْتُمْ لَسَلِمْتُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَمَّا
 كَانَ اللَّهُ مَعَكُمْ كَانَتْ عَلَيْنَا رِيحُكُمْ ، وَالْآنَ لَمَّا صَارَ اللَّهُ مَعَنَا [صَارَتْ]
 رِيحُنَا عَلَيْكُمْ ، فَأَنْجُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَاعْتَنِمُوا أَرْوَاحَكُمْ ، وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحَرِّ السِّلَاحِ
 وَالْمِ الْجِرَاحِ ، [وَخِزْيِ ^(٣) الْإِفْضَاحِ] ، وَالسَّلَامُ .
- كَتَبَ حُدَيْفَةُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — إِنَّ الْعَرَبَ

(١) يشير بهذه العبارة إلى قولهم في اللث : « أكلوا ذمًا » في الشيء يؤكل وينم ؛ ذكره صاحب المقد ، ولم يرد في كتب الأمثال الأخرى .

(٢) في الأصل : « حير » بالحاء والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا قلا عن عيون الأخبار وغيره .

(٣) في (١) : « والصفى » مكان هذه الزيادة المنقولة من (ب) .

قَدْ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهَا وَلَحُومُهَا . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ : إِرْتَدَّ لِقَرَبٍ مَنَزِلًا
مَرَّاحًا . فَأَرْتَادَ لَهُمُ الْكُوفَةُ ، وَهِيَ بُقْعَةٌ حَضْبَاءُ ، وَرَمْلَةٌ حُمْرَاءُ ، قَالَ سَعْدٌ :
اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاءِ وَمَا أَظْلَلَتْ ، وَالْأَرْضِ وَمَا أَفْلَتَ ، وَالرَّيْحِ وَمَا ذَرَّتْ ، بَارِكْ
لَنَا فِي هَذِهِ الْكُوفَةِ .

وَسَمِعَ عُمَرُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ :

مَا سَأَسْنَا مِثْلَكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ أَبَرَّ بِالْأَفْصَى وَبِالْأَصْحَابِ

بعد النبي صاحب الكتاب

فَنَحَسُهُ عُمَرُ وَقَالَ : أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَبِكَرْوَيْكَ .

قَالَ عُمَرُ وَهُوَ بِمَكَّةَ : لَقَدْ كُنْتُ أَرْغَى لِإِبْلِ الْخَطَّابِ بِهَذَا الْوَادِي
فِي مُدْرَعَةٍ صُوفٍ ، وَكَانَ فُظًّا يُتَعَبَّنِي إِذَا عَمِلْتُ ، وَيَضْرِبُنِي إِذَا قَضَرْتُ ، وَقَدْ
أُمْسَيْتُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، نَمِ تَمَثَّلْ :

لَا يَبْنِي مِمَّا تَرَى تَبْنِي بِشَاشَتِهِ يَبْنِي الْإِلَهِ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمِزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَسْرَى الرِّيحُ بِهِ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا كَلَفُوا مُعْبِدُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفِدُ
حَوْضٌ هُنَاكَ مَوْزُودٌ بِلاَ كَذِبٍ لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِنَا يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

وقال عُمَرُ : خَيْرُ الدَّوَابِّ الْحَدِيدُ الْقَوَادِ ، الصَّحِيحُ الْأَوْتَادُ .

وقال عمر : كانت العرب أشدَّ في جَزْبِ رَسْمِهَا بِأَكْلِ بَعْضِهَا بَعْضًا ، فَلَمَّا

جَمَعَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ لَمْ يَقُمْ لَهُمْ شَيْءٌ .

رَأَى رُسْتَمُ فِي الْقَوْمِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَخَذَ سِلَاحَ قَارِسَ
وَحَتَمَ عَلَيْهِ وَدَقَّمَهُ إِلَى عَمْرٍ ، فَارْتَاعَ رُسْتَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ .
وَقَالَ : أُنْشِدْنِي شَيْئًا ، فَأَنْشَدْتُهُ لِبَعْضِ آلِ أَبِي طَالِبٍ :

وَلَسْتُ بِمَذْعِينِ يَوْمًا مُطْعِمًا إِلَى مَنْ لَسْتُ آمَنُ أَنْ يَجُورَا
وَلَكِنِّي مَتَى مَا أَخْشَى مِنْهُ أَحَالِفُ صَارِمًا عَضْبًا ثَوْرَا
وَأَنْزِلُ كُلَّ رَايِيَةِ بَرَّاحٍ أَكُونُ عَلَى الْأَمِيرِ بِهَا أَمِيرَا
وَأُنْشِدْنِي لِعَمِيدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِ ، وَلَقَدْ تُثَمِّلُ بِهِ :

إِنِّي لَمِنْ نَبْعَةٍ صُمِّمَ مَكَايِرُهَا إِذَا تَقَادَحَتِ الْقَصَبَاتُ^(١) وَالْعُشُرُ
وَلَا أَلِينُ لَنَقِيرِ الْخَلْقِ أَتْبَعُهُ حَقِّي يَلِينُ لِيُزْمِسَ لِلْمَاضِغِ الْحَجَرُ
وَحَدَّثَنِي أَنَّ الْمَأْمُونُ قَالَ : قَلِيلَ السَّعَةِ يَمْحُوكَثِيرَ الْحِلْمِ ، وَأَذْنَى الْأَنْتِصَارِ
يُخْرِجُ مِنْ فَضْلِ الْأَغْتِفَارِ ، وَكَتَبَ طَالِبُ الْمَعْرُوفِ الْمَعْذِرَةُ^(٢) عِنْدَ الْأَمْتِنَاعِ ،
وَالشُّكْرُ عِنْدَ الْأَصْطِنَاعِ ، وَكَتَبَ الْمَطْلُوبُ إِلَيْهِ تَعْجِيلُ الْمَوْعُودِ ، وَالْإِسْعَافُ
بِالْمَوْجُودِ .

(١) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر دون (ب) هكذا :

إلى لمن نعه صم به كاسرها أو أينما رجب المضينة والقشر
وهو كما ترى مملوء بالتصعيف والتعريف في جميع كلماته تقريباً ؛ وقد بحثنا من هذا الشعر في
المصادر التي بين أيدينا فلم نجد غير البيت الثاني ؛ وهو منسوب في مجموعة المعاني إلى عبد الله
ابن الزبير الأسدي ولم نجد في ترجمته ؛ وقد قلنا جميع كلمات هذا البيت على جميع ما تحتمله
من الوجوه حتى استقام وزنه ومعناه على هذا الوجه الذي أنبتنا . والنبع : شجرة تتخذ منه
أجود الرياح . وصم " مكاسرها " أي صلبة . ويقال : تقادح الشجر إذا كان رخوا ، ففي
حركته الريح حك بعضه بعضاً فأورى ناراً فإذا أريد الانتفاع به في إلقاء النار بعد لم يور .
والقصباء : جماعة القصب . والمعر : شجرة تتخذ منه الزناد .

(٢) في (١) : المعذرة ؛ وهو تحريف .

قال : مَنْ أَفْضَلُ هَؤُلَاءِ ؟ يَفْنَى بَنَى الْعَبَّاسَ . فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمَنْصُورَ أَفْضَلُهُمْ ^(١) ، وَالْمَأْمُونُ [أَفْضَلُهُمْ] ، وَالْمُعْتَصِمُ أَفْضَلُهُمْ ، وَالْمُعْتَصِدُ أَفْضَلُهُمْ . قَالَ : كَذَلِكَ هُوَ . وَقَالَ : فَالْبَاقُونَ ؟ [قُلْتُ] لَيْسَ ^(٢) فِيهِمْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْخَذُ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ وَزِيَادَتِهِ مُشَاكِلٌ لغيره . فَقَالَ : لِلَّهِ دَرْكٌ .

الليلة الخامسة والثلاثون

- وقال ليلة : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْأَخْتِيَارِ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنَّ كُلَّ ^(١) مُرَادٍ مُخْتَارٍ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُخْتَارٍ مُرَادًا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْتَارُ شُرْبَ الدَّوَاءِ الْكَرْبِيِّه وَشُرْبَ الْوَلَدِ التَّجِيبِ وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَيَخْتَارُ طَرَحَ مَتَاعِهِ فِي الْبَحْرِ [إِذَا أُلْجِيَ] ^(٢) وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَا أَنْفَعًا لَيْنِ فَأَحَدُهُمَا — وَهُوَ الْأَخْتِيَارُ — لَا يَحْدُثُ إِلَّا عَنْ جَوَلَانٍ وَتَنْقِيرٍ وَتَمْيِيزٍ ، وَالْآخَرُ — وَهُوَ الْإِرَادَةُ — يَفْجَأُ وَيَبْغَتْ ^(٣) وَرَبَّمَا سَحَلَ عَلَى طَلَبِ الْمَرَادِ بِالْكَرْهِ الشَّدِيدِ ؛ وَفِي عُرْضِ الْأَخْتِيَارِ سَعَةٌ لِلتَّمَكُّنِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي عُرْضِ الْإِرَادَةِ . وَالْقَرَبُ تَسْتَعْمَلُ الْإِرَاعَةَ فِي مَوْضِعِ الْإِرَادَةِ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ رَاغٍ يَرُوعُ ، وَالثَّانِي مِنْ رَادٍ يَرُودُ ، وَالْمِزَّةُ مُجْتَلَبَةٌ لَتَمْتَدَّى .
- قال : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُبَّةِ وَالشَّهْوَةِ ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الشَّهْوَةَ أَلْصَقُ ^(٤) بِالطَّبِيعَةِ ، وَالْحُبَّةُ أَصْدَرُ عَنِ النَّفْسِ ^(٥) الْفَاضِلَةِ ، وَهِيَ أَنْفَعَالَانِ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ

(١) فِي (١) : « أَفْضَلُهُمْ » وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا فِي (ب) غَيْرُ الْمَاءِ وَالْمِمْ ؛ وَسَاطَرُهَا

مَطْمُوسٌ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ الصَّوَابُ مَا أُثْبِتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السَّجْعُ .

(٢) الَّتِي فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاظُ أَنْ كَلِمَةً « فِيهِمْ » غَيْرَ

مَوْجُودَةٍ فِي (ب) ، وَقَدْ أُثْبِتْنَاهَا أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِ فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « أَحَبُّ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَبُثَّتْ » ، وَفِي (ب) وَبُثَّتْ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (١) : « الطَّبِيعَةُ » مَكَانَ « النَّفْسِ » .

الْأَفْعَالَيْنِ أَشَدُّ تَأَثُّراً ، وَهُوَ أَنْفَعَالُ الشَّهْوَةِ ، وَأَنَّهُ ^(١) يُقَالُ : شَعَى وَاشْعَى ^(٢) ،
وَيُقَالُ فِي الْآخِرِ : حَبَّ وَأَحَبَّ ، وَيَتَدَاخَلَانِ كَثِيراً بِالْأَسْتِمَالِ ، لِأَنَّ اللَّفْظَ جَارِيَةً
عَلَى التَّوَسُّعِ ، كَمَا هِيَ جَارِيَةٌ عَلَى التَّضْيِيقِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّضْيِيقِ فُزِعَ إِلَى التَّحْدِيدِ
وَالْتَّشْدِيدِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّوَسُّعِ جُرِيَ عَلَى الْأَقْتِدَارِ وَالْإِخْتِيَارِ ^(٣) ، وَفِي عُرْضِ
هَذَيْنِ بَلَاءٍ آخَرَ ، لِأَنَّهُ بَيْنَ الْإِبْجَازِ وَالْإِطْنَابِ ، وَبَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالتَّصْرِيحِ ،
وَبَيْنَ الْإِبْجَازِ ^(٤) وَالْإِطْنَابِ . فَقَالَ : هَذَا بَابُ .

(٣) ثُمَّ نَاوَتْنِي رَقْعَةً بِمُخْطَطَةٍ فِيهَا مَطَالِبُ نَفْسَةٍ ثَانِيَةٍ عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ ، وَقَالَ : بَاحِثٌ
عَنْهَا أَبَا سَلَامَانَ وَأَبَا الْخَيْرِ وَمَنْ تَعَلَّمَ أَنْ فِي مُجَازَاتِهِ فَائِدَةٌ مِنْ عَالِمٍ كَبِيرٍ ، وَمُتَعَلِّمٌ
صَغِيرٍ ، فَقَدْ يُوجَدُ عِنْدَ الْفَقِيرِ بَعْضُ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ الْغَنِيِّ ، وَلَا تَحْقِرْ أَحَدًا فَاهً
بِكَلِمَةٍ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ أَطَافَ بِجَانِبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، أَوْ حَكَّمَ بِجَالٍ مِنَ الْفَضْلِ ؛
فَالنَّفُوسُ مَعَادِنٌ ، وَحَصَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَحَرَّرَهُ فِي شَيْءٍ وَجِئْتُ بِهِ ، وَكَانَ فِي الرَّقْعَةِ :

مَا النَّفْسُ ؟ وَمَا كَالُهَا ؟ وَمَا الَّذِي أَسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ وَبَأَيِّ شَيْءٍ
يَأْتِيَتْ الرُّوحَ ؟ وَمَا الرُّوحُ ؟ وَمَا صِفَتُهُ ؟ وَمَا مَنَفَعَتُهُ ؟ وَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ
النَّفْسُ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا أَوْ هُمَا ؟ وَهَلْ تَبْقَى ؟ وَإِنْ كَانَتْ تَبْقَى فَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ
الْإِنْسَانُ فِيهِ هَاهُنَا ؟ وَمَا الْإِنْسَانُ ؟ وَمَا حَدُّهُ ؟ وَهَلِ الْحَدُّ هُوَ الْحَقِيقَةُ ، أَمْ بَيْنَهُمَا
بَوْنٌ ؟ وَمَا الطَّبِيعَةُ ؟ وَهَلَّا أَغْنَى الرُّوحُ عَنِ النَّفْسِ ، أَوْ هَلَّا أَغْنَتْ النَّفْسُ عَنِ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لِأَنَّهُ » وَالتَّعْلِيلُ هُنَا لَا مُقْتَضَى لَهُ ؟ وَلِمَلَّ سَوَابِ الْعِبَارَةِ
مَا أَتَيْنَاهُ . (٢) لَمْ نَجِدْ فِي كُتُبِ اللَّفْظِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا أَشْعَى بِمَعْنَى شَعَى ، أَيْ اشْتَهَى
كَمَا يُعِيدُهُ كَلَامُهُ . وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ أَشْهَاءَ بِمَعْنَى أَعْطَاهُ مَا يَشْتَهَى ، لَا بِمَعْنَى اشْتَهَى .
(٣) فِي الْأَصُولِ : « وَالْإِسْتِحْقَارُ » . وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَتَيْنَاهُ .
(٤) فِي (١) : الْأَبْجَازُ وَالْإِطْنَابُ ، وَفِي (ب) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْبُوسَةً بِالْحُرُوفِ
تَعْمُدُ قِرَاءَتَهَا ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ أَخْذًا مِنَ الرَّسْمِ الْوَارِدِ فِي النَّسخِ .

الروح ؟ وهلا كَفَتِ الطَّبيعة ؟ وما العقل ؟ وما أُنْحَاؤُهُ ؟ وما صَدِيقُهُ ؟ وهل يُنْقَلُ الْعَقْلُ ؟ وهل تَتَنَفَسُ النَّفْسُ ؟ وما مَرَّ تَبَيُّهُ (أَغْنَى الْعَقْلَ) عند الإله ؟ وهل يفعل ؟ وهل يَفْعَلُ ^(١) ؟ وإن كان يفعل ويفعل ^(٢) فَيَسْطُ الْعِلُّ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ قِسْطِ الْأَنْفَعَالِ ؟ وما الْمَعَادُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ؟ أهو للإنسان ؟ أم لِنَفْسِهِ ؟ أم لَهَا ؟ وما الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ ، أَغْنَى نَفْسَ عَمْرُو وَزَيْدٍ وَبَكْرٍ وَخَالِدٍ ؟ ثم ما الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْفُسِ أَصْنَافٍ ^(٣) الْحَيَوَانَ ؟ وهل الْمَلَكُ حَيَوَانٌ ؟ فقد علمت أنه يقال له : حَيٌّ ، وهل فيه حياة ؟ وعلى أَيْ وَجْهِ يُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ وَالْمَلَكُ حَيٌّ وَالْإِنْسَانُ حَيٌّ وَالْفَرَسُ حَيٌّ ؟ وهل يقال : الطَّبيعةُ حَيَّةٌ ، والنَّفْسُ حَيَّةٌ ، الْعَقْلُ حَيٌّ ؟ فإن هذا وما أَشَبَّهُهُ شَاغِلٌ لِقَلْبِي ، وَجَائِمٌ فِي صَدْرِي ، وَمُعْتَرِضٌ بَيْنَ نَفْسِي وَفِكْرِي ؛ وما أَحِبُّ أَنْ أَبْرَحَ بِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، وقد بَيَّنَّيْتُهُ ^(٤) فِي هَذِهِ الرَّقْعَةِ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْرِضَهَا عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ فَأَفْعَلْ ، وَلَكِنْ لَا تَدْعُ خَطِيئَةً عِنْدَهُ ، بَلْ انْسَخْهُ لَهُ ، وَحَصِّلْ مَا يُجِيبُكَ بِهِ ، وَيَصْدَعُ لَكَ بِحَقِيقَتِهِ ، وَلَخَصُّهُ ، وَزَيْنُهُ بِلَفْظِكَ السَّهْلِ ، وَإِفْصَاحِكَ الْبَيِّنِ ، وَإِنْ وَجَبَ أَنْ تُبَاحِثَ غَيْرَهُ فَافْعَلْ ؛ فهذا هذا ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُوعُ فِيهِ إِلَى السَّكْتِ الْمَوْضُوعَةِ مِنْ أَجْلِهِ كَافِيًا ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِثْلَ الْبَحْثِ عَنْهُ بِاللِّسَانِ ، وَأَخَذِ الْجَوَابِ عَنْهُ بِالْبَيَانِ ، وَالْكِتَابُ مَوَاتٌ ، وَنَعِيبُ النَّازِلِ فِيهِ مَتَزَوَّرٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاكِرَةُ وَالْمُتَآظَرَةُ وَالْمُؤَانَاةُ ^(٥) ، فَإِنْ مَا يُنَالُ مِنْ هَذِهِ أَعْصَى وَأَطْرَأَ ، وَأَهْنَأَ وَأَمْرَأَ ،

(١) فِي (١) : « يَفْعَلُ » مَكَانَ « يَفْعَلُ » فِي كَلَا الْمَوْضِعِينَ الَّذِينَ تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ ،

وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٢) فِي (ب) : « أَصْحَابُ » مَكَانَ قَوْلِهِ « أَصْنَافُ » ، وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) فِي (ب) : « نَثَرَتْ » ، وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٤) فِي لِسْخَةٍ « وَالْمُؤَانَاةُ » .

للبَدَن . وعلى هذا ؛ ولعلَّ آخَرِينَ يقولون في تَحْدِيدِهَا وَنَعْتِهَا أَقْوَالًا أُخَر ، لَأَنَّ
 لِلْمَحْظُوظِ^(١) بَسِيط ، وَالْمَذْرُوكِ بَعِيد ، وَالنَّاظِرِينَ كَثِيرُونَ ، وَالْبَاحِثِينَ مُخْتَلِفُونَ ،
 وَالكَثْرَةُ فَاتِحَةُ الْأَخْتِلَافِ ، وَالْأَخْتِلَافُ جَالِبٌ لِلْحَيْرَةِ ، وَالْحَيْرَةُ خَافِقَةٌ
 لِلْإِنْسَانِ ، وَالْإِنْسَانُ ضَعِيفُ الْأَسْرِ^(٢) ، مَحْدُودُ الْجُمْلَةِ ، مَحْصُورُ التَّفْصِيلِ ،
 مَقْصُورُ السَّعْيِ ، مَمْلُوكُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، غِشَاوُهُ كَثِيفٌ ، وَبَاعُهُ قَصِيرٌ ، وَفَاتِقُهُ^(٣)
 أَكْثَرُ مِنْ مُدَرِّكِهِ ، وَدَعَوَاهُ أَحْضَرُ مِنْ بُرْهَانِهِ ، وَخَطْوُهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَائِهِ ،
 وَسُؤَالُهُ أَظْهَرُ مِنْ جَوَابِهِ ، فَعَلَى هَذَا كُلِّهِ الْأَعْتَرافُ بِهِ — أَعْنَى بِالنَّفْسِ
 وَبِوَجْدَانِهَا — أَسْهَلُ مِنَ الْفَحْصِ عَنْ كُنْهٍهَا وَبُرْهَانِهَا .

قال : وَإِنَّمَا صَعُبَ هَذَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ
 النَّفْسَ إِلَّا بِالنَّفْسِ ، وَهُوَ مُحْجُوبٌ عَنِ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا
 فَالْأَمْرُ أَنْ كُلَّ مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ أَضْفَى ، وَنُورُهُ أَشْعَى ، وَنَظَرُهُ أَعْلَى ، وَفِكْرُهُ
 أَثْقَبَ ، وَلَحْظُهُ أَبْعَدَ ، كَانَ مِنَ الشُّكِّ أَنْجَى ، وَعَنِ الشُّبْهَةِ أَنْأَى ، وَإِلَى الْيَقِينِ
 أَقْرَبَ ؛ وَالْإِنْسَانُ ذُو أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، مِنْ جُمْلَتِهَا نَفْسُهُ ، فَلِكَثْرَةِ مَا هُوَ بِهِ
 كَثِيرٌ يَفْجَزُ عَنْ إِدْرَاكِ مَا هُوَ بِهِ وَاحِدٌ ، أَيْ إِنْسَانٌ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا
 النَّفْتُ حَقًّا ، وَهَذَا الْمَقُولُ صِدْقًا ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ فِي مُرَكَّبٍ ، وَالنَّفْسُ مَبْسُوطَةٌ ،
 وَإِنَّمَا فِيهِ جُزْءٌ يَسِيرٌ وَنَصِيبٌ قَلِيلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَسِيطِ ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ بِجُزْءٍ مِنْهَا كُلَّهَا
 وَبِقَلِيلٍ مِنْهَا جَمِيعُهَا^(٤) ؟ هَذَا مَتَمَدُّرٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا ، وَبَعِيدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا ؛

(١) فِي كَلَامِ الْأَسْلِينَ : « الْمَحْظُوظ » . . . وَ « الْمَذْكُور » ؛ وَفِي كِلْتَا السَّكْمَتَيْنِ تَصْغِيرُ
 وَقَلْبُ ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) الْأَسْرُ : الْقُوَّةُ . وَفِي (ب) : « الْأَسْ » بِضَمِّ الِهْمْزَةِ وَتَشْدِيدِ السَّيْنِ ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ
 عَلَيْهِ أَيْضًا . (٣) فِي كَلَامِ الْأَسْلِينَ « وَقَلَّتْهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكْمَةُ فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ مَعْدُومٍ بَعْضُ
 حُرُوفِهَا . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

وأجعل هذه الخدمة مقدمة على كل مهمته لك ، فأني ناظر لك ، طامعاً في الجواب
المفجع الشافي .

فمرضتها كما رسم على أبي سليمان وقرأتها [عليه] ، وتمهلْتُ في إيرادها
بخصرته ، فلما فهمها ووقف عليها تعجب وقال : هذه مسائل المتحكِّمين ^(١) ،
وطلبات المدَّين ، وأقترحات المقتدِّرين ، ومُنْيَةُ الأولين والآخرين .

قلت : هو كما قلت أيها الشيخ ، ولا بدَّ من جواب يُعرض عليه يأتي
على بعض مآرب النفس ، وإن لم يأت على قاصية ما في المطلوب ، فقال كلاماً كثيراً
واسعاً أنا أخسِّيه على وجهه من طريق المُنْي ، وإن انحرفت عن أعيان لفظه ،
وأشباب نظمه ، فإن ذلك لم يكن إملأء ولا نسخاً ، وأجتهد أن ألزم متن
المُرَاد ، وتنت المقصود — إن شاء الله — [عز وجل] .

(٤) قال : أمّا قوله : ما النفس ، فإنَّ التَّحْدِيد يُغَوِّز ، والرَّمَم لا يَشْفِي ، والوصف
مقصرٌ عن الغاية ، لأنها ليس لها جنسٌ ولا فصلٌ فينشأ الحدُّ بهما [ومنهما] ؛
والأسم الشائع — أعنى النفس — أخلصُ إلى المطلوب ، وأخضرُ لِمَقْصُودٍ من
التَّحْدِيد ، ولهذا ما اختلفَ الناسُ قديماً وحديثاً في حدِّها ؛ فقال قائل : النفسُ
مزاجُ الأَرْكَان . وقال قائل : النفسُ تَأُلَّفُ الأَسْطَقُوسَات ؛ وقال قائل : النفسُ
عَرَضٌ ^(٢) مُحَرَّكٌ ^(٣) بذاته . وقال قائل : النفسُ هَوَائِيَّة . وقال قائل : النفسُ
رُوحٌ حارَّة . وقال قائل : النفسُ طَبِيعَةٌ دَائِمَةٌ الحَرَكَة . وقال قائل : النفسُ
تَمَامٌ لجسمٍ طَبِيعِيٍّ ذِي حَيَاة . وقال قائل : النفسُ جَوْهَرٌ ليس بجسمٍ مُحَرَّكٌ

(١) في كلا الأصلين : « المتحلين » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « عدد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٣) في (ب) : « متحرك » .

وَيَكْفِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النَفْسَ قُوَّةٌ إِلَهِيَّةٌ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ الْمُصَرَّفَةِ لِلْأَسْطَقْسَاتِ وَالْعُنَاصِرِ الْمُتَهَيِّئَةِ ، وَبَيْنَ الْعَقْلِ الْمُتَغَيِّرِ لَهَا ، الطَّالِعِ عَلَيْهَا ، الشَّائِعِ فِيهَا ، الْحَاطِطِ بِهَا ؛ وَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ ذُو طَبِيعَةٍ لَأَنَارِهَا الظَّاهِرَةِ فِي بَدَنِهِ [كَذَلِكَ هُوَ ذُو نَفْسٍ ، لَأَنَارِهَا الظَّاهِرَةِ فِي آرَائِهِ] وَأَبْجَائِهِ ، وَمَطَالِبِهِ وَمَأْرِيهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو عَقْلِ لِمُتَيِّزِهِ وَتَصَنُّفِهِ ، وَأَخْتِبَارِهِ وَقَحْصِهِ وَأَسْتِنْبَاطِهِ ، وَيَقِينِهِ وَشَكِّهِ ، وَعِلْمِهِ وَظَنِّهِ ^(١) ، وَفَهْمِهِ وَرَوِيَّتِهِ وَبَدِيهَتِهِ وَذِكْرِهِ ، وَذِهْنِهِ وَحِفْظِهِ وَفِكْرِهِ ، وَحِكْمَتِهِ وَتَفَتُّهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو اعْتِرَافٍ بِالْأَحَدِ ^(٢) الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى جَنَاحِهِ ، وَالْبَرَاءِ مِنْ هَوِيَّتِهِ ، وَكَيْفَ يَجِدُ أَنْزَلَ الْجَحْدُ ، أَوْ يُحْسِنُ بِمَنْشَةِ مِنَ الشَّكِّ ؟ وَسِنْخُهُ يَنْبُوءُ عَنْ ذَلِكَ ، وَفِطْرَتُهُ تَأْبَاهُ ، وَلِهَذَا الثَّبُوءُ وَالْإِبَاءُ ^(٣) يَفْزَعُ إِلَيْهِ ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَيَطْلُبُ الْقَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَيَلْتَمِسُ الْخَيْرَ مِنْ لَدُنْهِ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ السَّلْسِلَةِ الْوَثِيقَةِ الَّتِي لَا يَفْصِمُهَا شَيْءٌ لَا فِي زَمَانٍ وَلَا فِي مَكَانٍ ، وَلَا فِي يَقْظَةٍ وَلَا فِي مَنْامٍ ؛ فَهَذَا هَذَا ؟ وَفِيهِ مَقْنَعٌ .

وَأَمَّا فِئْلُ النَّفْسِ ، فَقَدْ وَضَحَ أَنَّهُ إِثَارَةُ الْعِلْمِ مِنْ مَقَانِهِ ؛ وَأَسْتَخْلَاصُهُ مِنَ الْعَقْلِ بِشَهَادَتِهِ ، مَعَ إِفَاضَاتٍ لَهَا أُخَرُ ، وَإِنَالَاتٍ مِنْهَا جَلِيلَةٍ عِنْدَ الْإِنْسَانِ ، بِهَا يَنْتَالُ مَا يَسْكُمُلُ بِهِ ، وَبِكَمَالِهِ يَجِدُ السَّعَادَةَ ، وَبَسْعَادَتِهِ يَنْجُو مِنْ شِقْوَتِهِ .

(٥) وَأَمَّا قَوْلُهُ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، فَإِنَّهَا أَفَادَتْ وَمَا اسْتَفَادَتْ ، إِلَّا أَنْ تُجْعَلَ إِفَادَتُهَا لِلْقَابِلِ مِنْهَا اسْتِفَادَةً لَهَا ؛ وَفِي هَذَا تَجَوُّزُ ظَاهِرٍ ، وَلَا يَقَالُ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ وَالْعَالَمِ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ . وَلَكِنْ

(١) فِي (ب) : « وَفَطْنَتِهِ » .

(٢) فِي كَلَامِ الْأَسْلِينَ « بِالْحَدِّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ الْآتِي بِقَضَى مَا أَثْبَتْنَا .

وَيُرِيدُ بِالْأَحَدِ : أَهْلَهُ تَعَالَى .

(٣) فِي (أ) : « الْبُنُونُ وَالْآبَاءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلَامِ الْفُظْلَيْنِ .

يقال : ما الذى أفادت : فِعْلَمَ حِينَئِذٍ بِالْعِيَانِ أَنَّهَا أَفَادَتْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، صَوْرًا
مُخْتَلِفَةً ، وَمَنَافِعَ جَمَّةً بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ ؛ وَأَمَّا الْقَصْدُ الثَّانِي فَأَضْدَادُ هَذِهِ ، وَهَذَا
الْقَصْدُ مَفْرُوضٌ بِاللَّفْظِ لِيَكُونَ مُعِينًا عَلَى تَبْلِيغِ الْحِكْمَةِ إِلَى أَهْلِهَا .

- (٦) وَأَمَّا قَوْلُهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ بَايَنْتَ النَّفْسُ الرُّوحَ فَهُوَ ظَاهِرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ
جِسْمٌ يُضْمَفُ وَيَقْوَى ، وَيَصْلُحُ وَيَفْسُدُ ، وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ ،
وَبِهِ تُفِيضُ النَّفْسُ قُوَاهَا عَلَى الْبَدَنِ ، وَقَدْ يُحْسُ وَيَتَحَرَّكُ ، وَيَلْذُ وَيَتَأَلَمُ ؛
وَالنَّفْسُ شَيْءٌ بَسِيطٌ عَلَى الرُّتْبَةِ ، بَعِيدٌ عَنِ الْفَسَادِ ، مُنَزَّاهٌ عَنِ الْأَسْتِحَالَةِ .

وَأَمَّا الْمَانِعُ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ جِسْمًا [فَلِلْبَسَاطَةِ الَّتِي وَجَدَتْ لِلنَّفْسِ وَلَمْ تَوْجِدْ
لِلْجِسْمِ ، وَبَيَانُ هَذَا أَنَّ كُلَّ نَعْتٍ أُطْلِقَ عَلَى الْجِسْمِ نُزِّهَتْ عَنْهُ النَّفْسُ ، وَكُلَّ
نَعْتٍ أُطْلِقَ عَلَى النَّفْسِ نَبَاهَا عَنْهُ الْجِسْمُ ؛ فَذَلِكَ كَانَ الْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَتَتْ
مَذَاكَرَةٌ فِي النَّفْسِ مِنْذُ لَيَالٍ بِشَرْحٍ مُغْنٍ ، وَبَيَانٍ تَامٍ ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ
أُحْوِجُ إِلَى الْإِلْهَامِ ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ . وَإِذَا بَطُلَ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ
جِسْمًا] فَهِيَ بِالْأَلَّا تَكُونَ عَرَضًا أَثْمَنُ وَأَخْلَقُ ، لِأَنَّهُ لَا قَوَامَ لِلْعَرَضِ بِنَفْسِهِ .

- (٧) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَبَقَّى ؟ فَكَيْفَ لَا تَبَقَّى وَهِيَ مَبْسُوطَةٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا
ضِدٌّ ، وَلَا يَدْبُ إِلَيْهَا فُسَادٌ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلَى ، وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَبَلَّى
وَيَفْسُدُ وَيَخْلَقُ وَيَبْطُلُ وَيَمُوتُ وَيَفْقِدُ ، لِأَنَّهُ يَفَارِقُ النَّفْسَ ، وَالنَّفْسُ تَفَارِقُ
مَاذَا حَتَّى تَكُونَ فِي حُكْمِ الْإِنْسَانِ بِشَكْلِهِ ؟ وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَتْ لَعَمْرِي
تَمُوتُ وَتَبَلَّى ، فَأَمَّا وَالْإِنْسَانُ بِهَا كَانَ حَيًّا وَجَبَّ أَلَّا يَكُونَ حُكْمُهَا
حُكْمَ الْإِنْسَانِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : أَوْ هُمَا ، فَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّفْسَ مَتَى لَمْ تَكُنْ جِسْمًا ، وَلَا عَرَضًا عَلَى
حِدَةٍ أَنَّهُ لَا تَكُونَ أَيْضًا بِهَمَا نَفْسًا ، لِأَنَّ الْبَيِّنُونَ الَّتِي مَنَعَتْ فِي الْأَوَّلِ هِيَ

الَّتِي تَمْنَعُ فِي الثَّانِي ، وَلَيْسَتْ النَّفْسُ وَالْمَرَضُ كَالْخَلِّ وَالشَّكْرِ حَتَّى إِذَا جُمِعَ
بَيْنَهُمَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ آخَرٌ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ وَالْجِسْمَ إِذَا اخْتَلَطَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ مَا ،
لَهُ قَوَامٌ مَا ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْقَوَامَ مُسْتَلٌّ مِنْهُمَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْبَسِيطُ وَغَيْرُ
الْبَسِيطِ ، فَهَذَا هَذَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَنْفَى ^(١) ، فَقَدْ بَانَ أَنَّهَا تَنْبَقِي وَلَا تَنْفَى ، وَلَيْسَ يَطْرَأُ عَلَيْهَا
مَا يُفْنِيهَا ، لِبَسَاطَتِهَا وَبُعْدِهَا مِنَ التَّرَكِيبِ الْعَجِيبِ [الْمَرَضِ] لِلتَّحُلُّ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَاهُنَا ، فَإِنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْحَقِّ
لِأَنَّهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى مَعْدِنِ الْكَرَامَةِ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ ، فَلَا حَاجَةَ بِهَا إِلَى عِلْمِ الْعَالَمِ
الشَّقْلِيِّ الَّذِي لَا ثَبَاتَ لَهُ وَلَا صُورَةَ ، لَعَلَّيْنِ الْحَيُولَةِ عَلَيْهِ ، وَتَذَكُّرِ الْحَيُولَةِ
حَيُولَةِ ، وَذَلِكَ دَلِيلُ النِّقْصِ ، وَأَعْتَرَضُ الْأَلَمَ ، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا نُقِلَ ^(٢) مِنْ
كَرْبٍ حَبْسٍ ضَبَّقِي إِلَى رَوْضٍ بُسْتَانٍ نَاضِرٍ بِهَيْجٍ مُوْنِقٍ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ مَا كَانَ فِيهِ
فِي حَالٍ مَا هُوَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ مُؤْذِيًا لِنَفْسِهِ ، وَكَارِبًا لِقَلْبِهِ ، وَقَادِحًا فِي رَوْحِهِ ،
وَأَخِذَا مِنْ حُبُورِهِ وَغَبْطَتِهِ ، وَمُدْخِلًا لَتَنْغِيصٍ عَلَيْهِ فِي نَشْوَتِهِ .

(٨) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْإِنْسَانُ ، فَالْإِنْسَانُ هُوَ الشَّيْءُ الْمَنْظُومُ بِتَدْبِيرِ الطَّبِيعَةِ لِلْمَادَّةِ
الْمَخْصُوصَةِ بِالصُّورِ الْبَشَرِيَّةِ ، الْمُوَيَّدُ بِنُورِ الْعَقْلِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ ؛ وَهَذَا وَصْفُ
يَأْتِي عَلَى الْقَوْلِ الشَّائِعِ عَنِ الْأَوَّلِينَ إِنَّهُ حَتَّى نَاطِقٌ مَائِتٌ [أَيْ حَيٌّ] مِنْ قِبَلِ
الْحَيِّ وَالْحَرَكَةِ ، نَاطِقٌ مِنْ قِبَلِ الْفِكْرِ وَالْتِمِيزِ ، مَائِتٌ مِنْ قِبَلِ السَّيْلَانِ
وَالْأَسْتِحَالَةِ ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ حَيٌّ شَرِيكَ الْحَيَوَانِ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ ، وَمِنْ
حَيْثُ هُوَ مَائِتٌ هُوَ شَرِيكَ مَا يَتَبَدَّلُ وَيَتَحَلَّلُ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ هُوَ

(١) فِي الْأَسْوَءِ : « وَهَلْ تَبْقَى » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ لِذَلِكَ سَبَقَ هَذَا السُّؤَالُ .

(٢) فِي (ب) : « نَجَا » .

إنسان عاقلٌ حَصيفٌ ، ومن حيث يبلغ إلى مُشاكهة التلّك بقوة الاختيار البشريّ ، والنور الإلهي ، — أعني يُنعت^(١) في حياته هذه التي وهبت له بدءاً ، بصحة العقيدة وملاحِ العمل وصدق القول — هو ملكٌ ، فإن لم يكن ملكاً فهو جامع لصفاته ، وملكٌ لِجَلِيلَتِهِ ، ولما كان جنسه مشتملاً على التفاوت الطويل العريض ، كان نوعه مشتملاً على التفاوت الطويل العريض ؛ ومن كان نوعه كذلك كانت آحاده كذلك ، وكما أن الجنس يرتقي إلى نوعٍ كامل ، كذلك النوع يرتقي إلى شخص كامل .

وأما قوله : هل الحدّ هو الحقيقة ، أو بينهما بونٌ ، فإن الحدّ راجعٌ إلى (٩) واضيحه ومقتضيه^(٢) بدلالة أنه يَضَعُه ويُفَصِّلُه^(٣) ، ويُخَلِّصُه وَيُسَوِّيُه وَيُضِلُّه . فأما الحقيقة فهي الشيء وبها هو ما هو ، حدّه صاحبه أم لم يحدّه ، رَسمه قاصده أم لم يرسمه ، فلحوظ الحقيقة عينُ الشيء [وهو موضوع الحدّ ليس هو عينُ الشيء] .

وأما قوله : وما الطبيعة فهي أيضاً قوة نفسية ، فإن قلتَ عقلية لم تُبعد ، (١٠) وإن قلتَ إلهية لم تُبعد ، وهي التي تسري في أثناء هذا العالم مُحَرَّكةً وَمُسَكَّنَةً ، ومُجَدِّدةً ومُؤَبِّلَةً ، ومُنشِئةً ومُبيدةً ، ومُخَيِّلةً ومُميّنةً ، وتصاريدها ظاهرةٌ للحسّاس ، وهي آخرُ الخُلُفَاءِ في هذا العالم ، وهي بالموادِّ أَعْلَى ، والموادِّ لها أعشَق ؛ وليس لما تَرَقَّى النفس في الثاني^(٤) إلى عالمِ الرُّوح ، لأنّه لا كَوْنُ هُنَاكَ ولا فساد ، فلورَقِيَّتْ إلى هُنَاكَ لِبَقِيَّتْ عاطلةٌ ، وليس كذلك النفس ،

(١) في (١) : « يقيني » : وفي (ب) : « يقتني » ؛ وهو تعريف في كلتا النسختين ولعل الصواب ما أثبتنا . (٢) في كلتا النسختين : « ومقتضيه » ؛ وهو تعريف لامع . (٣) في كلتا النسختين : « ويبطله » . وهو تعريف . (٤) في الثاني ، أي في العالم الثاني .

فإن لها في عالمها البهجة والنبطة ، والحبور والشروع ، والدوام والخلود
والخلافة الإلهية ، وهذا هناك في مقابلة ما كان لها هاهنا من الفضائل التي لا يأتى
عليها إحصاء ، ولا يحصلها استقصاء .

(١١) وأما قوله : وهلا أغنى الروح عن النفس ، فهو يغني عنها ، ولكن في
جنس الحيوان الذي لم يكمل فيكون إنساناً . فأما في الإنسان فلا ، لأن
الإنسان بالنفس هو إنسان لا بالروح ، وإنما هو بالروح حتى يغيب .

وأما قوله : وهلا أغنت النفس عن الروح ، فإن الروح كآلة للنفس
حتى ينفذ تدبيرها بوساطته في صاحب الروح ، وليس ذلك لعجز النفس ،
ولكن لعجز ما ينفذ فيه التدبير ، وإذا حقق هذا الرمز لم يكن هناك عجز
لأنه نظام موجود على هذه الصورة ، وصورة قائمة على هذا النظام ، فليس
لأحد أن يقلل ذلك بلم ولا بكيف إلا من طريق الإفناع .

(١٢) وأما قوله : هلا كفت الطبيعة . فقد كفت في مواضعها التي لها الولاية
عليها من قبل النفس ، كما كفت النفس في الأشياء التي لها عليها الولاية من
قبل العقل ، كما كفى العقل في الأمور التي له الولاية عليها من قبل الإله ؛ وإن
كان مجموع هذا راجعاً إلى الإله ، فإنه في التفصيل محفوظ الحدود على أربابها ؛
وهذا كالكلي الذي له في بلاده جماعة فيصعدون عن رأيه ، وينتهون إلى أمره ،
ويتوحدون في كل ما ينفذونه ويحلونه ، وينقضونه ويبرمونه ، ما يرجع إلى
وفاقه ، وكل ذلك منه وله وبأمره ، وقد كفاه أولئك القوم ذلك كله .

فإن قال قائل : فكيف تمثلت سياسة إلهية بسياسة بشرية ، وأين هذه
من تلك ؟

فالجواب أن البشر المسكين لم يُجِدْ هذه السيلسة من تلقاء نفسه ، ولا بما هو به مهينٌ ضَعِيفٌ عاجزٌ مسكينٌ ؛ بل بما فاض عليه من تلك القوى وتلك الصور ، فهو إذا أبرز شيئاً أبرز على مثال تلك ، لأنه قد أُعْطِيَ القالب ، فقد سهّل عليه أن يُفْرِغَ فيه ، وذهب له الطابع ، فهو يتخيمُ به ؛ وهَيَّئْ على ذلك فهو يجرى عليه ، وهذا سَوَقٌ إلهيٌّ وإن كان الانسياق^(١) بشرياً ، ونظمٌ ربوبيٌّ وإن كان التنظيم إنسياً ؛ وفي الجملة إحدَى السَّيَاسَتَيْنِ ، أعنى البَشَرِيَّةَ الهَيَّيَّةَ لِلْأُخْرَى ، أعنى الإلهيَّةَ ، وَالشَّفَلِيَّاتِ مُنْقَادَةٌ مُنْفَعِلَةٌ لِلْمُلُوكِيَّاتِ ، وَالْمُلُوكِيَّاتِ مُسْتَوَلِيَّاتٌ عَلَى الشَّفَلِيَّاتِ ، بِحَقِّ التَّمَلُّكِ وَمَا هُوَ مُقْتَضَاهَا ، وَلَأنَّ هَذِهِ فَوَاعِلُ ، أعنى المُلُوكِيَّاتِ ، وَتِلْكَ قَوَائِلُ ، أعنى لِلْمُنْفَعِلَاتِ ، وَوَجَبَ ذَلِكَ لِأَنَّ الصُّورَةَ فِي الْفَاعِلِ أَغْلَبَ ، وَالْمَيُولَى فِي التَّقَابِلِ أَغْلَبَ ، وَالْمَالِكَانِ مُتَوَاصِلَانِ ، وَالسَّيَاسَتَانِ مُتِمَّاكِلَتَانِ ، وَالسَّيَرَتَانِ مُتِمَّاكِلَتَانِ ، وَالتَّدْبِيرَانِ مُتَقَابِلَانِ ، وَلَكِنَّ التَّدْبِيرَ إِذَا نَفَّذَ فِي الشَّفَلِيِّ يُسَمَّى بَشَرِيّاً ، وَإِذَا نَفَّذَ فِي الْمُلُوكِيَّةِ يُسَمَّى إلهيّاً ، وَإِنْ كَانَا فِي التَّحْقِيقِ إلهيَّيْنِ ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَا بِحَسَبِ الشُّدُورِ وَالْوُرُودِ ، وَالْقُصُولِ وَالْوُصُولِ ، وَالشُّخُوصِ^(٢) وَالْبُلُوغِ ؛ وَالْعَادَةُ جَارِيَةٌ بِأَن يُشَبَّهَ الْإِنْسَانُ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَلَا يُشَبَّهَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِشَيْءٍ آخَرَ ، لِأَنَّ لِلْأَعْلَى الثَّقَلَ الْأَوَّلَ ، وَلِلْأَسْفَلِ الثَّقَلَ الْأَرْذَلُ ؛ فَهَذَا كَمَا تَرَى .

وأما قوله : وَمَا التَّمَلُّكُ ، وَمَا أَنْعَاؤُهُ ، وَمَا صَنِيعُهُ ؟ فَإِنَّ الْجَوَابَ عَنْ هَذَا (١٣) لَوْ قَعَّ^(٣) فِي خَلَدٍ كَثِيرٍ ، لَكَانَ مَحْمُولاً عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَكَذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ ؛ وَلَكِنْ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْإِسْتِيقَاقُ » بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَهُوَ تَضْعِيفٌ .

(٢) يُرِيدُ بِالشُّخُوصِ هُنَا الْإِرْتِمَالُ ، وَهُوَ فِي مُقَابَلَةِ الْبُلُوغِ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَنَّهُ لَوْ قَعَّ » . وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ « أَنَّهُ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

هذا مكان قد اقترح فيه الإيجاز والتقريب ، وهذان لا يكونان إلا بحذف الزوائد المفيدة ، وإلا بتفريق العلائق الموضحة . وبعد ، فاعقل أيضاً قوة إلهية [أبسط من الطبيعة ، كما أن الطبيعة قوة إلهية] أبسط من الأسطوانات ، وكما أن الأسطوانات أبسط من المركبات ؛ وعلى هذا حتى تنتهي المركبات إلى مركب في الغاية ، كما بلغت المبسوطات إلى مبسوط في النهاية ؛ فالتقى الطرفان على ما يقال له : كل ، فلم يكن بعد ذلك مطلب لا في هذا الطرف ولا في هذا الطرف ؛ والعقل هو خليفة الله ، وهو القابل للفيض الخالص الذي لا شوب فيه ولا قذى ؛ وإن قيل : هو نور في الغاية لم يكن ببعيد ، وإن قيل بأن اسمه مغم عن نعمته لم يكن بمنكر ؛ وإنما عجزنا عن تحديد هذه البساط لأننا حاولنا عند علمها^(١) أن تكون في صورة المركبات أو قريبة منها ، وأن نصير لنا أصناماً نمثلها ونوكل بها^(٢) ؛ وهذا منا تعجرف مردود علينا ، وخطأ يلزمنا الاعتذار منه إلى كل من أحس به منا ؛ وينبغي أن نتوب إلى الله في كل وقت من وصفه بما لا يليق به ، ومن طرح الوهم على شيء قد حجبته عن معارفنا ، ورفقه عن عقولنا ، وقصرنا على حدودنا اللازمة لنا ، وأشكالنا المشتعلة علينا ؛ هذا حديث العقل إذا لحظ في ذروته .

فأما إذا فحص عن آثاره في حضيضه فإنه تميز وتخصيل وتصنع وحكم وتصويب وتخطيط ، وإجازة وإيجاب وإباحة ؛ وإياك أيها السامع أن يكون مفهومك من هذه الأسماء والأفعال والحروف أشياء متميزة فتجعل شيئاً واحداً أشياء ، ومن كثر الواحد فهو أشد خطأ ممن وحد الكثير ، لأن تكثير

(١) في كلنا اللسطين : « علمائها » ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٢) في كلنا اللسطين : « وتوكل » ؛ وهو تحريف .

الواحد انحطاطاً إلى المرّ كز ؛ وتوحيد الكثير استيلاء إلى المحيط ، بل يجب أن يكون محصولك منها شيئاً واحداً لم تصل إليه إلا بترادف هذه الكلمات ، وتصاحب هذه الصفات .

وأما أمحاؤه ، فعلى قدر ما يقال : فلان عاقل وفلان أغفل من فلان ، وفلان في عقله لونة^(١) ، وفلان ليس بماقل ؛ وأصحاب العقل أنصباؤهم منه مختلفة بالقلة والكثرة ، والصفاء والكدر ، والإنارة والظلمة ، واللطافة والكثافة ، والخفة والخصافة ، كما تجدهم مختلفين في الصور والألوان والخلق بالطول والقصر ، والحسن والقبح ، والأعتدال والانحراف ، والرتد والتبول ، إلا أن هذا القليل يدرك بالحس ، ويشهد بالعيان ، ويعاين بالحضور ، وذلك القليل محبوب عن هذا كله ، فلم يجز أن تكون الإحاطة بتفاوت ما غاب [عنا] في وزن [الإحاطة^(٢)] بتفاوت ما حضر ، فإنهما ما تبايناً لياًتلفاً ، بل ليختلفاً ، وهذا التفاوت معترف به إذا اعتبر من خارج ، وذلك أنك تجد أصحاب المال أيضاً يتباينون في مقادير ما يملكون من المال ، ولا يتفقون على مقدار واحد منه عند جماعتهم ، ولا يتفقون على نوع واحد أيضاً من أعيان المال ، لأن هذا يملك الصامت ، وذلك يملك الناطق ، وهذا يمارس القر ، وهذا يمارس الصوف ، وهذا ينظر في الصرف ، وهذا يبيع الحيوان ، وكل منهم صاحب مال ومباشر له ؛ وعلى هذا المثال أخذ أهل العقل في مطالبتهم ، فصار هذا يملك بعقله غير ما يملك الآخر ، أغني أن هذا ينظر في الهندسة ، وهذا في الطب ،

(١) في (١) : « لومه » ووردت هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف تعذر قراءتها ، والصواب ما أثبتنا .

(٢) لم ترد هذه التكلة في كلتا النسختين ، والسياق يقتضيها .

وهذا في النحو، وهذا في الفقه؛ والعبارة تمتنع من إشباع هذا المعنى، وحصر هذا الفن، فعل هذا أنحاؤه، وإنها لكثيرة إن لم تكن بلا نهاية.

وأما صنيعه، فهو الحكم بقبول الشيء ورده، وتحسينه وتقصيحه، إذا كان المرؤض عليه على جهته غير مموه ولا مفسوش، ولا مشتبه فيه ولا ملبوس، فإن كان مموهاً اختلف حكمه، لأن العقل يرى الباطل حقاً في وقت، ويرى الحق باطلاً في وقت، معاذ الله من هذا، ذلك لحس النقوص، والذهن الملبوس، لأن^(١) العارض مموه معروضه على العقل، فحكم له بما يستحقه، إلا أن يكون العارض لم يشعر بذلك التمويه، ولم يفتن لذلك النفس، حينئذ يهديه العقل ويرشده، ويفتح عليه، وينصح له.

وأما قوله: وهل يعقل العقل، فإن الأولى أن يقال: العاقل يعقل بالعقل معقوله، ألا ترى أنه يقال: السراج أضاء البيت، وينعد أن يقال: أضاء نفسه، لأنه مضي بنفسه، فليس به فقر إلى أن يضي نفسه، وإنما أضاء غيره.....^(٢) ولو عقل العقل لعقل بالعقل، وهذا إذا استمر كان مردوداً، ونحن إذا قلنا: عقل العاقل معقوله، فإنما نصفه بأنه أنفعل أنفعال كمال، والعقل يرى من هذا الأنفعال ألا يتوخي أنه يعقل الإله الذي هو به ما هو، فإنه يجوز أن يضُر^(٣) به أنفعال لا تق به يكون عبارة عن شوقه^(٤) إليه، وكاله به، وأفتباسه منه، وهذا صراط حديد، والواطي عليه على خطر شديد، والوقوف

(١) وردت هنا كلمة: « لكن ». في الأصول ومي زيادة من الناسخ.

(٢) ورد موضع هذه النقط في كلتا النسخين: « إل لأنه أضاءه »، ولا مقتضى لهذه

العبارة هنا كما يظهر لنا. (٣) في كلتا النسخين: « يضر به » بالنون مكان الراء؛

ولم ندين له معنى في هذا الموضع؛ ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعله « يضل به » باللام.

(٤) في كلتا النسخين: « سوقه » بالسبب وهو تصحيف.

دونه أصدعُ بالحُجَّة ، وأوضحُ للعذر ، لأن الإنسان خوارٌ بالطبع ، وإن كان جسوراً بالنفس .

وأما قوله : وهل تتنفس النفس ، فإن أريدَ بذلك النفسُ الناميةُ (١٤) والحيوانيةُ فهو قريب ، وأما الناطقةُ فإن ذلك يبعدُ منها [لأن ذلك النفسُ أسيما دُ شيء به يكون الشيء حياً] أو كالحى ؛ والناطقَةُ غنيَّةٌ عن ذلك .
فإن قيل : فهل تنفيسُ من العقلِ وتستفيدُ ؟ قيل : هذا لا يسمى تنفساً ، وليس اللفظُ يُبعدُهُ عن الحقيقة تأويلٌ في الوضع ؛ ولا وَجْهٌ في الأفعال (١٥) وإدخالُ العوَيْصِ في المكان الذي يُحتاج فيه إلى رفعِ اللبسِ وزوالِ الإشكالِ ، مُدْاجاةٌ في العلمِ [وخيانةٌ للحِكْمَةِ] وجنايةٌ على المُستَنصَح .
وأما مرتبتهُ (١٦) عند الإله فقد وضع بأنه كالشمس تطلع فتضيء ، وتضيء فتبفغ .

فإن قيل : فالعقلُ أيضاً هكذا ، قيل : العقلُ أيضاً شمسٌ أخرى ، وليسكنها تطلع على النفس التي ليست حاويةً لجدارٍ وسطح ، وبرٍّ وبحر ، وجبلٍ وسهل ، لأنه لما كان العقلُ أشرقَ من النفس — لأنه مُستَخْلِفٌ للنفس ، والنفسُ خَلِيفَتُهُ — كان إشراقه أَلْطَفَ ، ومُنافِعُهُ في إشراقه أَشْرَفَ ، وأيضاً فإن الشمسَ بجدِّها بالحسِّ لما غرُوبٍ وطلُوع ، وتَجَلٍّ وكُسُوفٍ ، وليس كذلك العقلُ ، لأن إشراقه دائم ، ونُورُهُ مُنْتَشِرٌ ، وطلُوعه سَرْمَدٌ ، وكُسُوفه مَقْدُومٌ ، وتَجَلِّيهِ غيرُ متوقِّفٍ (١٧) .

(١) في (ب) : « الاحتمال » .

(٢) مرتبته ، يعنى العقل .

(٣) في كلتا النسختين : « متوقف » بالعين ؛ وهو تعريف .

فإن قيل : نرى العقلَ يعزَّبُ عن الإنسان في وقتٍ [ويثوبُ إليه في وقتٍ] . فالجواب أن الوصف الذي كنا ننعتُ^(١) به ونصدعُ ببيانِه لم يكنْ لعقلٍ زيدٍ وعَمْرُو ، وبَكْرٍ وخالدٍ ، لأن ذلك يُنعتُ بالطَّلوعِ والغروبِ ، وبالحضورِ والغُيُوبِ ، لأنه هاهنا مضافٌ ومُنحَازٌ^(٢) ، أو كالنُحَازِ ، وليس كذلك هو ، فإنه هُناك على بَهَجَتِهِ التامةِ ، وسُلْطَانِهِ القاهرِ ، وملكوتهِ الأفيحِ ، وبسيطه الفائقِ^(٣) ، وفَضائِهِ المريضِ .

وأما قوله : وهل يَنْفَعِلُ ، فقد مرَّ الكلامُ عليه في طَيِّ ما مرَّ ، وليس للتكرارِ وَجْهٌ ، ولا في التَّطْوِيلِ عُذْرٌ .

وأما قوله : فَنَسِطُ الْعَقْلِ أَكْثَرُ ، أم قَسِطُ الْأَنْفَعَالِ ، فإن هذا يُلْحَظُ من وجهين ، إذا لَحِظَ قَبُولُهُ من قَبِيضِ الْإِلَهِ فَنَسِطُ الْأَنْفَعَالِ أَظْهَرَ ، وإذا لَحِظَ قَبِيضُهُ على النَّفْسِ فَنَسِطُ الْعَقْلِ فِيهِ أَكْثَرُ ، لأنه بِجُودِهِ على غَيْرِهِ يُشَارِكُهُ مَنْ جَادَ عَلَيْهِ بِجُودِهِ ، وهذا لطيفٌ جدًا .

(١٥) وأما قوله . وما المَعَادُ ، فما أَشْهَلُ مُطَالَبَةِ السَّائِلِ بهذا الْأَمْرِ الصَّعْبِ المائلِ الذي كُلُّ أَمْرٍ مُتَعَلِّقٌ بِهِ ، وكلُّ رَجَاءٍ حَائِثٌ حَوَالَهُ ، وكلُّ طَمَعٍ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ ، وكلُّ شَيْءٍ مُقْصُورٌ عَلَيْهِ ، وكلُّ إِنْسَانٍ بِهِ يَهْتَمُّ ، وكلُّ مُصْرِّحٍ عَنْهُ يُصْرِّحُ ، وكلُّ كَانَ عَنْهُ يَكْنِي ، وكلُّ مُتَرَتِّمٍ بِهِ يَحْدُو ، وكلُّ لَحْنٍ إِلَيْهِ يُشِيرُ ، وكلُّ سَامِعٍ إِلَيْهِ يَطْرَبُ ، ونَزَجِيعُ فَنَقُولُ — على الْعَمَى والْبَيَانِ ، وعلى الزَّحْفِ والْعَدَوَانِ : — إن عَوْدَ النَّفْسِ إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيَّتُهَا لِلْبَدَنِ إِذَا حَانَ وَقْتُ التَّخْلِيَةِ ، إما لأنَّ الْبَدَنَ

(١) في (١) : « نعت » ؛ وفي (ب) : « نعت » ؛ وهو تعريف في كلتا الكلمتين .

(٢) في كلتا السخين : « ونختار أو كالنختار » ؛ وهو تعريف في كلا الموضعين .

(٣) في (١) : « الغائب بالعين والباء » ؛ وفي (ب) : « الغائب » بالفاء والناه ؛ ولعل

الصواب ما أبيتنا .

غيرُ مُحْتَمِلٍ لمادة الحياة ، وإما لأن النفس قد أزمعت أمراً آخر ، ولا يتم لها ذلك إلا بتخليية هذا ؛ وإما لهما .

فإن قال قائل : فما نصيب الإنسان من عود النفس الذي هو تخلييتها للبدن وخروجها عنه ، وترك استمالها له . فالجواب من طريق التمثيل ، والرضا بالرأى الأصوب ، والحكم الأجل أن يقال : لو قيل لرجل من عرض الناس وافر أو ناقص : إنك إذا فارقت هذا العالم بقيت عينك الباصرة ، وأذنك السامعة ، هل ترى ذلك نعمة عليك ، وإحساناً إليك ، فإن عينك إذا بقيت أبصرت العالم بعدك كما كنت تبصره وهي معك ، بل تبصر أحسن من ذلك الإبصار ، لأنها كانت معك ترمد بسببك ، وتغشى من أجلك ، وربما عرض لها سوء تدبيرك ، أو باتفاق ردى عليك ، من عشى أو عشى وخفس وعمش وعور وآفات^(١) كثيرة ، وهي آمنة بعدك من هذه الأغراض المكروهة ، والأحوال الداهية^(٢) ، فإننا نعلم حقاً وعياناً أنه يقول : قد رضى بل أتمنى هذا ، ومن لي به ، أى إن أعطيت هذا فمَنْ مَنى^(٣) أسمع وأبصر ، وإذا كنت أكره الدنيا في حياتي إذا فقدتهما فكيف لا أحب الدنيا إذا وجدتهما ، فإن كان هذا التمثيل واقعاً ، وهذا التقريب نافعاً ، والحق في تضاعيفه واضحاً ، فليكن ذلك مطرداً في بقاء نفس الإنسان التي بها كان إنساناً ، وبها كان يتم في هذا العالم ، وبها كان يعلم ويعرف ويحكم ويصيب ، ويمجد لذة اللذيد من ناحية العقل والحس ، وبها كان يتمتنى البقاء والدوام والخلود ،

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) : «وذنوب» ؛ وهو تبديل من النسخ . ولم يرد قوله : «كثيرة» في (ب) . (٢) في كلتا النسختين : «الناهة» ؛ وهو تصحيف . (٢) في كلتا النسختين : «مثل» بالثاء واللام ، وهو تحريف صوابه ما أتبناه كما يقتضيه السياق ، وأسمع وأبصر : وصفان للتفضيل .

ولأنما استحال ذلك التمتي من أجل كونه رفساده اللذين لم يكن بد من
 انتهائهما إلى الفناء الذي هو مفارقة النفس الجسد وتخليتها للبدن ، ونسبة
 نفس الإنسان إلى الإنسان أو كد والعق من نسبة العين إليه ، ألا ترى
 أنه بالنفس إنسان ، وبالبدن حافظ لشكل [الإنسان] ؛ فإذا كان للإنسان
 في هذا التمثيل فائدة ممتنة ، وحالة محبوبة هنيئة ، أعنى في بقاء العين والأذن
 حتى يُبصر ياخذاً ما هذا العالم المخبوء بالآفات ، ويسمع بالأخرى ما يجري
 فيه من ضروب الاستحالات ، فبالحرى أن يكون رضاه ببقاء النفس في محل
 الروح والأمن ، ومقام الكرامة والسكينة على حال الطلوع والطمأنينة ،
 إن هذا لعجيب ؛ وأعجب من هذا التعجب عقل لا يعلق به ، وروح
 لا يهش لسماعه ، ونفس لا تجد خلاوته ، وصدور لا يقصدع طرباً عليه ،
 والباحا^(١) إليه ، فإن من لم يشعر بهذه الفائدة ، ولم يحمده الله على هذه النعمة ،
 لعازب الرأى ، ضعيف العقل ، خفيف المتقال ، ردى الاختيار ، قليل
 الحصافة ، سئ النظر ؛ حيوان خسيس ، في مسلك إنسان رئيس ؛ فقد بان — على
 مذهب التقريب — ما المأد المشار إليه ، وما الإنسان منه ، وما لنفسه به .

(١٦) وأما قوله : وما الفرق بين الأنفس ، أى نفس زيد وعمر و بكر وخالد ،
 وما الفرق أيضاً بين أنفس أصناف الحيوان ، فإنما الفرق بين هذه الأنفس
 بقدر قسط كل واحد منهم منها ، وهذه الأقساط إذا اجتمعت تفاوتت ، وإذا
 تفاوتت كانت منها نفس باقية حية ، ونفس فانية ميتة ، ألا ترى الشمس
 كيف تطلع على هذه المواضع المختلفة بالملو والشغل ، وبالتعرج والاستقامة ،
 والأشكال الكثيرة ، فيقول كل إنسان : مشرقى أطيب من مشرق فلان ،

(١) « الباح : الشوق . وفى الأصول : « وارباحا » . وهو تحريف .

وما أشبهَ هذا الكلام ، وطلوعُ الشمس على جميعها طلوعٌ واحد ، ولكن حُطِظَ البِقاع منها مُخْتَلِفَةً ؛ فليس يُنْكَرَ [أن تكون] نفسٌ زيدةٌ أنجى مِنَ الكَدْرِ ، وأَخْلَصَ مِنَ الآفةِ ، وَأَوْصَلَ إِلَى السَّعَادَةِ ؛ وَنَفْسٌ بَكْرٍ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، وَمَرَاتِبُ هَذِهِ الْأَنْفُسِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْإِضَافَاتِ الْحَاصِلَةِ لَهَا بِأَصْحَابِهَا ، وَالْأَنْصِبَاءِ الْمَذْخُورَةِ لَهَا بِأَكْتِسَابِهَا .

فَأَمَّا أَنْفُسُ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ كَالْفَرَسِ وَالْخِرَافَةِ فَإِنَّهَا أَنْفُسٌ نَاقِصَةٌ غَيْرُ كَامِلَةٍ ، وَهِيَ ضَعِيفَةٌ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَجِدْ إِلَّا الْإِحْسَانَ وَالْحَرَكَاتِ ، لَمْ يَشِعْ فِيهَا نُورُ النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ ، وَلَمْ يَنْبُثْ فِيهَا شُعَاعُ الْعَقْلِ الْكَرِيمِ ؛ فَوَجَبَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَنْ تَكُونَ تَابِعَةً لِأَبْدَانِهَا ، جَارِيَةٌ عَلَى فَسَادِهَا وَبُطْلَانِهَا ، لِأَنَّ الْحِكْمَةَ أَتَتْهُ إِلَى ذَلِكَ الْخَلْقِ فِي كَوْنِهَا حَشَوًا لِهَذَا الْعَالَمِ وَزِينَةً وَمَنَافِعَ وَمَبَالِغَ إِلَى غَايَاتٍ وَأَغْرَاضٍ .

- وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلِ الْمَلَكُ حَيَوَانٌ ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ حَيٌّ ، وَهَذَا وَقَفَ (١٧) عَلَى الْأَسْمَاءِ الْجَارِيَةِ ، وَالْمَادَاتِ الْقَائِمَةِ ، وَكَأَنَّ الْحَيَوَانَ إِنَّمَا شَاعَ فِي غَيْرِ الْمَلَكِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَسِّ وَالْحَرَكَةِ وَالْأَهْتِدَاءِ وَالتَّبَصُّرِ عَلَى مَا لَاقَى بِجَنْبِهِ وَنَوَعِهِ وَشَخْصِهِ ؛ [فَأَمَّا مَا يَنْزَعُهُ مِنَ الصِّفَاتِ فَلَمْ يُطْلَقْ عَلَيْهِ حَيَوَانٌ ، وَلَكِنْ يُقَالُ :] حَيٌّ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّفْظِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ ، وَبِهَذَا التَّقْرِيبِ قِيلَ أَيْضًا لِلَّهِ : إِنَّهُ حَيٌّ ، وَأَنْتَ إِذَا حَدَّثْتَ الْحَيَّ أَوْ الْحَيَاةَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَصِفَ اللَّهَ [جَلَّ وَعَلَا] بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .. وَفِي الْجُمْلَةِ كُلِّ مَا كَانَ أَدْخَلَ فِي الْبَسَاطَةِ كَانَ أَخْرَجَ مِنَ التَّزَكُّيبِ ، وَكُلِّ مَا كَانَ أَخْرَجَ مِنَ الْبَسَاطَةِ كَانَ أَدْخَلَ فِي التَّزَكُّيبِ .
- فَأَمَّا الْمَرْكَبُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنَ الْبَسِيطِ إِلَّا النَّصِيبُ النَّزَرُ ، وَإِلَّا طَيفُ الْخَيَالِ ، فَأَسْمُهُ وَاضِحٌ وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ سَهْلَةٌ ، وَالْيَبَانُ لَهُ مُدْرِكٌ ، لِأَنَّهُ مُحَاطٌ

بمحدوده في طوله وعرضه ومحمفه .

وأما المركب البسيط الذي ليس له من التركيب إلا النصيب اليسير ، فاسمه غامض ، والإشارة إليه عسرة ، والعيان عنه مكشوف ؛ وهذا باب إذا حفظ فهم منه شيء كثير مما يقع فيه الغلط من الإنسان بفكره الرديء ؛ وينفع أيضاً نفعاً بيناً في التخالط العارض بين المتناظرين على جهة التنافس والتناصف

قال أبو سليمان : من حرس هذا الثغر أمن من جميع الأعداء ، ومن أهمله كانت جنايته على نفسه بيده أعظم من جناية مدوّه الثامر من ثغره .

وأما قوله : على أي وجه يقال لله حي والملك حي والفرس حي ، فقد دخل الجواب عنه في ضمن ما تشقّق القول به ، وتحقّق المعنى عليه في حديث المركب والبسيط ؛ ونريد هاهنا حرفاً يكون رديفاً لما تقدّم ، فنقول : أمّا الإنسان فإنه يقال له : حي بسبب الحس والحركة وما يتبعهما ممّا هو كالمحي ، وكذلك الفرس وما أشبهه . وأمّا الملك فلما كان ما يستحقّه بيساطته معذوراً عندنا ، لم نقدر على شيء نصفه به إلا ما نصّف به أنفسنا بيننا ، ولو كنّا في عالم الملك حلنا كنّا ندرى بأي شيء ينبغي أن يُنعت ويُسمّى ويُذكر ويُحسّى ، فإن من كان منّا في بلاد الصين فإنه يُسمّى الإنسان والفرس والحمار والبقر بها يتعلّم أهلها بينهم ، وإذا كان هذا معوزاً على ما ترى في الملك ، أعنى تسميته الحي ، ونعته بالحياة ، فالله الذي لا سبيل للعقل أن يدركه أو يحيط به أو يجده وجداناً أو لى وأخرى أن يُمسك عنه تجزأً وأستخذ ، ونصاؤلاً وأستغناء ، إلا بما وقع الإذن به من جهة صاحب الدين الذي هو مالك أزيمة القول ومُرشدّها إلى السمادات ، وواقفها عند الحدود ، وزاجرها

عَنِ التَّخَطُّى إِلَى مَا لَا يَجُوزُ . فَعَلَى هَذَا قَدْ وَضَحَ أَنَّ الصَّنْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ أَغْوَدُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ الثُّنْقِ ، لِأَنَّ الصَّنْتَ عَنِ الْمَجْهُولِ أَنْفَعُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْمَعْلُومِ ، وَالنَّظَاهِرَ بِالْمَجْزِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْأَسْطَلَّةِ بِالْقُدْرَةِ فِي مَوْضِعِهَا ، وَلَيْسَ لِخَلْقٍ مِنْ هَذَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ إِلَّا الْإِنِّيَّةُ وَالْهُوِيَّةُ ، فَأَمَا كَيْفَ وَلِمَ وَمَا هُوَ فَإِنَّهَا طَائِرَةٌ فِي الرِّيَّاحِ كَمَا تَسْمَعُ وَتَرَى .

وَلَمَّا حَرَزْتُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَحَمَلْتُهَا إِلَى الْوَزِيرِ وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ قَالَ لِي : هَذَا وَاللَّهِ جُهْدُ الْمَلِيقِ ، وَفِي غَلِيلِي بَقِيَّةٌ مِنَ اللَّهَبِ .

قُلْتُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، قَالَ أَبُو سَلَمَانَ : سَنَقُولُ لَكَ كَلَامًا لَا يَكُونُ فِيهِ كُلُّ الرِّضَا ، فَقُلْ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ ، فَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْرِضَ عَلَيْكَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ ، وَلَوْ لَا عَجَلَةُ رَسُولِكَ فِي الْمَطَالَبَةِ ، وَإِذْلَالُهُ بِالْإِلْحَاجِ ، وَقَوْلُهُ : الْمُرَادُ التَّقْرِيبُ وَالْإِيحَازُ ، لَا التَّطْوِيلُ وَالْإِسْهَابُ ، لَسَكَانَ الدُّنْسُجُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمِنْوَالِ ، وَالْعَمَلُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَسْطَى . قَالَ : وَمِنْ الْمَعَالِمِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَازِلٌ ، وَلَا بِهَا خَائِرٌ ، أَنَّ السَّائِلَ يَحْضُرُ عَلَى التَّخَالُصِ الْمَفْهُومِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَزِيدُ الشَّيْءَ إِغْلَاقًا ، فَإِذَا أُمْتُثِلَ مَا يَرِيهِمْ قَالَ : مَا شَفَانِي الْقَوْلُ ؛ وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ : غَرِقَ الْمُرَادُ فِي حَوَاشِي التَّكْثِيرِ ؛ فَلَيْسَ لِلْعَالِمِ تَخَلُّصٌ مِنْ أَسْتِزَادَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا عِنْدَ الْمُتَعَلِّمِ شُكْرٌ عَلَى مَبْدُولِ جُهْدِ الْعَالِمِ ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَسْتِغْنَاءُ مِنْهُ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَالْأَوَّلَى فِيهَا لَا حِيلَةَ فِيهِ الرِّضَا بِالْمَيْسُورِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ أَطَالَ اللَّهُ أَيَّامَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسَ عَلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الْقَلِيلَةِ النِّعْمَةَ ، أَسْتَأْنِفْنَا نَظْرًا أَنْبَلَعَ مِنْ هَذَا التَّنَظَّرِ ، بَيِّنَانٍ أَشْفَى مِنْ هَذَا الْبَيِّنَانِ ، وَطَرِيقٍ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال الوزير : والله ما قلتُ قَوْلِي ذاك ، لأنَّ هذا الكلامَ سهلٌ ، وهذا المتناولُ قريبٌ ، وهذا المرمى كَثْبٌ ، كَلًّا ، وإيًّا لأظنُّ بَلَّ أَحَقُّ أَنَّهُ لَيْسَ فِي بَضَائِعِ أَصْحَابِنَا الَّذِينَ حَوَّلِي مَنْ يُدْرِكُ هَذِهِ الْمَعَانِي عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ مِنْ^(١) يُفَزَعُ^(٢) فِي شَرْحِهَا وَتَهْذِيبِهَا إِلَيْهِ .

ثم تَمَطَّى وقال : وَأُنْعَاسَاهُ ، وَاضْغَفَ مُنْتَاهَا ؛ ثُمَّ فَارَقَتْ الْمَجْلِسَ .

الليلة السادسة والثلاثون

(١) وقال — دامت أيامه — كيف تقولُ عِنْدَ مُهَلِّ الشَّهْرِ شَيْئًا آخَرَ مِنْ لَفْظِهِ ؟
فكان من الجواب : حَكَّى الْعَالِمُ : عِنْدَ هُلُولِ^(٣) الشَّهْرِ وَمُسْتَهْلِهِ [وَهَلِهِ]
وإِهْلَالِهِ وَأُسْتَهْلَالِهِ .

(٢) قال : ورأيتُ الحاتميَّ يقولُ : عَشْرُ كَلِمَاتٍ جَاءَتْ وَعَيْنُهَا عَيْنٌ وَلَا مَهَا وَآوٌ ، وَلَمْ أُؤَيِّرْ شَرْحَهُ لَهَا لِثِقَلِ رُوحِهِ ، وَمُقَالَاتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَكَأَنَّهُ لَا عِلْمَ إِلَّا عِنْدَهُ ، وَلَا فَائِدَةَ إِلَّا هِيَ مَعَهُ ، فَهَلْ فِي حِفْظِكَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ؟

قلت : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، الْيَوْمَ ذَكَرَ الْأَنْدَلُسِيَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَعَدَّهَا ، وَقَدْ حَفِظْتُهَا ، فَقَالَ : هَاتِي يَا مُبَارَكُ ؛ فَكَانَ الْجَوَابُ : مِنْهَا الْبَقْعُ ، وَهُوَ الْجِنَايَةُ ، وَالْجَعْوُ ، وَهُوَ الطَّيْنُ ، وَالْدَّعْوُ ، مَصْدَرُ دَعَا دَعَوْا ، وَالسَّعْوُ : السَّمْعُ ، وَالشَّعْوُ : هُوَ اتْتِفَاشُ الشَّعْرِ ، وَالصَّعْوُ : الرَّجُلُ الضَّعِيفُ ، وَهُوَ أَيْضًا طَائِرٌ أَصْفَرُ مِنْ الْمُصْفُورِ ، وَالْقَعْوُ : مِنَ الْبَكْرَةِ ، وَاللَّعْوُ : الْحَرِيصُ . وَالذَّنْبُ فِي بَعْضِ

(١) الظاهر أن « من » زائدة . (٢) وردت هذه الكلمة في (١) مهملة

الحروف من التقط ، ووردت في (ب) هكذا « تفرع » .

(٣) لم نجد الهلول فيما راجعناه من كتب اللغة ، ولعل صوابه « هلال » أو لعله من الألفاظ التي افترده المؤلف بروايتها عن مشايخه .

اللغات ، والمعو^(١) : الجني من الرطب ، والنعو : الشق في مشفر البعير .

قال : هذا حسن ، لو أتى به الحاتمي لآوى شدقه ، وقال : تنح فقد جاء الأسد وغلب الطوفان وخرج الدجال وطلعت الشمس من المغرب ، ما بال أصحابنا تغتربهم هذه الخيلاء ، ويغلب عليهم النقص ، ويستمكن منهم الشيطان .

قلت : قال أبو سليمان : كل من غلب عليه حفظ اللفظ وتصريفه وأمثلته وأشكاله بعد من معاني اللفظ ؛ والمعاني صوغ العقل ، واللفظ صوغ اللسان ، ومن بعد من المعاني قل نصيبه من العقل ، ومن قل نصيبه من العقل كثر نصيبه من الحق ، ومن كثر نصيبه من الحق خفي عليه قبح الذكر .

الليلة السابعة والثلاثون

وقال الوزير ليلة : ما أحوج الجبان إلى أن يسمع أحاديث الشجعان (١) وما أشد انتفاع الضيق النفس بأستماع أخبار الكرام ، لأن الأخلاق في الخلق أغراض ، والأعراض منها لازم ومنها لا صيق .

قال : وكان^(٢) عيسى بن زُرعة سرّد على سنة سبعين ، ليالي كانت الأشغال خفيفة ، والسياسة بالماضي — نوّر الله قبره وضريحه — عامّة ، والنظر بالحسنى شاملاً — أشياء في الخلق أتى بها على عمود ما كان في نفس ، وذلك

(١) في كلتا النسختين « والمو » باللام ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقله من كتب اللغة .

(٢) في (١) « ولو كان » ؛ وقوله « لو » زيادة من الناسخ .

أَنَّهُ ذَكَرَ الْعَقْلَ وَالْحَقَّ ، وَالْعِلْمَ وَالْجَهْلَ ، وَالْحِلْمَ وَالسُّخْفَ ، وَالْقَنَاعَةَ وَالشَّرَّ ، وَالْحَيَاءَ وَالْقِيَّةَ ، وَالرَّيَّةَ وَالْقِسْوَةَ ، وَالْأَمَانَةَ وَالْحَيَاةَ ، وَالْبَيْقُظَ وَالْعَفْلَةَ ، وَالتَّقَى وَالْفُجُورَ ، وَالْجُرْأَةَ وَالْجُلْنَ ، وَالتَّوَاضُّعَ وَالْكِبَرَ ، وَالرِّفَاءَ وَالْعَذْرَ ، وَالنَّصِيحَةَ وَالنِّسْ ، وَالصَّدْقَ وَالْكَذِبَ ، وَالسَّخَاءَ وَالْبُخْلَ ، وَالْأَنَاءَ وَالْبَطْلَ ، وَالْعَدْلَ وَالْجُورَ ، وَالنَّشَاطَ وَالْكَسَلَ ، وَالنُّسْكَ وَالْفَتْنَكَ ، وَالْحَقْدَ وَالصَّفْحَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَزُورَ عَيْسَى وَتَذْكُرَ لَهُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ ، وَتَبَعَثَهُ عَلَى إِعَادَةِ حُدُودِهَا ، وَإِشْبَاعِ الْقَوْلِ فِيهَا ، مَعَ إِيْجَازٍ لَا يَكُونُ بِهِ مَدْخَلٌ لِلِخَلَلِ ، وَلَا تَقْصِيرٌ عَنْ إِيْصَالِ الْآخِرِ بِالْأَوَّلِ .

فَلَقِيتُ عَيْسَى وَعَرَفْتُهُ الْحَدِيثَ ، وَأَمَلَى مَا رَسَمْتُهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ ، وَغَرَضْتُهُ عَلَى أَبِي سَلْيَانَ ، فَرَضِيهِ بَعْضَ الرِّضَا ، وَلَمْ يَسْخُطْ كُلَّ السُّخْطِ ، وَقَالَ : تَحْدِيدُ الْأَخْلَاقِ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِضَرْبٍ مِنَ التَّجَوُّزِ وَالتَّسَّخُّعِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مُتَلَابِسَةٌ تَلَابُسًا ، وَمُتَدَاخِلَةٌ تَدَاخُلًا ، وَالشَّيْءُ لَا يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِبَيِّنُونَةٍ وَاقِعَةٍ تَقْطَعُ لِلْحَسَنِ الْعَلِيفِ ، أَوْ تَقْضِيحُ لِلْعَقْلِ الشَّرِيفِ .

نَمَّ قَالَ : [أَلَا تَرَى] أَنَّ الْفِكْرَ مَشُوبٌ بِالرَّوِيَّةِ ، وَالظَّنَّ مَخْلُوطٌ بِالْوَهْمِ ، وَالذِّكْرَ مَعْنَى التَّخَيُّلِ ، وَالْبَدِيهَةَ جَانِحَةٌ إِلَى الْحِسِّ ، وَالْأَسْتِنْبَاطَ مَوْصُوفٌ بِالْفَوْصِ ، وَمَا ^(١) هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي مَيَّزَ التَّوَاضُّعَ مِنْ شَوْبِ الضُّعْفَةِ ، أَوْ خَلَصَ عُلُوَّ الْهِمَّةِ مِنْ شَوْبِ الْكِبَرِ ، أَوْ فَرَزَ ^(٢) عِزَّةَ النَّفْسِ مِنْ نَقْصِ الْمُجَبِّ ، أَوْ أَبَانَ الْحِلْمَ عَنْ بَعْضِ الضَّعْفِ ؟ أَلَا هَذَا بِالْقَوْلِ رَبَّمَا مَهْلَ وَأَنْقَادَ ، وَلَكِنْ بِالْعَقْلِ رَبَّمَا عَزَّ وَأَعْتَصَصَ ، وَالْأَخْلَاقُ وَالْخِلَاقُ مُخْتَلِطَةٌ ، فَهِيَ مَا أَخْتَلَطَهُ قَوِيٌّ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَمِنْ هَذَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « أَوْ قَرْنَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

شديد، ومنها ما أخفلاطه ضعيف سهل، ومنها ما [اختلاطه] نصف بين اللين والشدة، وهذه ينفع العلاج في بعضها، وينبئ العلاج عن بعضها؛ والحزم يفي بالآية يتهاون بما يقبل العلاج لأجل ما لا يقبل العلاج.

قال: وهذا أيضاً يختلف بحسب المزاج والمزاج، والإنسان والإنسان، ألا ترى أنك لو رمت تحويل البخيل من القرب إلى الجود كان أشهل عليك من تحويل البخيل من الرؤم إلى الجود، والطمع في جبان التزك أن يتحول شجاعاً أقوى من الطمع في جبان الكرد أن يصير بطلاً.

قال: ومع هذا فوصف الأخلاق بالحدود — وإن كان على ما قدمناه — نافع جداً، وإضمارها في النفس مثير أبداً، فهذا هذا.

وأما ما قال أبو علي فإنه هذا. (٢)

قيل: ما الحلم؟ قال ضبط الفكر بكف الغضب.

وقال شيخنا أبو سعيد السمرقاني: اعتباره من ناحية الاسم تفتيل لطيفه^(١) وذلك أن الحلم شريك التحلم، فكان الحلم [الذي] يمد فيمن يحلم^(٢) في عرض الحلم الذي لا يماج عليه ولا يكثر له. قال: والتحلم نافع أيضاً، وهو أحد من التحالم، لأن الثاني أقرب إلى الثاني، كما أن الأول أقرب إلى الحقيقة.

وقيل ليسى: ما العدل؟ فقال: القسط القائم على التساوي. (٣)

وحكى جالينوس قال: إن الناس أشد حُبهم لأنفسهم يظنون أن لهم ما يحبون، فمن أجل ذلك وقعوا في المحب؛ فينبغي أن تكون محبتك لنفسك

(١) في الأصل «لطيفة»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٢) وردت هذه العبارة في كلتا النسخين مضطربة اللفظ لا يفهم المراد منها، وسياق

الكلام يقتضي ما أثبتنا، كما ورد في (ب) «هو» قبل كلمة «الذي».

حَقِيقَتِهِ ، وَبِمِثْ ذَلِكَ لَكَ إِذَا أَنْتَ صَبَرْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يَرَى مِنْ
يَرَى أَنَّكَ عَلَيْهَا .

[وَقَالَ : الْمُعْجَبُ] يُحِبُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَحِقُّ لَهَا ؛ وَمَا أَحْسَنَ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُحِبَّ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ بِالْعَدْلِ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّهَا جِدًّا فَيُحِبُّ
أَنْ يَجْعَلَ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ ، ثُمَّ يُحِبُّهَا مِنْ بَعْدِ .

(٤) قِيلَ : فَا الْحَسَدُ ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْأَمْسِ عَلَى شَيْءٍ يَكُونُ لغيرِهِ .

(٥) قِيلَ : فَا الْكَآبَةُ ؟ قَالَ : إِفْرَاطُ الْحُزْنِ .

قَالَ أَبُو سَلِيحَانَ : الْحُزْنُ وَالْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْأَمْسُ وَالْجُرْعُ وَالْخَوَرُ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ
وَمِنْ تَعَامَلِي وَصَفَتْ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ طَالَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَخْطُ بَطَائِلَ ، وَيَكْفِي أَنْ نَعْرِفَ
شَجَرَةَ التُّفَاحِ مِنْ شَجَرَةِ الْمَشْمُسِ ، وَشَجَرَةَ الْكُمُزِيِّ مِنْ شَجَرَةِ السَّقَرَجَلِ ؛
فَإِنْ عَوَاقِبِ الْمَعَارِفِ نَسَكِرَاتُ ، كَمَا أَنَّ فَوَاحِ الْمَعَارِفِ جَهَالَاتُ .

(٦) قِيلَ : فَا الشُّجَاعَةُ ؟ قَالَ : الْإِقْدَامُ فِي مَوْضِعِ الْفُرْصَةِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ .

قَالَ أَبُو سَلِيحَانَ : الشُّجَاعَةُ إِذَا كَانَتْ نَظْمِيَّةً ^(١) كَانَتْ فُرْصَتُهَا تَعَامَلِي
الْحِكْمَةُ وَالْهَدْوُوبُ فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ ، وَبَذَلُ الْقُوَّةِ فِي نَيْلِ الْبَغْيَةِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ
غَضَبِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا شِفَاءُ الْغَيْظِ إِذَا مِنْ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِمَامِنْ غَيْرِ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِذَا
كَانَتْ شَهْوِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا التَّبَحُّلُ بِالْعَفَةِ الْبَاتَةِ ، أَعْنَى فِي الْخَلْوَةِ وَالْحِفْلِ .

قَالَ لَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّثْمَانِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ : الْعِفَّةُ وَاسِطَةٌ
بَيْنَ الْمَقَارَفَةِ وَالْعِصْمَةِ ، وَالْعِصْمَةِ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَلَائِكِيَّةِ .

وَحَكَى عِيسَى بْنُ زُرْعَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ — عِنْدَ تَدَافُعِ الْحَدِيثِ — أَنَّ
مُورِسَ قَالَ : إِنِّي لَا أُعْجِبُ مِنْ نَاسٍ يَقُولُونَ : كَانَ يَنْتَبِهُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ

(١) نَظْمِيَّةٌ ، ي فِكْر .

على رأي واحد ، ومنهاج واحد ، وهذا ما لا يستقيم ولا يقع به نظام .
قال : وهب أن يكون الناس وكل واحد منهم مَلِكًا يَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسْتَمَعَ
له ويُطاع ، فمن كان التأمور المؤتمر ، والمنهى المنتهى ؛ والماقل الحصيف يعلم
أنه لا بد من التفاوت الذى به يكون التصالح ، كالعالم والمتعلم ، والآسر والمأمور
والصانع والمصنوع له .

ثم قال عيسى : من نوابغ الأخلاق المذمومة الغضب والكذب
والجهل والجور والدناءة .

قال أبو سليمان : أما الغضب فلا يكون مذمومًا إلا إذا أُعْمِلَ في غير أوانه ،
وعلى غير ما يَأْذَنُ الناموسُ الحقُّ به ؛ وأما الكذب ففيه أيضًا مصالح ، كأن
الصدق ربما أفضى إلى كثير من المفاسد — وإن كان الصدق قد فاز بالوصف
الأحسن ، والكذب قد وُصِفَ بالفتى الأفتيح — فكم كذب نبى من شر ،
وكم صدق أوقع في هوة ، وبقى الآن أن تعرف الصدق مع أوانه ومكانه ،
فيؤتى به أو يُنهى عنه ، وكذلك الكذب على حدِّه ومثاله .

قال : وأما الجهل والجور والدناءة فإنها أئافى الرذائل ، فيبتغى أن
يُلتفتى منها جُملَةٌ وتفصيلًا ، ولا يسلك أحدٌ إلى شيء منها [سبيلًا] فإنها أعدام ؛
— هكذا قال — ؛ والتقدم كريمة ومهزوب منه ، والوجود على أنقص الثبوت
أتم وأشرف من التقدم على أزيد الصفات ، وإن كان لا زيادة في التقدم إلا من
طريق الزعم العارض ما يصح وما لا يصح .

قيل : فما العُجب ؟ قال وزن النفس بأكثر من مثقالها . (٧)

وقال أيضًا : العُجب هو النظر في النفس بعين ترى القبيح جميلًا .

ويقال : الْمُعْجَبُ يَدَّعِي أَنَّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْجَبَ مِنْهُ قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ ؛ فَأَمَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ حَاصِلًا فَالْمُعْجَبُ لَيْسَ بِمُعْجَبٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْأَسْمِ ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِحْسَاسٌ بِالْفَضْلِ الْمَعْشُوقِ ، وَشُعُورٌ بِالسَّكَالِ الْمَوْمُوقِ ، وَأَسْتِدْعَاءٌ لِلزَّيَادَةِ تَمَّا صَارَ بِهِ هَكَذَا ، وَأَسْتِعْدَادٌ لِقَبُولِ الْقَنِيضِ مِنْ مَعْدِنِهِ بِالْأَخْتِيَارِ الثَّانِي وَالْإِعْتِيَادِ الْأَوَّلِ .

(٨) قيل : فَمَا الْوَفَاءُ ؟ قَالَ قَضَاءُ حَقٍّ وَاجِبٍ ، وَإِجَابُ حَقٍّ غَيْرِ وَاجِبٍ ، مَعَ رِقَّةٍ أُنْسِيَّةٍ ، وَخَفِيفَةٍ مَرَّعِيَّةٍ .

(٩) قيل : فَمَا الرَّغْبَةُ ؟ قَالَ : حَرَكَةٌ تَكُونُ مِنْ شَهْوَةٍ يُرْجَى بِهَا مَنَفَعَةٌ .
قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : الرَّغْبَةُ إِذَا كَانَتْ نَظْمِيَّةً كَانَتْ مَبْعَثَةً عَلَى التَّحَلِّيِّ بِالْفَضَائِلِ ، وَإِذَا كَانَتْ سُبْعِيَّةً أَوْ بَهِيمِيَّةً كَانَتْ مُلْهِجَةً بِمَوَاقِعِ أَسْدَادِهَا^(١) مِنْ الرَّذَائِلِ .

(١٠) وقيل : مَا الْمِهْنَةُ ؟ فَقَالَ : حَرَكَةٌ يَتَمَاطَاهَا الْإِنْسَانُ بِلَا حَقْفٍ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ .
قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : الْمِهْنَةُ صِنَاعَةٌ ، وَلَكِنَهَا [إِلَى الدَّلِّ أَقْرَبُ ، وَفِي الضَّمَّةِ أَدْخَلَ ، وَالصَّنَاعَةُ مِهْنَةٌ ، وَلَكِنَهَا] تَرْتَفِعُ عَنْ تَوَابِعِ الْمِهْنَةِ ، وَفِي الصَّنَاعَاتِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ الدَّلُّ أَيْضًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ حَقِيقَةِ الصَّنَاعَةِ ؛ وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ الْعَرَضِ الَّذِي بَيْنَ الصَّنَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، وَالْمَرْتَبَةِ وَالْمَرْتَبَةِ .

(١١) قيل : فَمَا الْعَادَةُ ؟ قَالَ : حَالٌ يَأْخُذُ بِهَا الْفَرَسُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مَسْنُونَةً يَجْرِي عَلَيْهَا تَجَرِي مَا هُوَ مَأْلُوفٌ طَبِيعِيٌّ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : كَانَ هَذَا الْأَسْمَ لَيْسَ يَخْلُصُ إِلَّا لِمَنْ أَتَى شَيْئًا مِرَارًا ، فَأَمَّا فِي أَوَّلِ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ هَذَا النَّمْتُ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ مَأْلُوفًا بِالتَّكْرَارِ ، وَلِهَذَا

(١) أَسْدَادُهَا ، أَيْ أَسْدَادُ الْفَضَائِلِ .

ما صيغت الكلمة من عاد يعود وأعتاد يعتاد .

وأما قوله : طبيعى ، فقل وبجبه التشبيه ، لأن الطبيعى أشد رسوخاً وأثبت عرقاً ، وأبعد من الانتقاض ؛ فأما المادة فكل ذلك جائر عليها ، وغير مأثور من الوقوع فيه .

قيل : كم الحركات ؟ قال : ستة أصناف ، أولها حركة الانتقال ، وهى (١٢) ضربان : إما حركة الجسم بأكمله من مكان إلى مكان ، وإما حركة كنهه بأجزائه كالفلك والرحى ، والثانى حركة الكون ، والثالث حركة الفساد ، والرابع حركة الربوبية^(١) ، والخامس حركة النقص والبل ، والسادس حركة الاستحالة ، وهى ضربان : أما فى الجسم فمثل اللون ، وأما فى النفس فمثل الغضب والرضا ، والعلم [والجهل^(٢)] .
والثقل مكانية ، والكون والفساد جوهرى ، والاستحالة هيئية ، والنمو والاضمحلال^(٣) مكانيان .

قال الكندي : وهما حركة أخرى ، وهى حركة الإبداع ، إلا أن بينها وبين حركة الكون فرقاً ، لأن هذه لا من موضوع ، وحركة الكون من فساد جوهر قبله بمحدوثة ، ولذلك قيل : إن الكون خروج من حال خسية إلى حال نفيسة .

قال أبو سليمان : حركة الإبداع عبارة بسيطة لا يجب أن يفهم^(٤) منها

(١) فى كلتا النسخين : « الدنو » ، وهو تصحيف . والربو : الزيادة ، وقد أثبتنا هذه الكلمة أخذاً مما يأتى بعد فى توضيح هذه الحركات ، من قوله : « ولنور » ولما أثبتنا هنا الربو بالراء والباء لفرجه من حروف الأصل . (٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد فى كلتا النسخين ، والسياق يقتضى إثباتها لئلا يتحقق الاستحالة إلا بين القوى وما يحالقه . (٣) يشير بالاضمحلال هنا إلى ما سبق من حركة النقص والبل ، وهى الخامسة .

(٤) فى (ب) : « يظهر » مكان « يفهم » .

مَعْنَى مُرَكَّبٍ . قَالَ : وَإِنَّمَا قُلْتُ [هَذَا] لِأَنَّ اللَّفْظَ نَظِيرُ اللَّفْظِ فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ
وَلَيْسَ الْمَعْنَى نَظِيرَ الْمَعْنَى فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ ، وَاللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ فِي التَّرَكُّبِ
بِلُغَةِ كُلِّ أُمَّةٍ ، وَالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي الْبَسَاطَةِ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ ^(١) وَالْعَقْلُ ، وَالْعَاقِلُ
وَالْعَاقِلُ ، وَإِنَّمَا حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ مُشَارٌ بِهَا إِلَى مَقْوِّمِ الْأَشْيَاءِ بِلا كُلْفَةٍ فَاعِلٍ ،
وَلَا مُعَانَاةٍ صَانِعٍ ، وَإِنَّهَا بَدَتْ بِالْمُبْدِعِ مِنَ الْمُبْدَعِ لِمُبْدِعٍ لَا عَلَى أَنَّ الْبَاءَ
أَلْصَقَتْ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ [مِنْ] فَصَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ اللَّامَ أَضَافَتْ
إِلَيْهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَالْأَمَارَاتِ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ
بِالْإِبْدَاعِ ، فَلَمْ يَحْزُ أَنْ يُنْفَعَتْ بِهَا الْمُبْدِعُ ، وَلَوْ جَازَ هَذَا لَكَانَ دَاخِلًا فِيهَا ،
وَمَوْجُودًا بِهَا ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا . فَلَمَّا جَلَّ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِالْتَّحْقِيقِ فِي الْأَخْتِيَارِ
وُصِفَ بِهَا بِالْإِسْتِعَارَةِ عَلَى الْأَضْطِرَارِ ، لِأَنَّهُ لَا بَدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَذْكُرَهُ وَنَصِفَهُ
وَنَدْعُوهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَقْصِدَهُ وَنَرْجُوهُ وَنَخَافَهُ وَنَعْرِفَهُ وَنَنْحُوهُ وَنَطْلُبَ مَا عِنْدَهُ
وَنُؤَاجِهُهُ وَنُكَافِيَهُ ^(٢) ؛ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْنَا ، وَلُطْفٌ مِنْهُ بِنَا ، وَحِكْمَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا
وَالْإِلا كَانَتْ الْعِصْمَةُ تَنْبِيْرًا ، وَالطَّمَعُ يُنْقِطِعُ ، وَالْأَمَلُ يَضْمَعُ ، وَالرَّجَاءُ يَنْجِيبُ ،
وَالْأَرْكَانُ تَتَخَلَّخِلُ ، وَالذَّرَائِعُ تَرْتَفِعُ ، وَالْوَسَائِلُ تَمْتَنِعُ ، وَالْقَوَاعِدُ تَسِيحُ ،
وَالرَّغَبَاتُ تَسْتَقُطُ ، وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْمَلَايِكَةُ
تَأْتِي ذَلِكَ ؛ فَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ سَلَامًا لَنَا إِلَيْهِ ، لَا حِفَائِقَ يَجُوزُ
أَنْ يُظَنَّ بِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، عَلَى سَبِيلِ ^(٣) السَّيَاحِ الْمَمْدُودِ ، وَالْمِنْهَاجِ الْمَخْدُودِ .

سَمِعْتُ كَلَامَ عِيَسَى فِي تَصْدِيفِ الْحَرَكَاتِ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْفِقْرَةِ الَّتِي كَانَتْ
مَحْفُوظَةً فِي حَرَكَةِ الْإِبْدَاعِ ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ لِقَوْمٍ فِي هَذَا الْبَابِ حَيْرَةً عَارِضَةً

(١) فِي (ب) عَلَى قَدْرِ اللَّفْظِ ، وَفِيهِ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) الْمَكَالِفَةُ : الْمَوَاجِهُةُ
وَالْمُلَافَاةُ . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ «لَا عَلَى سَبِيلِ» الخ. وَقَوْلُهُ «لَا» زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ كَمَا يُلَوِّحُ لَنَا .

أورا كدة ، لا يَسْتَطِيعُونَ التَّفَقُّصَ عنها ، ولا يَقْدِرُونَ على البراءة منها ، للضلال الذي قد لَزِمَهُمْ ، والأصنام التي قد تَرَبَّعتْ في نُفُوسِهِمْ ، والأمثلة التي قد خَالَطَتْ عُقُولَهُمْ ، والأفياء التي أَسْتَضَجَبُوهَا مِنْ إِحْسَانِهِمْ ؛ والقائل هذا ينبغي أن يتحرَّى وَيَتَلَبَّثَ حتَّى يَفْرَى مِنْ هذه الأشياء وَيَتَرَيَّثَ ؛ فينبذ أَضْمَنُ لَهُ أَنْ يَصِيحَ تَوْحِيدُهُ ، وَيَتِمَّ تَجْرِيدُهُ ، وإلى التوحيد تنتهي الفلسفة بأجزائها الكثيرة ، وأبوابها المختلفة ، وطُرُقها للتشعبة .

وأنا أعوذُ بالله من صناعةٍ لا تُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ ولا تدلُّ على الواحد ولا تدعو إلى عبادته ، والأعترافِ بوحْدانيته ، والقيامِ بحقوقه ، والمصير إلى كنفه ، والصبرِ على قضائه ، والتسليم لأمره ؛ وَوَجَدْتُ أَرْبابَ هذه الصفات ، أغني المهندسة والطب والحساب والموسيقى والمنطق والتنجيم مُعْرِضِينَ عن تجسُّم هذه الغايات ، بل وَجَدْتُهُمْ تَارِكِينَ الإِلَهَامَ بهذه الحائكات ، وهذه آفةٌ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ منها ، والعافية من عواقبها ؛ والسلام .

قيل : ما التَّام ؟ قال : بلوغُ الشيء الحدَّ الذي ما فوقه ^(١) إفراط ، (١٣) وما دونه تقصير .

قال أبو سليمان : التَّامُ أَلْيَقُ بِالْمَخْسُوسَاتِ ، وَالْكَامِلُ أَلْيَقُ بِالْأَشْيَاءِ الْمُقُولَةِ . قال : وليست هذه الْفُتْيَا مِثْلَ جازمة ، ولا عن العربِ الْعَرَبِيَّةِ مَرْوِيَّةٌ ، ولكن إِذَا لَحَظْنَا الْمَعْنَى مُخْتَلِفَةً ، طَلَبْنَا لَهَا أَسْمَاءَ مُخْتَلِفَةً ، لِيَكُونَ ذَلِكَ مَعُونَةً لَنَا فِي تَحْدِيدِ الْأَشْيَاءِ أَوْ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ مِنْ ^(٢) طريقِ الإِقْنَاعِ الْكَافِ ^(٣)

(١) ما فوقه ، أى الذى فوقه . وكذلك أيضاً « وما دونه » .

(٢) ورد فى كلتا النسختين « إلا من طريق » . وقوله « إلا » زيادة من الناسخ كما يلوح لنا .

(٣) فى كلتا النسختين « الكافى » والياء زيادة من الناسخ .

للبَدَلِ والتهمة ، أو من طريق البرهان الإطبع بالحجة ، الراجع للشبهة ، أو من طريق التقليد الجارى على السنين والعادة .

قال : ولهذا [إذا] قيل : ما أنتم قائمته اكان أحسن ، وإذا قيل : ما أكمل نفسه اكان أجمل .

(١٤) قيل له : هل يتساوى الكون والفساد فيبقى الشيء على ماهو به ؟ فقال : أما على الحقيقة فلا ؛ ولكن^(١) على السعة ، لأن الكون متصل بالفساد ، إلا أنهما يخفیان في متباديهما حتى إذا امتد الأنان^(٢) فصار آنا^(٣) واحداً فحينئذ بان الكون من الفساد ، وبان الفساد من الكون ، وهذا بالأعتبار الحسى ؛ فاما العقل فيرتفع عن هذا ، لأنه يعلم حقيقة الشيء على ماهو عليه ، ولا يقبل من الحس حكماً ، ولا يختصم إليه أبداً .

وإنما الحس عامل من عمال العقل . والعامل يجوز مرةً ويعدل مرةً ، فاما الذى هذا هو عامله فهو الذى يتعقبه ، فإن وجدّه جائزاً أبطل قضاءه ، وإن وجدّه عادلاً أمضى حكمه ، ومتى استشير الحس في قضايا العقل فقد وُضِعَ الشيء في غير موضعه ، ومتى استشير العقل في أحكام الحس فقد وُضِعَ الشيء في موضعه .

(١٥) قيل : فما الصورة ؟ قال : التى بها^(٣) يخرج الجواهر إلى الظهور عند اعتقاد الشورى إياه .

(١) فى (ب) : «أما» مكان «ولكن» ، وهو خطأ من الناسخ لا يستقيم به الكلام إذ لا جواب لأما بعد ذلك .

(٢) فى (ب) : الأنان ... أبا واحداً ، وفى (١) : الاناءان ... «أنا واحداً» ، وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٣) فى (ب) : «لها» ، وهو تحريف .

قال أبو سليمان : هذه الفُتَيَّا جُزْأِيَّة ، الصُّوَرُ أَصْنَافٌ : إلهيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ ، وَفَلَكِيَّةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ ، وَأَسْطَقُوسِيَّةٌ وَصَنَاعِيَّةٌ ، وَنَفْسِيَّةٌ وَلَفْظِيَّةٌ ، وَبَسِيطَةٌ وَمُرَكَّبَةٌ ، وَمُزْوَجَةٌ وَصَافِيَّةٌ ، وَيَقْطِئِيَّةٌ وَنَوْمِيَّةٌ ، وَغَائِبِيَّةٌ وَشَاهِدِيَّةٌ .

ثم اندفع فقال : أما الصُّورَةُ الإلهيَّةُ — وهى أعلاها فى الرُّتَبَةِ وَالْحَقِيقَةِ . وهى (١٦) أَبْعَدُ مِنَّا فى التَّحْصِيلِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى — فلا طَرِيقَ إِلَى وَصْفِهَا وَتَحْدِيدِهَا إِلَّا عَلَى التَّقْرِيبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَسَاطَةَ تَغْلِبُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ تُرْسَمُ بِأَن يُقَالَ : هِىَ الَّتِى تَجَلَّتْ بِالْوَحْدَةِ ، وَتَبَيَّنَتْ بِالْإِدْوَامِ ، وَدَامَتْ بِالْوُجُودِ .

وأما الصُّورَةُ الْعَقْلِيَّةُ فَهِيَ شَقِيقَةُ تِلْكَ ، إِلَّا أَنَّهَا دُونُهَا لَا (١٧) بِالْأَنْحِطَاطِ الْحَسْبِ ، وَلَكِنْ بِالْمُرْتَبَةِ اللَّفْظِيَّةِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ الصُّوَرَتَيْنِ فَصْلٌ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ النَّعْتِ ، وَإِلَّا فَالْوَحْدَةُ شَائِمَةٌ وَغَالِبَةٌ وَشَامِلَةٌ ، لَسَكُنَ الصُّورَةُ الإلهيَّةُ تُلَحَّظُ لَحْظًا ، وَلَا يُلَفَّظُ بِوَصْفِهَا لَفْظًا ، لِمُشَاكَلَتِهَا الصُّورَةَ النَّفْسِيَّةَ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ أُمْكِنَ أَنْ تُرْسَمَ فَيُقَالُ : هِىَ الَّتِى تُهْدِى إِلَى الْعَاقِلِ تَلَجَّأً فِي الْحُكْمِ ، وَثِقَةً بِالْقَضَاءِ ، وَطُمَأْنِينَةً لِلْعَاقِبَةِ ، وَجَزْمًا بِالْأَمْرِ ، وَدُخُوضًا لِلْبَاطِلِ ، وَبِهَيْجَةٍ لِلْحَقِّ وَنُورًا لِلصِّدْقِ .

والفَرْقُ بَيْنَ الصُّورَةِ الإلهيَّةِ وَالصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ الصُّورَةَ الإلهيَّةَ تَرِدُ عَلَيْكَ وَتَأْخُذُ مِنْكَ ، وَالصُّورَةَ الْعَقْلِيَّةَ تَصِلُ إِلَيْكَ فَتُغْطِيكَ ، فَالْأُولَى بِقَهْرٍ وَقُدْرَةٍ ، وَالثَّانِيَّةُ بِرَفَقٍ وَأَطَافَةٍ ؛ وَتِلْكَ تَحْجُبُكَ عَنْ لِمَ وَكَيْفَ ، وَهَذِهِ تَفْتَحُ عَلَيْكَ لِمَ وَكَيْفَ ، وَتِلْكَ لَا تُنْجِى وَلَا تُطَلِّبُ ، وَهَذِهِ يُسَمَّى إِلَيْهَا ، وَيُسْأَلُ عَنْهَا وَتُوجَدُ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الإلهيَّةِ بَرُوقٌ تَمُرُّ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ شَمُوسٌ تَسْتَدِيرُ ؛ وَتِلْكَ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ بِالْخُصُوصِيَّةِ لَا نَصِيبَ لِأَحَدٍ مِنْهَا ، وَهَذِهِ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ فَأَنْتَ

(١) فى كلتا النسختين : «دونها بالانحطاط» بغير «لا» النافية ، والسبب يقتضى إثباتها .

وغيرك شرع فيها ؛ وتلك للصّون والحفظ ، وهذه للتبذل والإفاضة
 (١٨) وأما الصورة الفلكية فداخلة تحت الرّمم بالعرض ، ولوهم فيها أثره
 كثير ، ولأنها مأخوذة من الجسم الأعظم صارت مشاكستها مقسومة بين البسيط
 الذي لا تركيب فيه البتة ، وبين المركب الذي لا يخلو من التركيب البتة ؛
 ولهذا صار تأثير الفلك في المتحرّكات عنه أشدّ من تأثير الفلك عن المتحرّك
 له ، وكأنه أول [متحرّك] متحرّك ؛ وليس هكذا ^(١) ماعلا عنه .
 والفلك بما هو جسم منقوص الصورة ، وبما هو دائم الحركة شريف
 الجواهر .

(١٩) وأما الصورة الطبيعية فتبعثها بالمادة القابلة لآثارها بحسب استعدادها لها ،
 فلذلك ما هي مخرّجة عن الدرجة العليا ، وعشقتها للقابل منها أشدّ من عشقتها
 للفيض عليها ، ولهذا أيضا كانت منافعتها ممزوجة ، ومضارها بجمّة ^(٢) ، وهي
 تجمع بين الحكمة والبله ، وبين الجيد والردى ، ولو سألناها لم أنت ضارة
 نافية ؟ لقالت : بعدت ، فلما بعدت صوّبت وصعدت .

وسمعت أبا النفيس يقول في وصف الطبيعة كلاما له رونق في النفس ^(٣)
 وأنا أصل هذه الجملة به .

قال : أيتها الطبيعة ، ما الذي أقول لك ، وبأي شيء أواخذك ، وكيف
 أوجه العتب عليك ؟ فإنك قد جمعت أمورا منكرة ، وأحوالا عسيرة ،

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) « وليس هذا فاعلا عنه » . ولا يخفى ما في هذه
 العبارة من التحريف .

(٢) في كلتا النسخين : « نجية » ، وهو تصحيف ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في (ب) « في السمع » .

لَا يَنْفِي نِظَامُكَ فِيهَا بِأَنْ تَشَارِكَ عَلَيْهَا ، وَلَكِ بَوَادِرُ ضَارَّةٌ ، وَغَوَائِلُ خَفِيَّةٌ تَبْدُو مِنْكَ ، وَتَقُورُ فِيكَ ، وَتَرْجِعُ إِلَيْكَ ، حَتَّى إِذَا قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ حَكِيمَةٌ ، قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ سَفِيهَةٌ ، فَالْبَلَّ مِنْكَ مَخْلُوطٌ بِالْيَقْظَةِ ، وَالْأَسْتِقَامَةُ فِيكَ عَائِدَةٌ بِالْأَعْوَجَاجِ ، وَفِيكَ فِظَائِعُ وَنَزَائِعُ ، وَقَوَارِعُ وَبَدَائِعُ ، لِأَنَّ حَرَكَاتِكَ تَسَنُّ مَرَّةً أَسْنَانًا تُعْشِقِينَ عَلَيْهِ ، وَتُحْبِبِينَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَتَزِيغُ أُخْرَى زَيْفًا تُمَقِّتِينَ عَلَيْهِ ، وَتُبْغِضِينَ بِسَبَبِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ حَرَكَاتُكَ نَقْضًا لِلْبِنَاءِ الْحَكْمِ وَالصُّورَةِ الرَّائِعَةِ ، وَالنِّظَامِ الْبَهِيِّ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ بِنَاءٌ لِلْمُنْتَفِضِ ، وَتَجْدِيدًا لِلْبَالِي وَإِصْلَاحًا لِلْفَاسِدِ ، حَتَّى كَأَنَّكَ عَابِتَةٌ بِلَا قَصْدٍ ، عَائِدَةٌ عَلَى عَمْدٍ ، وَعَلَى جَمِيعِ صِفَاتِكَ مِنَ الْوَاصِفِينَ لَكَ لَمْ يَعْلَمْ ^(١) مَنْ ظَنَّ ، وَلَا رَأَى مَنْ تَخَيَّلَ ، وَلَا بَعْدَ لَفْظٍ مِنْ تَأْوِيلٍ ، وَلَا حَالٍ مَعْنَى عَنْ تَوْثَمٍ ، وَلَا أَسْفَرَ حَقٌّ عَنْ بَاطِلٍ ، وَلَا تَمَيَّزَ بَيَانٌ عَنْ تَمْوِيهِ ، وَلَا وَضَحٌ نُضِجَ مِنْ غِشٍّ ، وَلَا سَلَمٌ ظَاهِرٌ مِنْ تَنَاقُضٍ ، وَلَا خَلَّتْ دَعْوَى مِنْ مُعَارِضٍ ، فَلهَذَا وَأَشْبَاهِهِ وَاجْهَتِكَ بِخَطَابِي ، وَعَرَضْتُ عَلَيْكَ مَا فِي نَفْسِي ، فَبِالَّذِي أَنْتَ بِهِ قَائِمَةٌ ، وَبِالَّذِي أَنْتَ بِهِ مَوْجُودَةٌ ، وَبِالَّذِي أَنْتَ لَهُ مُنْقَلِبَةٌ ، وَإِلَيْهِ مُنْسَاقَةٌ ، إِلَّا خَبَّرْتُكَ عَنْكَ ، وَشَفِيتُ غَلِيلِي مِنْكَ ، وَنَمَتُ لِي غَيْبَ شَأْنِكَ ، وَجَعَلْتُ الْخَبَرَ عَنْكَ كِمَيَانِكَ ، وَإِنَّمَا ضَرَعْتُ إِلَيْكَ هَذَا الضَّرْعَ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْكَ هَذَا الْوَجْعَ ، لِأَنَّكَ جَارَتِي وَصَاحِبَتِي ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حِجَابٌ إِلَّا مَا هُوَ عَدُوٌّ مِنْكَ أَوْ مَنِّي ، أَعْنِي بِمَا هُوَ مِنْكَ لُطْفٌ سَحَرُكَ ، وَخَفَاءٌ سِرُّكَ ، وَأَعْنِي بِمَا هُوَ مَنِّي مَا أَعْجَزُ عَنْ أَسْتِبَانَتِهِ وَاسْتِيضَاحِهِ إِلَّا بِقُوَّةِ الْإِلَهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ إِحْرَاقِكَ فِي أَفَانِينَ تَبْصُرُكَ ، وَأَعْجِيبُكَ عَدْلَكَ وَتَعْنِيفَكَ .

(١) عبارة (١) « لَمْ نَرِ أَعْلَمَ مِنْ ظَنِّ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وكان إذا بَلَغَ هذا الحدَّ وما شاكَه أَخذَ في كلامٍ كالجوابِ عَلَى طريقِ
التأنيسِ والتسليَةِ والاستِراحة ، وهذا بالواجبِ ، لأنَّ الإنسانَ بسببِ أغراضه
الجهولةِ ، وعوارضه الفاجئةِ الباغيةِ مِنَ الغيبِ والشَّهادةِ يفتقرُ افتقاراً شديداً
إلى هذه الثُّبُوتِ التي تقدِّمُ ذِكْرُها ؛ وهذا كاللَّداءِ والدَّواءِ ! وليس لأحد أن
يتهمَّ فيقول : هَلَّا أرتفعَ الدَّاءُ أصلاً فَيُسْتَفْتَى عن الدَّواءِ بجملة ، وهَلَّا وقعَ الدَّواءُ
أبداً عَلَى الدَّاءِ ونفاهُ وصرفه . فَإِنَّ هذا كلامٌ مَدْخُولٌ ، من عَقْلٍ كليلٍ ،
وتعمرى إنَّ مَنْ جَهِلَ القِسْمَةَ الإلهيَّةَ في الأزلِ ^(١) بحسبِ شهادةِ العقْلِ لِعِبِّ
به الوسواسُ في هذه المَواضِعِ ، وظَنَّ أنَّ الأمرَ لو كانَ بخلافِ ما هوَ عليه
كانَ أولى وأتمَّ وأوثقَ وأحكم . يا وَيْحَهُ ! من أينَ يُوجِبُ هذا الحُكْمُ ؟ وبأى
شئٍ يُثَبِّتُ هذا القَضَاءُ ؟ وكيفَ يَثْبُقُ بهذا الوهمُ ؟

وكان يقول أيضاً إِنَّ الطَّبيعَةَ تقول : أنا قُوَّةٌ من قوَى الباري ، مُوكَّلةٌ
بهذه الأجسامِ المُسَخَّرَةِ حَتَّى أَتَصَرَّفَ فيها بفاية ما عِنْدِي من النفسِ والتَّصَوُّيرِ
والإصلاحِ والإفسادِ اللَّذِينَ تَولَّاهُمَا لم يَكُنْ لي أثرٌ في شئٍ ، ولا لشيءٍ أثرٌ
مِنِّي ، وكانَ وجودِي وعدَمِي سَوَاءً ، وحُضُوريَ وغِيَابِي واحداً ، ولو بَطَلْتُ بَطَلَ
بِبَطْلَانِي ما أنا به ؛ وهذا زائفٌ من القولِ ، وخَطْلٌ من الرأى ، وتَحَكُّمٌ
من الظَّانِّ ؛ ولو أُخْتِمِلَ إيرادُ كلِّ ما كانَ يَتَنَفَّسُ به هذا الشيخُ في حالِ نشاطِهِ
وأنقباضِهِ ، لكانَ ذلكَ مرَّاداً فسيحاً ، ومُشرِّحاً واسعاً ، ولكنَّ ذلكَ متعذِّرٌ
لِعَجْزِي عن الوفاءِ به ، ولأنَّ هذه الرِّسالةَ تَتَقَلَّصُ عنه ، وإنما أجولُ في هذه
الأَكْثافِ لِكَلِّني بالحِكْمَةِ كيفَ دارَتِ العبارةُ بها ، وأمكنَتِ الإشارةُ
إليها ، لا عَلَى التَّفَقُّصِ لها وبلوغِ الغايةِ منها ، وَمَنْ يَقْدِرُ على ذلكِ ؟ ومن يُحدِّثُ

(١) في (١) « الأول » ، وفي (ب) « الأولى » ، وهو تحريف .

نفسه بذلك ؟ العالم أبعدُ غَوْرًا وأعلى قُلَّةً وأثقلُ وَزْنًا وأحدُ غَرَبًا وألطفُ
أَعْرَاضًا وأكنفُ أَجْرَامًا وأعجبُ تَرْكِيبًا وأغربُ بَسَاطَةً من أن يأتي عليه
إنسانٌ واحدٌ ، وكلُّ مَنْ^(١) كان في مَسْكِهِ ، وإن بلغ الغاية في دِقَّةِ الذَّهْنِ
وحُسْنِ البَيَانِ وبِلاغةِ اللَّفْظِ ، وأسْتِنْبَاطِ النِّمَاضِ في حَاضِرِهِ^(٢) وغَائِبِهِ ؛ هذا
مالا يَتَوَهَّمُهُ الْعَقْلُ^(٣) .

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الدَّغْوَى ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبْلِهَتَنِي الشُّكْرَ عَلَى مَا فَتَحَ
وَشَرَحَ ، وَهَدَى إِلَيْهِ وَمَفَتَحَ ، وَأَطْلَعَ عَلَيْهِ وَنَدَحَ^(٤) ، فَإِنَّ الشُّكْرَ قَرَعُ لَبَابِ
الْمَزِيدِ ، وَالْمَزِيدَ بَاعَثَ عَلَى الشُّكْرِ الْجَدِيدِ ، وَالشُّكْرُ — وَإِنْ خَلَصَ
بِالْعِرْفَانِ ، وَجَرَى بَضْرُوبِ الْبَيَانِ عَلَى اللِّسَانِ — فَإِنَّهُ يَقْصُرُ عَنْ تَوَاتُرِ النِّعْمَةِ
بَعْدَ النِّعْمَةِ ، وَتَطَاهُرِ الْفَائِدَةِ بَعْدَ الْفَائِدَةِ .

وَأَمَّا الصُّورَةُ الْأُسْطُقُسِيَّةُ ، فَهِيَ لِأَمْتَةٍ لِكُلِّ ذِي حِسٍّ^(٥) بِالتَّنَاطُلِ لِلْوُجُودِ^(٦)
فِيهَا ، وَالتَّبَايُنِ الْآخِذِ بِنَصِيبِهِ مِنْهَا ، وَلَهَا أَنْقِسَامٌ إِلَى آحَادِهَا ، أَعْنَى أَنَّ صُورَةَ
الْمَاءِ مُبَايِنَةٌ لَصُورَةِ الْهَوَاءِ ، وَكَذَلِكَ صُورَةُ الْأَرْضِ مُخَالَفَةٌ لَصُورَةِ النَّارِ ،
فَتَحْدِيدُهَا بِمَا يُقَرَّرُهَا مَعَ غَوْصِهَا فِي كُلِّ أُسْطُقُسٍ شَدِيدٍ ، وَاللَّفْظُ لَا يَصْنَعُ ،
وَالْمُرَادُ لَا يَبْزَازُ .

(١) في (ب) «ما» مكان «من» وفي (أ) «مسئلة» مكان «مسكة» ؛ وهو تحريف في
كلا اللفظين . والمسك : الجلد . ويريد به هنا الشكل ، أى كل من أشبهه وشاكله . أو يريد
به من كان محبوبا في جسمه مقيدا بمادته .

(٢) في كلتا النسختين : « في آخره » مكان قوله : « في حاضره » ؛ وهو تحريف .
وفي (أ) و « غائبه » مكان « وغائبه » الوارد في (ب) وهو ما اختلفناه ليتقابل اللفظان .

(٣) في كلتا النسختين « إلا عقل » وفي قوله « إلا » تحريف ظاهر .

(٤) ندح الشيء : وسَّمه ، وفي كلتا النسختين : و « قدح » بالالف ، وهو تحريف .

(٥) في كلتا النسختين : « حسن » ، وهو تحريف .

(٢١) وَأَمَّا الصُّورَةُ الصَّنَاعِيَّةُ فَهِيَ أَبْيَنُ مِنْ ذَلِكَ ، لَأَنَّهَا مَعَ غَوْصِهَا فِي مَادَّيْنَهَا بَارِزَةٌ لِلْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَلِجَمِيعِ الْإِحْسَاسِ ، كَصُورَةِ السَّرِيرِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْبَابِ وَالْخَاتَمِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(٢٢) وَأَمَّا الصُّورَةُ النَّفْسِيَّةُ فَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَرِيفَةِ وَتَوَابِعِهَا فِيمَا يُحَقِّقُهَا أَوْ يُخْذِلُهَا^(١) وَهِيَ شَقِيقَةُ لِلصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ بِالْحَقِّ .

(٢٣) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْبَسِيطَةُ فَلَاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْبَسِيطِ مَا يَمِزُّ رَسْمَهَا إِلَّا بِالْإِيمَاءِ إِلَيْهَا ، فَإِنْ لَحِقَ هَذَا الْإِيمَاءُ سَامِعُهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا فَلَا طَمَعُ فِي عِبَارَةٍ شَافِيَةٍ عَنْهَا .

(٢٤) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُرَكَّبَةُ فَهِيَ بَادِيَةٌ لِلْحِسِّ بِأَنْوَارِ الطَّبِيعَةِ فِي مَادَّيْنَهَا ، وَبَادِيَةٌ أَيْضًا لِلنَّفْسِ بِأَنْوَارِ الْعَقْلِ فِي سَيِّجِهِ عَلَيْهَا ، وَكَأَنَّ بَيْنَ الْبَسِيطِ وَالْبَسِيطِ فَرْقًا يَكَادُ الْبَسِيطُ يَكُونُ بِهِ مُرَكَّبًا ، كَذَلِكَ بَيْنَ الْمُرَكَّبِ وَالْمُرَكَّبِ فَرْقٌ يَكَادُ الْمُرَكَّبُ يَكُونُ بِهِ بَسِيطًا ؛ وَهَذِهِ بِجُمْلَةٍ تَفْسِيرُهَا مُعْوِزٌ .

(٢٥) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُتَزَوِّجَةُ فَهِيَ أَخْتُ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ ، وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ الصَّافِيَّةُ أَخْتُ الصُّورَةِ الْبَسِيطَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا تَمَازُزًا فِي اللَّفْظِ وَاللَّفْظِ ، إِذَا كَانَتَا مُتَصَاحِبَتَيْنِ^(٢) وَلَمْ تَكُونَا مُتَعَامِدَتَيْنِ .

(٢٦) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْيَقَظِيَّةُ فَهِيَ تَجْمُوعَةٌ مِنَ الْإِحْسَاسِ ، لِحَرَاكَتِهَا^(٣) عَلَى وَجْدَانِ الْمَشَاعِرِ كُلِّهَا ، وَمَا لَهَا وَبِهَا .

(٢٧) وَأَمَّا الصُّورَةُ النَّوْمِيَّةُ فَهِيَ أَيْضًا مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ أَخْتُهَا ، أَعْنَى الْيَقَظِيَّةِ ، لَأَنَّهَا إِغْضَاءُ عَيْنٍ وَفَتْحُ عَيْنٍ ، أَعْنَى أَنَّ النَّائِمَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِثَالَاتِ الْإِحْسَاسِ

(١) فِي (١) « لَوْعِدَ مِنْهُمَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « إِذَا كَانَا مُتَصَاحِبَيْنِ » الْخِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَجَرَايَانَهَا » بِالْوَاوِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وعَوَارِضِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ بَابٌ إِلَى وَجْدَانٍ شَيْءٍ آخَرَ يَجْرِي
كَظِلِّ الشَّخْصِ مِنَ الشَّخْصِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَادِي الطَّبِيعَةِ أَوْماً إِلَى
آثَارِ الْأَخْلَاطِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي النَّفْسِ أَوْماً إِلَى نَضَبِ التَّمَاثِيلِ ، وَإِنْ كَانَ
مِنْ وَادِي الْعَقْلِ صَرَاحٍ بِمَحَاقِنِ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ إِمَّا بِالتَّقْرِيبِ وَإِمَّا بِالتَّهْذِيبِ
أَعْنَى إِمَّا بِوُقُوعِهِ عَقِيبَ ذَلِكَ ، وَإِمَّا بَعْدَ مُهْلَةٍ .

(٢٨) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْغَائِبِيَّةُ وَالشَّاهِدِيَّةُ فَقَدْ أُتْصِلَ الْكَلَامُ فِي شَرْحِهَا بِمَا تَقَدَّمَ
مِنْ حَدِيثِ الصُّورَةِ الْيَقِظِيَّةِ وَالنُّوْمِيَّةِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الشَّاهِدِ مَقْصُورَةٌ عَلَى وَجْدَانٍ
لِلشَّاعِرِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الْغَائِبِ مَقْصُورَةٌ عَلَى مَا تَعَلَّقَ^(١) عَلَى الْمَشَاعِرِ ، وَفِي الْغَائِبِ
شَاهِدٌ هُوَ الْمُلْحُوظُ^(٢) مِنَ الْغَائِبِ ، وَفِي الشَّاهِدِ غَائِبٌ هُوَ الْمُبْحُوثُ عَنْهُ فِي الشَّاهِدِ ،
فَالشَّاهِدُ غَائِبٌ بِوَجْهِهِ ، وَالْغَائِبُ شَاهِدٌ بِوَجْهِهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَجْمَعَا لَكَ كُنْتَ بَهُمَا
فِي شِعَارِهِمَا . وَالْإِلَهِيُّونَ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ هَذَيْنِ النَّقِطَتَيْنِ ، وَعَلَّوْا
هَاتَيْنِ الذَّرْوَتَيْنِ ، فَتَوَحَّدُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِمَخَصَصَاتِهِمْ ، وَانْسَلَخُوا عَنْ نَقَائِصِهِمْ ،
فَلَوْ قُلْتُ : مَا هَؤُلَاءِ^(٣) بِشَرٍّ كُنْتُ صَادِقًا .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ فِي وَصْفِ الْعَصَابَةِ حَيْثُ وَصَفَ فَقَالَ :

فِينَا وَفِيكَ طَبِيعَةٌ أَرْضِيَّةٌ تَهْوِي بِنَا أَبَدًا لِشَرٍّ^(٤) قَرَارٍ
لَكُنْهَا مَقْصُورَةٌ مَأْسُورَةٌ مَغْلُوبَةُ السُّلْطَانِ فِي الْأَخْرَارِ
فَجَسُومُهُمْ مِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي بِهِمْ وَنَفُوسُهُمْ تَسْمُو سُمُومَ النَّارِ

(١) فِي (ب) لِلْوُجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (١) «تَعَلَّقَ مِنْ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ

(٢) فِي (ب) لِلْوُجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (١) «الْمُلْحُوظُ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «هَؤُلَاءِ مَا يَبْشُرُ» ، وَنَهَيْدٌ

تَهْزِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَقَدْ نَاسَخَ كَمَا لَا يَحْتَجُّ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّرْحُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «لِشَرٍّ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لولا مُنَارَعَةُ الْجُسُومِ نُفُوسَهُمْ تَفَذَّتْ بِسُورَتِهَا مِنَ الْأَقْطَارِ
عَرَفُوا لِرُوحِ اللَّهِ فِيهِ فَضْلَ مَا قَدْ آثَرُوا مِنْ صَالِحِ الْأَثَارِ
فَتَنَزَّهُوا وَتَسَكَّرُوا وَتَعَظَّمُوا عَنْ لُؤْمِ طَبْعِ الطَّيْنِ وَالْأَخْبَارِ
نَزَعُوا إِلَى الْبَحْرِ الَّذِي مِنْهُ أَتَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَسَمَوْا عَنِ الْأَغْوَارِ
وهذا وَصَفٌ بليغٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْقَوْمِ ^(١).

فَأَمَّا مَا وَرَاءَ هَذَا فَهُنَاكَ خَبَرٌ ثَقِيٌّ ^(٢) بِمَا قَرَّرَ وَقَالَ :

(٢٩) وَأَمَّا الصُّورَةُ اللَّفْظِيَّةُ فَهِيَ مَسْمُوعَةٌ بِالْآلَةِ الَّتِي هِيَ الْأُذُنُ ، فَإِنْ كَانَتْ عَجَبَاءَ
فَلَهَا حُكْمٌ ، وَإِنْ كَانَتْ نَاطِقَةً فَلَهَا حُكْمٌ ، وَعَلَى الْحَالَيْنِ فَهِيَ بَيْنَ مَرَاتِبِ ثَلَاثٍ :
إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْسِينُ الْإِفْهَامِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْقِيقُ الْإِفْهَامِ ،
وَعَلَى الْجَمِيعِ فَهِيَ مَوْقُوفَةٌ عَلَى خَاصٍّ مَالِهَا فِي بُرُوزِهَا مِنْ نَفْسِ الْقَائِلِ ، وَوُصُولِهَا
إِلَى نَفْسِ السَّامِعِ ؛ وَلِهَذَا الصُّورَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى إِذَا مَازَجَهَا اللَّحْنُ
وَالِإِبْقَاعُ بِصِنَاعَةِ الْمَوْسِيقَارِ ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تُعْطَى أُمُورًا ظَرِيفَةً ، أَعْنَى أَنَّهَا تَلْذُّ
الْإِحْسَاسَ ، وَتُثْلِبُ الْأَنْفَاسَ ، وَتَسْتَدْعِي الْكَامِنَ وَالطَّاسَ ، وَتَرْوِّحُ الطَّبْعَ ،
وَتُنْغِمْ الْبَالُ ، وَتُدْكَرُ بِالْعَالَمِ ^(٣) الْمَشُوقِ إِلَيْهِ ، الْمُتَلَهِّفِ عَلَيْهِ .

هَذَا مُنْتَهَى كَلَامِهِ عَلَى مَا عُلِّقَ الْخِفْظُ ، وَلَقِنَهُ الذِّهْنُ ؛ وَلَوْ كَانَ مَأْخُودًا عَنْهُ
بِالْإِمْلَاءِ لَكَانَ أَقْوَمَ وَأَحْكَمَ ، وَلَكِنَّ السَّرْدَ بِاللِّسَانِ ، لَا يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْإِمْكَانِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَهَذَا هَذَا .

قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا بَابٌ فِي غَايَةِ الْإِيْفَاءِ وَالْأَسْتِيفَاءِ ، وَمَنْ يَتَحَكَّكُ بِالْأَعْرَاضِ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ دُونَ (ب) «الْقَوْلُ» مَكَانَ «الْقَوْمِ» ،
وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِيمَا يَظْهَرُ لَنَا .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهُمَا دُونَ (ب) «حَرْسُهُ» ، مَكَانَ قَوْلِهِ :
«خَبَرٌ ثَقِيٌّ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَفْهَمُ لَهُ مَعْنَى . (٣) لَمَّا يَرِيدُ بِالْعَالَمِ : عَالَمُ الرُّوحِ .

عليه فقد صَنَى^(١) ، وأَبْدَى صَفْحَتَهُ بِالْبُهْتِ ، وَدَلَّ مِنْ عَقْلِهِ عَلَى الدَّخَلِ^(٢) ،
وَمِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَى الْخَلَلِ^(٣) ؛ لَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ لِهَذَا الرَّجُلِ مَقَامًا عَالِيًا ، وَلَا يَعْجَبُ فَإِنَّهُ
مُعَوِّضٌ بِهَذَا عَمَّا فَاتَهُ .

وقال : أَنَشَدَنِي فِي الْحَرِّ شَيْئًا غَرِيبًا ، فَأَنَشَدْتُهُ :

(٣٠)

وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ يَخْطِرُ حِينَ يَخْطِرُ فِي مُورِدِ
يَسْتَقْبِكَ مَنْ جَفَنَ اللَّجِيفِ إِذَا سَقَاكَ دُمُوعَ عَسَجَدِ
حَتَّى تَغْلُنَ الشَّمْسُ تَنْدُ زِلُّ أَوْ تَغْلُنَ الْأَرْضُ تَضَعْدُ
فَإِذَا سَقَاكَ بِعَيْنِهِ وَفِيهِ نَمَّ سَقَاكَ بِالْيَدِ
حَيَّاكَ بِالْيَاقُوتِ نَعْمَ تَلْتَلِيهِ الدَّرُّ مِنْ فَوْقِ^(٤) الزَّبْرِ جَدِ

قال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ؛ هَاتِ زِيَادَةَ : فَقُلْتُ :

وَعَذْرَاءُ^(٥) تَرْغُو حِينَ يَضْرِبُهَا الْفَعْلُ كَذَا الْبِكْرِ تَنْزُو حِينَ يَفْتَقُضُهَا الْبَقْلُ
تُدِيرُ عِيُونًا فِي جُفُونٍ كَأَنَّمَا حَالِقُهَا بَيْضٌ وَأَحْدَاقُهَا نُجْلُ
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ حَوْلَ إِيَّاهَا شَدُورُ^(٦) وَدُرٌّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَصْلُ

(١) صَنَى : مَال .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَجَدَهَا دُونَ (ب) «الرَّجُلِ» ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ
وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَجَدَهَا دُونَ (ب) «الْحَالِ» ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ ؛
وَسِيَّاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَجَدَهَا دُونَ (ب) هَذَا الشَّعْرَ مَا نَعْمَ :

حَيَّاكَ بِالْيَاقُوتِ فَو * قِ الدَّرِّ مِنْ تَحْتِ الزَّبْرِ جَدِ

وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ سَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا . إِذَا الْحَرُّ لِلشَّبْهِةِ بِالْيَاقُوتِ إِنَّمَا تَسْكُونُ تَحْتَ الْحَبِيبِ
لِلشَّبْهِةِ بِالْهَرِّ ؛ وَكَلَامًا فَوْقَ الْكَاسِ لِلشَّبْهِةِ بِالزَّبْرِ جَدِ .

(٥) يَزِيدُ بِالْعَذْرَاءِ : الْبِكْرِ مِنَ الْحَرِّ . وَيَزِيدُ بِالْفَعْلِ : الْمَاءُ الَّتِي تَمْزِجُ بِهِ .

(٦) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّعْرَ وَجَدَهَا «أَنَاسًا شَدُودًا» وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي
كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

تَوَهَّمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأْنَمَا تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ بِذِكْرِهِ الْعَقْلُ
إِذَا اشْتَبَكَتْ رَجُلَايَ مِنْ سُورَةِ الْكَرَى دَرَجْتُ إِلَيْهَا مِثْلَ مَا يَدْرُجُ الْعَقْلُ
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

وَكَمْ عَائِبٍ لِلْخَمْرِ لَوْ أَنَّ أُمَّه تَبُولُ مُدَامًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا
وَلآخر :

خَلِيلِي لَوْمَانِي ^(١) عَلَى الْخَمْرِ أَوْ دَعَا فَإِنْ تَجِدَا عِنْدِي عَلَى الْوَمِ مَطْعَمَا
وَشَبَّ ^(٢) سَنَا نَارٍ لَعَلَّ نَدِيمَنَا بَنَجْرَانِ أَنْ يَلْقَى سَنَاهَا فَيَنْبَعَا
فَمَا رَاعَنَا إِذْ أَوْقَدَتْ فَوْقَ رَبْوَةٍ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا رَأَى كَبَانٍ قَدْ أَوْضَعَا
فَهَشَّ إِلَيْنَا نِمَ قَالَا : أَلَا أُنْعِمَا مَسَاءً فَقُلْنَا : دَامَ ذَلِكَ لَنَا مَتَا
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُغْنٍ لَوْ سَقَوَا جِبَالِ شِمَامٍ ^(٣) مَا سَقَوْنِي لَغْنَتْ
وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا :

الْكَأْسُ لَا تَذَرِي وَلَا الْخَمْرُ مِنْ أَى شَيْءٍ عَجَّلَ الشُّكْرُ
أَسْكُرَنِي مِنْ قَبْلِ شُرْبِي لَهَا مَنْ دَابُّهُ الْإِعْرَاضُ وَالْهَجْرُ
قُلْتُ لَهُ وَالْخَمْرُ فِي كَأْسِهِ ^(٤) كَأْنُهَا فِي كَفِّهِ بِذَرُ

(١) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « أوماني » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وسنا » بالسين والنون ؛ وهو تصحيف .

(٣) شمام : جبل لباهلة له رأسان يسميان ابني شمام ؛ ويضرب بهما المثل في الاجتماع

وعدم الفرقة .

(٤) عبارة (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « في كفه » كَأْنُهَا فِي كَأْسِهِ ؛

وهو خطأ من الناسخ ؛ وسيأتي المعنى يتضح ما أثبتنا . إذ المعروف تعبيه الكأس باليد ،

لا تشبيه الخمر به .

أَنْتَ لَعْمَرِي الْخَمْرُ يَاسَيْدِي لَيْسَ الَّذِي سَقَيْتَنِي الْخَمْرُ
آخِرُ :

نَزَكَتِ النَّبِيذُ لِأَهْلِ النَّبِيذِ فَجَارَى إِلَى اللَّهِ فِي تَرْكِهِ
وَقَدْ كُنْتُ قَدْماً بِهِ مُفْجَبًا أَرْوَحُ وَأَغْدُو إِلَى سَفْكِهِ^(١)

فقال : قد جَرَى هذا أيضاً على التَّام . اختتم مجلسنا بدُعاء الصُّوفِيَّةِ .

فقلتُ : سَمِعْتُ ابْنَ سَمْعُونَ يَدْعُو فِي الْجَامِعِ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ
اجْعَلْ قَوْلَنَا مَوْضُوعًا بِالْعَمَلِ ، وَعَمَلَنَا مُحَقَّقًا لِلْأَمَلِ ، وَلَا تُضَايِقْنَا فِيمَا نَتَحَوَّلُ بِهِ ،
وَنَتَقَلَّبُ لَكَ فِيهِ ، وَكَتَّفْ عَلَيْنَا بِسِتْرِكَ ، وَسَوِّغْنَا بِرِّكَ ، وَالْهِمْنَا شُكْرَكَ ،
وَحَفِّفْ عَلَيَّ أَفْوَاحِنَا ذِكْرَكَ ، وَأَخْصُصْنَا بِكَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَلْيَقُ بِذَلِكَ ؛ اللَّهُمَّ
اسْمَعْ وَأَسْتَجِبْ وَقَرِّبْ . وَأَنْصَرَفْتُ .

الليلة الثامنة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةً بِحَضْرَةِ الْوَزِيرِ — أَغْلَى اللَّهُ كَلِمَتَهُ ، وَأَدَامَ غَيْظَتَهُ ، وَوَالَى
نِعْمَتَهُ — أَحَقُّ مَنْ دُعِيَ لَهُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ بُوِيَّ بِهِ ، وَأَكْمَلُ مَنْ شُوهِدَ
فِي عَصْرِهِ — حَدِيثُ ابْنِ يَوْسَفَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَنَائَتِهِ وَرَثَاتِهِ ، وَعِبَارَتِهِ^(٢)
وَحَسَاسَتِهِ .

فقلتُ له : عِنْدِي حَدِيثٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَزِيرَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، عَافُ بِهِ .

(١) فِي (١) الْقِيَامُ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّرْحُ «بِتَكَّة» بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ مَكَانَ قَوْلِهِ «سَفْكِهِ»
وَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَعْنًى يَنْسَبُ إِلَى الْقِيَامِ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَتَيْنَاهُ إِذْ لَمْ نَعْرِفْ تَشْبِيهِ الْخَمْرِ بِالْهَمِّ الْمُسْفُوكِ ؛
وَقَدْ جَاءَ هَذَا كَثِيرًا فِي الشَّرْحِ .

(٢) فِي (١) الْقِيَامُ فِيهَا هَذَا السَّكَّامُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «وَعِبَارَتِهِ» بِالْبَاءِ الْوَحْدَةُ ؛
وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

قال : ما ذاك ؟ قلت : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَاضِي الْقَنُوزِيُّ قَالَ :
 كُنْتُ فِي الصُّحْبَةِ إِلَى هَـذَانِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ، وَكُنَّا جَمَاعَةً وَفِينَا ابْنُ حَرْبَارٍ ^(١)
 أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ فِي جَنْبِهِ ابْنُ يُوسُفَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ عَصَدَ الدَّوْلَةَ — بِرَدِّ اللَّهِ
 مَضِجَعَهُ — قَالَ لِابْنِ شَاهَوِيَّةَ : سِرُّ إِلَى ابْنِ حَرْبَارٍ ^(٢) وَقُلْ لَهُ : يَنْبَغِي أَنْ تَسِيرَ
 إِلَى الْبَصْرَةِ وَإِنَّا نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا مَعُونَةً ، فَقَدْ طَالَ مُقَامُكَ عِنْدَنَا ، وَتَوَالَى تَبَرُّؤُنَا
 بِكَ ، وَتَبَرُّؤُكَ بِنَا ، وَلَيْسَ لَكَ بِحَضْرَتِنَا مَا تُحِبُّهُ وَتَقْتَرِحُهُ ، وَالسَّلَامَةُ لَكَ
 فِي بُعْدِكَ عَنَّا قَبْلَ أَنْ يُفِضَى ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرِنَا . وَكَلَامًا فِي هَذَا التَّوَعُّعِ .

قال : وَنَفَذَ أَبُو بَكْرٍ وَمَعَهُ آخَرُ مِنَ الْمَجْلِسِ يَشْهَدُ التَّبْلِغَ وَالْأَدَاءَ ^(٣) ،
 وَبَسَمَعَ الْجَوَابَ وَالْأَبْتِدَاءَ — عَلَى رَسْمِ كَانَ مَعْنُودًا فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ — فَلَقِيَ
 ابْنَ حَرْبَارٍ ^(١) وَشَافَهُ بِالرَّسَالَةِ عَلَى النَّيَامِ ؛ فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ لَمَّا سَمِعَ : الْأَمْرُ لِلْمَلِكِ ،
 وَلَا خِلَافَ عَلَيْهِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنَّ النَّاسَ يَجْدُودُهُمْ يَنَالُونَ حُظُوظَهُمْ ، وَبِمُحْظُوظِهِمْ
 يَسْتَقْدِمُونَ جُدُودَهُمْ ؛ وَلَوْ وَقَّتْ مَا كَانَ هَجِيئًا ، فَقَدْ نَالَ مَنْ هُوَ أَنْقَصُ مِنِّي ،
 وَبَلَغَ اللَّيِّ مَنْ أَنَا أَشْرَفُ ^(٢) مِنْهُ ، وَلَكِنَّ الْمَقَادِيرَ غَالِبَةٌ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ عَنْهَا
 مَرْتَحَلٌ ؛ وَقَدْ قِيلَ : مَنْ سَاوَرَ الدَّهْرَ غُلِبَ ، وَلَكِنْ أَتَيْهَا الشَّيْخُ لِي حَاجَةٌ :
 أَحِبُّ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَلِكَ كَلِمَةً عَنِّي . قَالَ : هَاتِيهَا ؛ قَالَ : تَقُولُ لَهُ : أَنَا صَائِرٌ إِلَى
 مَا رَسَمْتَ ، وَمُمْتَعِلٌ بِمَا أَمَرْتَ ، بَعْدَ أَنْ تَقْضَى لِي وَطَرًا فِي نَفْسِي ، قَدْ تَقَطَّعَ
 عَلَيْهِ نَفْسِي ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ فَيُقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُوسُفَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيَضَعُفَانِهِ
 مَائَتَيْنِ ، وَيَقُولَانِ لَهُ : إِذَا لَمْ تَبْذُلْ جَاهَكَ لِمَتْلَهْفٍ ، وَلَا عِنْدَكَ فَرَجٌ لِمَكْرُوبٍ ،

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي الْأَصُولِ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى تَصْحِيحِهِ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ الصَّوَابُ فِيهِ ابْنُ
 « حَذْقِيَار » فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَهْمَانِهِمْ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا السَّكَلَامُ وَحْدَهَا « وَالْأَرَاءَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَشْف » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ولا برّةً لضعيف ، ولا عطاءً لسائل ، ولا جائزةً لشاهر ، ولا مرعىً لمنتهج ،
ولا مأوىً لضعيف ، فلم يُخاطبُ بسيدنا ، وتقبل لك اليدُ ، ويقام لك إذا طلعت ؟؟
قال ابن شاهويه : فقبل أن لقيتُ الملكَ أفصحَ^(١) له الذي كان معي مُشرِّفاً
على . فلما دخلتُ الدارَ عُرِفْتُ ، فقال : على به ، فحضرتهُ وابنُ يوسفَ قاعدٌ
بين يديه على رُسمِهِ . فقال لي : هاتِ الجوابَ عما نَعَذَّتْ فيه ؛ فقلت : الجوابُ
عندك ، فقال : ما أعجَبَ هذا ! أنتَ حَمَلْتَ الرسالةَ وأطالِبُ غيرَكَ بالجوابِ ؟
قال : فلو كنتُ حيّاً من ابنِ يوسفَ ، فقال : هاتِ يا هذا الحديثَ بقصّه ، فوالله
لا أفنَعُ إلا به ، ما هذا التواني والتكاسلُ ، فكرهتُ اللجاجَ ، فسردتهُ على
وجهِهِ ، ولم أغادرَ منه حرفاً ، وابنُ يوسفَ ينقَدُّ في إهابهِ^(٢) ، ويتغيرُ^(٣) وجهُهُ
عند كلِّ لفظَةٍ تمرُّ به ، فأقبلَ عليه الملكُ وقال : كيفَ ترى يا أبا القاسمِ
الكيسَ ؟ فقال : يا مولانا ، إنما أنا أقضي الحاجةَ بك ، فإذا لم تُقضِها كيفَ
أكون ؟ فإن الحوائجَ كلها إليك .

قال : صدقتَ ، أنا لا أقضي حاجةً لك ، لأنك لا تنصِدُ بها وجهَ الله ،
ولا تبني بها مكرمةً ، ولا تحفظُ بها مروءةً ، وإنما ترثي عليها ، وتُصانِعُ
بها ، وتجعلني باباً من أبوابِ تجارتِكَ وأرباحِكَ ، ولو كنتَ أعلمُ أنك تقضي
حاجةً لله أو لمكرمةً أو لرحمةٍ ورقةٍ لكان ذلك مَهلاً على ، وخفيماً عِنْدِي ،
لكنك معرُوفُ المذهبِ في الطمعِ والحيلةِ ، وجَرُّ النارِ إلى قُرْصِكَ ، وشَرِّهِكَ
في جميعِ أحوالك ؛ وليس الذنبُ لك ، ولكن لمن رآكَ إنساناً وأنتَ كُلبٌ .

(١) في كلا الأصلين : « ما أفصح » . و « ما » زيادة من الناسخ .

(٢) في (ب) « في ثيابه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (أ) « يتغير » .

وَصَدَقَ — صَدَقَ اللَّهُ قَوْلَهُ — فَإِنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ ، وَأَتَمَّنَ النَّاسَ ،
وَأَقْدَرَ النَّاسَ ، لَا مَنَظَرَ وَلَا مَخْبَرٍ .

وكانت أئمة مُفَنِّيةً مِنْ أَهْلِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبُوهُ مِنْ أَسْقَاطِ النَّاسِ ، وَنَشَأَ مَعَ
أَشْكَالِهِ ، وَكَانَ فِي مَكْتَبِ^(١) الرَّبَّيْضِيِّ عَلَى أَحْوَالٍ فَاحِشَةٍ ، وَوَرَقَ زَمَانًا ، ثُمَّ
إِنَّ الزَّمَانَ نَوَّهَ بِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ ، وَالْأَيَّامُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ؛
وَكَمَا يَسْتَقِطُ الْفَاضِلُ إِذَا عَانَدَهُ الْجَدَّةُ ، كَذَلِكَ يَرْتَفِعُ السَّاقِطُ إِذَا سَاعَدَهُ الْجَدَّةُ
فَهَذَا هَذَا ؛

فَقَالَ : مَا كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي ، وَإِنَّهُ لَمِنْ الْقَرِيبِ .
ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ خَبَرُكَ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي عَرَضَتْ وَانْتَشَرَتْ ، وَتَفَاقَتْ
وَتَمَاظَلَّتْ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : خَبَرٌ مِنْ شَهِيدٍ أَوَّلَهَا ، وَغَرِقَ فِي وَسْطِهَا ، وَنَجَا فِي آخِرِهَا .
قَالَ ؛ حَدَّثَنِي فَإِنَّ فِي رِوَايَتِهِ وَسَمَاعِهِ تَبَصُّرَةً وَتَعْجِبًا ، وَزِيَادَةً فِي التَّجَرُّبَةِ .
وَقَدْ قِيلَ : تَجَارِبُ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مَرَّاتٍ^(٢) الْمُتَأَخِّرِينَ ، كَمَا يُبْصَرُ فِيهَا مَا كَانَ ،
يُبْتَصَّرُ بِهَا فِيمَا سَيَكُونُ ، وَالشَّاعِرُ قَدْ قَالَ :

وَالدَّهْرُ آخِرُهُ شَبَهُ بِأَوَّلِهِ نَاسٌ كَنَاسٍ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ

وَلَيْسَ مِنْ حَادِثَةٍ مَاضِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ تُعَرِّفُكَ أَلْطَأَ وَالصَّوَابُ مِنْهَا لَتَكُونُ عَلَى
أَهْمِيَةٍ فِي أَخْذِكَ وَتَرْكِكَ ، وَإِقْدَامِكَ وَنُكُولِكَ ، وَقَبْضِكَ وَبَسْطِكَ ، وَهَذَا
وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى كُلُّ الْوَقَايَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يُبَاقِي فِي التَّهْلُكَةِ كُلَّ الْإِلْقَاءِ .

(١) فِي (ب) «مَكْتَبٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي (أ) «الرَّمْضِيُّ» بِالْمِيمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا .

(٢) فِي (أ) «مَرَّاتٍ» ، وَفِي (ب) «مَرَّاتٍ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

كان أول هذه الحادثة الفظيعة البَشِعة التي حَيَّرَت العقول وولَّهت الأبواب ،
وسافَرَ عنها التوفيق ، وأستولى عليها الخِذلان ، وعُدِمَت فيه البصائر ، شَيْءٌ كَلَّا
شَيْءٌ ، وإذا أراد الله [تعالى ذكره] أن يُعْظِمَ صغيراً قَلِيلَ ، وإذا شاء أن يُصَغِّرَ
عظماً قَدَر ، لَهُ الخَلْقُ والأمر ، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، ولا رادَّ لِقَضَائِهِ ، ولا صارِفَ
لِقَدَرِهِ ؛ وقُدْرَةُ الإنسان محدودة ، وأستطاعته مُتَنَاهِيَةٌ ، وأختيَارُهُ قَصِيرٌ ، وطَاقَتُهُ
مَعْرُوفَةٌ ؛ وكلُّ ما جاوز هذا الحَدَّ وهذا^(١) التَّنَاهِي فهو الذي يَجْرِي على الإنسان
شاءَ أَوْ أَبِي ، كَرِهَ أَوْ رَضِيَ ، وماهُنَا يُفْرَعُ إلى الله مِنْ نازِلِ الْمَكْرُوهِ ،
وحَادِثِ الْمَحْذُورِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الرُّومَ تَهَايَجَتِ على المُسْلِمِينَ ، فَسَارَتْ إلى نَصِيبِينَ بِجَمْعٍ عَظِيمٍ
زَائِدٍ على مَا عَهِدَ على مَرَّ السَّنِينَ ، وَكَانَ هَذَا فِي آخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، خَافَ^(٢)
النَّاسُ بِالْمَوْصِلِ وَمَا تَوَلَّاهُ ، وَأَخَذُوا فِي الْأُنْحَادِ على رُغْبٍ قَذِفَ فِي قُلُوبِهِمْ ،
لِيَكُونَ سَبَباً لِمَا صَارَ إِلَيْهِ [الْأَمْر] ؛ وَمَا جِئَ النَّاسُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَأُضْطَرُّوا ،
وَتَقَسَّمَ هَذَا الْمَوْجُ والأُضْطِرَابُ بَيْنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ؛ وَصَارَتِ الْعَامَّةُ طَائِفَتَيْنِ ،
طَائِفَةٌ تَرَقَّى لِلَّذِينَ وَلِمَا دَمَّ الْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَنْفِظَ ذَلِكَ فَرَقاً مِمَّا يُنْتَهَى إِلَيْهِ ، بَعْدَ
مَا يُؤْتَى عَلَيْهِ ؛ وَطَائِفَةٌ وَجَدَتْ فُرْصَتَهَا فِي الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، وَالنَّهْبِ وَالْفَارَةِ
بِوَسَامِلَةِ التَّعَصُّبِ لِلْمَذْهَبِ .

وَاِفْتَرَقَتِ الْخَاصَّةُ أَيْضاً فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ أَحْبَبَتْ أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ حَاجَةً^(٣)
لِلْإِسْلَامِ ، وَنُهُوضٌ إِلَى الْقَزْوِ ، وَانْبِعَاطٌ فِي نُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، إِذْ قَدْ أَضْرَبَ

(١) في (ب) ؟ « وهو » ؟ وهو تحريف .

(٢) في (١) « خلق » ؟ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « حيا » ؟ وهو تحريف .

السلطان عن هذا الحديث، لأنهما كيه في القصف والعزف، وإغراضه عن المصلح الدينية، والغليات السياسية؛ وطائفة اختارت السكون والإقبال على ما هو أحسن لمادة الوثوب والتهيج، وأقطع أشغب الشاغب، وأقع خلاف التهم؛ فإن الاختلاف إذا عرض خفي موضع الاتفاق، والتبس الأمر على الصغار والكبار؛ وبمثل هذا فتحت البلاد، وميلت الحصون، وأزيلت التعم، وأريق الدماء، وهتكت المحارم، وأيدت الأمم؛ ونمود بالله من غضب الله ومما قرب من [سخط] الله؛ وإذا أراد الله أمراً كثر بواعيه، وفرق نوايته^(١).

ولما اشتعلت النائرة، واشتعلت النائرة، صاح الناس: التغير التغير، وإسلاماء، وأحمداء، واصوماء، واصلاتاء، واحجاء، واغزواء، وأمرأه، في أيدي الرؤوم والطغاة. وكان عز الدولة قد خرج في ذلك الأوان إلى السكوفة للصيد، ولأغراض غير ذلك؛ فاجتمع الناس عند الشيوخ والأمائل والوجوه والأشراف والعلماء، وكانت النتيجة^(٢) بمقد حسنة، وللناس في ظل السلطان مبيت ومقيل، يستعذبون ورد، ويستسهلون صدره، وعجوا وضجوا، وقالوا: الله الله، انظروا في أمر الضعفاء وأحوال الفقراء؛ وأغضبوا لله ولدينه؛ فإن هذا الأمر إذا تفاقم تعدى ضعفاءنا إلى أقوياننا، وبطل رأي كبرائنا في تذيير صقرائنا؛ واليذارك واجب، وهو الإسلام، إن لم ندب عنه غلب الكفر، وهو الأمن والسكون إن لم يحفظا، فهو الخوف والبلاء وذهاب الحرث والنسل،

(١) في كلتا النسخين: «نوايته»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

ونوايت الأمر: مثيرات دينة ومظاهرات خفية.

(٢) في (١) «الثقة» وفي (ب) «البقية» وفي (١) «تمد» مكان قوله «جد»؛

وهو تحريف.

وَفَضِيحَةُ الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ . فَسَكَنَ الْمَشَاحِجُ مِنْهُمْ ، وَطَيَّبُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَقَوَّوْا مُنْتَهَمَهُمْ
وَوَعَدُوهُمْ أَنْ يَرْتَوُوا^(١) فِيهِ مُتَّفِقِينَ ، وَيَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ مُجْتَهِدِينَ ، وَيَسْتَخِيرُوا اللَّهَ
ضَارِعِينَ ؛ وَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُمْ ، وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ : أَبُو تَمَّامِ الزَّيْنَبِيُّ ، وَ مُحَمَّدُ
ابْنُ صَالِحِ بْنِ شَيْبَانَ ، وَابْنُ مَعْرُوفٍ الْقَاضِي ، وَابْنُ غَسَّانِ الْقَاضِي ، وَابْنُ
مُسْكِرَمَ — وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّهُودِ فِي سُوقِ^(٢) يَحْيَى — وَابْنُ أَيُّوبَ الْقَطَّانُ
الْعَدْلُ وَأَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْقَفِيهَ ، وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى وَالْعَوَامِيُّ صَاحِبُ الزَّيْبَرِيِّ^(٣) ،
وَابْنُ رُبَاطٍ شَيْخُ الْكَرْنَجِ ، وَنَائِبُ الشَّيْعَةِ^(٤) وَلِسَانُ الْجَمَاعَةِ ، وَابْنُ آدَمَ
التَّاجِرُ^(٥) ، وَالشَّالُوسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ ؛ وَتَشَاوَرُوا
وَتَفَاوَضُوا ، وَقَلَّبُوا الْأَمْرَ ، وَشَعَبُوا الْقَوْلَ ؛ وَصَوَّبُوا وَصَّعَدُوا ، وَقَرَّبُوا وَبَعَّدُوا^(٦)
وَالْيَأَمُّ لَمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَخْرُجَ طَائِفَةٌ وَرَاءَ الْأَمِيرِ بِخَتِيبٍ إِلَى الْكَرْفَةِ وَتَلْقَاهُ
وَتُعَرِّفَهُ^(٧) مَا قَدْ شَمِلَ مَدِينَةَ السَّلَامِ مِنَ الْأَهْتَامِ ؛ وَأَنَّ الْخَوْفَ قَدْ غَلَبَهُمْ ،
وَأَنَّ الذُّعْرَ قَدْ مَلَكَهُمْ ؛ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا خَلِيفَةٌ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ نَظِيرٌ
سَائِسٌ لَمْ يُفِضْ الْأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الشَّنَاعَةِ ؛ وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعَ لِلَّهِ إِنَّمَا وَلَّاهُ
مَا وَرَاءَ بَابِهِ لِيَقْبِظَ فِي لَيْلِهِ ، مَقْفُكْرًا فِي مَصَالِحِ الرِّعَايَا ، وَيُنْفِذَ فِي نَهَارِهِ أَمْرًا
وَنَاهِيًا مَا يَعُودُ بِمَرَاشِدِ الدِّينِ ، وَمَنَافِعِ الدَّانِينَ وَالْقَاصِينَ^(٨) وَإِلَّا فَلَا طَاعَةَ ؛

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « يَرْتَوُوا » بِالنَّاءِ وَسُقُوطِ الْمِزْ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) سُوقٌ يَحْيَى كَانَتْ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ ، كَانَتْ بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَدَارِ الْمَلِكَةِ ؛

وَمِنْهُ مَنَسُوبَةٌ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ؛ وَهِيَ مَحَلَّةُ ابْنِ حِجَّاجِ الشَّامِيِّ لِلْمَعْرُوفِ .

(٣) فِي (ب) « الزَّهْرِيُّ » مَكَانَ « الزَّيْبَرِيِّ » .

(٤) فِي (أ) « وَنَائِبُ السَّيْعَةِ » وَفِي (ب) « بَابُ السَّيْعَةِ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (ب) « الشَّامِرُ » .

(٦) فِي (أ) « وَصَّعَدُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي (ب) « وَتَعْلَمُهُ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٨) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) « الْوَارِدِينَ وَالْقَاصِدِينَ » ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ أَوَّلَى بِالسِّيَاقِ .

وكلاماً على هذا الطابع ، وفي هذا النسخ ؛ فَأَتَقَّ جَمَاعَةٌ عَلَى صَرِيمة الرأى فى الحركة إلى السكوفة ، منهم أبو كُتَيْبِ الأنصارى ، وأبو الحسن مِذْرَةُ القوم ، وعلى ابن عيسى ، والعمامى ، وابنُ حَسَّانِ القاضى صاحبُ الوقوف ، وأبو أحمد الجُرْجَانِىُّ القاضى البليغ ، وابن سِتَّارِ القاضى أبو بكر ، وأبو بكر الرازى .
وأما جُتْل ، فإنه ذَكَرَ ما به من وَجَعِ النَّفَرَس ، واستَعْفَى .

وأنا أبو سَعِيدِ السَّيرافى ، فإنه ذَكَرَ ضَعْفًا وَسِتًّا ، وقال : أنا ^(١) أُعِينُ فى هذه النائية بإقامة رَجُلٍ جَلِيدٍ مُزَاحٍ الْعِلَّةَ بِالْفَرَسِ وَالسَّلَاحِ ، وقَعَدَ الْجُمُ النَّفِيرِ ، وسارت الجماعة إلى السكوفة ، ولحقت عزَّ الدولة فى التَّصِيدِ ، وانتظرتُه ؛ فلما عَادَ قَامَتْ فى وَجْهِهِ واستَأَذَنْتْ فى الوُصُولِ إليه على خَلْوَةٍ وسكونٍ بال وقَلَّةِ شُغْلٍ ؛ فلم يَلْتَفِتْ إليهم ، ولا عاجَ عليهم — وكان وافرَ الحَظِّ من سُوءِ الأدب ، قليلُ التَّجَاحِشِ من أهل الفضل والحِكمة — ثم قيل له : إنَّ القومَ وَرَدُوا فى مُهِمٍّ لا يَجُوزُ النِّعَافُ عَنْهُ ، والإمساكُ دُونَهُ ، فَأَذِنَ ^(٢) لهم بينَ اللَّغْرِيبِ والعَمَةِ ، فجلَسُوا بِحَضْرَتِهِ كما أَتَقَّ من غير ترتيب ، فقال : تكلَّمُوا .

فقال أبو الوفاء المُهَنْدِسُ لأبى بكر الرازى : تكلَّمْ أيُّها الشَّيْخُ ، فإنَّكَ رِضًا الجماعة ، ومَقْنَعُ المصَابَةِ .

فقال أبو بكر : الحمد لله الَّذى لا مَوْهَبَةَ إلَّا مِنْهُ ، ولا بُلُوئى إلَّا بِقَضائِهِ ، لا مَقْزَعٍ إلَّا إِلَيْهِ ، ولا يُسْرَ إلَّا فِما يُسْرُهُ ، ولا مَصْلَحَةَ إلَّا فِما قَدَرَهُ ؛ له الحُكْمُ وإليه الأَصِيرُ ، وصلى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسولِهِ للبعوث ، إلى الوارِثِ والمُوروثِ ؛ أما بعد ، فإنَّ الله [تعالى] قد حَصَّ على الجهاد ، وأَمَرَ بِإِعْزَازِ الدِّينِ ،

(١) فى (١) « لا » ، وهو تحريف .

(٢) فى (ب) « فأمر » .

والذَّبُّ عن الحرِّيم والإسلام والمسلمين في الدهر الصالح، والزمان المطئن؛ فكيف إذا اضطرب الحبل وانتكشت مريته، وأبرز مَصُونُهُ، وعُرِّيَ حَرِيمُهُ بالاستباحة؛ ونيل جانبهِ بالضم، وضعف مناره بالرغم، وقصد ركنه بالهدم، وأنت أيها^(١) المولى من وراء سُدَّة أمير المؤمنين الطمع لله، والحامل لأعباء حُمَمَانِهِ، والناهض بأثقال نوائبه وأحداثه؛ والمفرغ إليك، والمؤال عليك، فإن كان منك جدٌّ وتسميرٌ فما أقرب الفرج بما قد أظلم وأزيج، وإن كان منك تَوَانٍ وتقصيرٌ فما أصعبه من خطب؟ وما أبعدَه من شغب!! وقد جثناكَ نُحَقِّقُ عندك ما بَلَغَكَ من تَوَسُّط هذه الطاغية أطرافاً للوَصِيل وما والاهما، وأنَّ الناس قد جَلَّوْا عن أوطانهم، وفَتِنُوا في أديانهم^(٢) وضعفوا عن حَمِيقَةِ إيمانهم؛ للرَّغْبِ الذي أَذْهَلَهُم، والخَوْفِ الذي وَهَلَهُمْ؛ وإِنَّمَا هُمْ بَيْنَ أَطْفَالٍ صِغَارٍ، ونِسَاءٍ ضِعَافٍ، وشيوخٍ قد أَخَذَ الزَّمانُ منهم، فهم أرضٌ لكلِّ واطئ، ونَهْبٌ لكلِّ يد؛ وشباب لا يَقْنُونَ لعدوِّهم لِقْلَةً سَلاحِهِمْ، وسوء تَأْتِيهِمْ^(٣) في القِرَاعِ والدِّفاع؛ ومَنْ نَسَلُكَ أَنْ تَتَوَخَّى فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَزِفُكَ عِنْدَهُ، ويكونُ لك في ذلك دُخْرٌ مِنْ شَفَاعَتِهِ وَبُخْتِيَارِ مُطَرِّقٍ.

ثم اندفع على بن عيسى فقال: أيها الأمير، إنَّ الصَّغِيرَ يُتَدَارَكُ قَبْلَ أَنْ يَكْبُرَ، فكيف يَجُوزُ أَلَّا يُسْتَقْبَلَ بِالْحَدِّ والأَجْتِهَادِ وهو قد عَسَا وَكَبُرَ. والله إنَّ^(٤) بِنَا إِلَّا أَنْ يَظُنُّ أَهْلُ الْجَبَلِ وَأَذْرَبِيجَانْ وَخُرَّاسَانْ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا ذَابٌ

(١) كذا في (ب). وعبارة (١) «وأنت أمير الأمير المولى ما وراء سيده»، ولا يخفى

ما فيها من اضطراب.

(٢) في (١) «ديارهم»؛ وهو تحريف.

(٣) كذا في (ب)؛ والذي في (١) بأسهم؛ وهو تحريف إذ أن سوء البأس في هذا الموضع

مما يحمد لا مما يباب. (٤) «إن» في هذا الموضع نافية بمعنى «ما».

عن حريمنا ، ولا ناصرٍ لِدِينِنَا ، ولا حافظٌ لَبَيْضَتِنَا ، ولا مُفَرِّجٌ لَكُرْبَتِنَا ،
ولا مَنْ يَهْمُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنَا ، فَاللهُ اللهُ ، لا تَجُرَّنْ عَلَيْنَا شَمَاتَهُمْ بِنَا ،
وخذُ بِأَيْدِنَا بِقُوَّتِكَ ، وَحُسْنِ نِيَّتِكَ ، وَحَمِيدِ طَوْبِكَ ، وَعِزِّكَ وَسُلْطَانِكَ ،
وَأَوْلِيَانِكَ وَأَعْوَانِكَ ، وَأَكْتُبْ قَبْلَ هَذَا إِلَى عُدَّةِ الدَّوْلَةِ بِمَا يَنْبَغُهُ عَلَى حِفْظِ
أَطْرَافِهِ ، وَحِرَاسَةِ أَكْنَافِهِ ، مَعَ اسْتِظْلَاعِ الرَّأْيِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمُطَالَعَةِ
أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِكَ وَمَشُورَتِكَ .

ثم رفع الأنصارى رأسه وقال : ليس في تَكْرِيرِ الكلام — أطلال الله
بقاء الأمير — فائدةٌ كبيرة ، ولئن كانَ الإيجازُ في هَذَا الباب لا يَكُنِي ،
فَالإِطْنَابُ فِيهِ أَيْضًا لَا يُغْنِي ، وَاللهُ لَوْنَهَضَتْ بِنَا وَنَحْنُ أَحْرَاضٌ ^(١) كَمَا تَرَى
لَا نُقَلِّبُ مَخْصَرَةً ^(٢) بَكْفٍ ، وَلَا نَزْمِي دُخْرُوجَةً ^(٣) بَيِّدٍ ، وَلَا نَعْرِفُ سِلَاحًا
إِلَّا بِالْأَسْمِ ، لَنَهْضُنَا وَسِرْنَا تَحْتَ رَابَتِكَ ، وَتَصَرَّفْنَا بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ،
وَقَدَّيْنَاكَ بَارِزًا وَاحِدًا ضَنَا بِكَ ، وَبَعَثْنَا كَلِيَّ مِثْلِ ذَلِكَ أَحْدَاثُنَا وَأَوْلَادُنَا الَّذِينَ
رَبَّيْنَاهُمْ بِنِعْمَتِكَ ، وَخَرَجْنَاهُمْ فِي أَيَّامِكَ ، وَأَذْخَرْنَاهُمْ لِلنَّوَازِلِ إِذَا قَامَتْ ،
وَالْحَوَادِثِ إِذَا تَرَامَتْ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قَلَّةٌ فَخُذْ مِنْ مُوسِرِنَا وَمَنْ لَهُ فَضْلٌ
فِي حَالِهِ ، فَإِنَّهُ يُفَرِّجُ عَنْهُ طَاعَةً لَكَ ، وَطَعْمًا فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ .

(١) في (ب) «أحراس» بالصاد ؛ وهو تصحيف . والأحراض : جمع حرض بالتحريك
وهو الكال الممي والعرف على الملاك .

(٢) في (١) «محصرة» بالحاء المهملة ؛ وفي (ب) «محصرة» بالحاء المهملة والصاد المهملة
وهو تصحيف في كلتا النسخين . والمحصرة : ما يتوكل عليه من عصا ونحوها .

(٣) في كلتا النسخين «محبوحة» وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يتناسب السياق ، ولعل
صوابه ما أئبنا . والدخروجة : ما يدخره الجمل من البندق ، أو لعله حذجة بالتحريك
يقال تراموا بالحدج وهو الحنظل الصغير .

وقال القَوَاصِي^(١) : والله ما مُثِّمَتٌ لِلدَّوْلَةِ عِزًّا ، إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ — تعالى — قد ذَخَرَكَ لِلْمُسْلِمِينَ كَنْزًا ، وجعل لم على يَدَيْكَ وبقيديك راحةً وفَوْزًا ، ولم يُعَرِّضْكَ لِهَذِهِ الْفَادِحَةِ إِلَّا لِيَخْصُصَكَ بِإِنْفِرَاجِهَا [عَلَى يَدِكَ] وَيُبْقِيَ لَكَ بِهَا ذِكْرًا يَطْبِقُ الْأَرْضَ وَيَبْلُغُ أَمْرَاءَ خُرَّاسَانَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ فَيُصِيبَهُمُ الْحَسَدُ عَلَى مَا هِيَ^(٢) اللَّهُ لَكَ مِنْهَا .

وَنَظَرَ بَحْتِيَارُ إِلَى أَبِي حَسَّانِ الْقَاضِي — وَكَانَ مُنْبَسِطًا مَعَهُ لِقَدِيمِ خِدْمَتِهِ — فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَنْتَ لَا تَقُولُ شَيْئًا ؟ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَمَا الْقَوْلُ وَعِنْدَكَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ ، وَالْمَصَاقِعُ الْأَلْبَاءُ ؛ وَإِنْ سِرَاجِي لَا يَزِدُّهُرُ فِي شَمْسِهِمْ ، وَإِنْ سَحَابِي لَا تَبِلُ عَلَى بِلَالِهِمْ^(٣) : وَقَدْ قَالُوا فَا نَعْمُوا^(٤) ، وَجَرَوْا^(٥) فَأَمَعَنُوا ، وَلَيْسَ قُدَّامَهُمْ إِمَامٌ ، وَلَا وَرَاءَهُمْ أَمَامٌ ؛ لَكِنِّي أَقُولُ : مَا جَسَمْنَا إِلَيْكَ هَذِهِ السَّكْفَ إِلَّا لِتَنْظُرَ عَلَى ضَعْفِ أَرْكَانِنَا ، وَعُلُوِّ أَسْئَاتِنَا^(٦) وَقَلَّةِ أَعْوَانِنَا^(٧) ، لِأَنَّ^(٨) رَأْيِنَاكَ أَهْلًا لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِنَا ، وَالْأَهْثَامِ بِحَالِنَا ، وَبِمَا يَمُودُ نَفْعُهُ عَلَى صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا .

فَقَالَ عِزُّ الدَّوْلَةِ : مَا زُوِيَ عَنِّي مَا طَرَّقَ هَذِهِ الْبِلَادَ ، وَلَقَدْ أَشْرَفْتُ عَلَيْهِ ، وَفَكَّرْتُ فِيهِ ، وَمَا أَحْبَبْتُ تَجَسُّمَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . وَمَا أُعْجِبَنِي

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمَرَاقِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا أَخْنَا مِمَّا سَبَقَ .

(٢) فِي (ب) « وَهَبَ » مَكَانَ قَوْلِهِ « هَيَأَ » ؛ وَالْمَعْنَى بِسْتَفِيمٍ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٣) الْبِلَالُ بِكَسْرِ الْبَاءِ وَضَمِّهَا : الْمَاءُ .

(٤) أُنْصَمُوا : جَوَّدُوا .

(٥) فِي (أ) « وَحَرَّرُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « شَأْتَنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا ، كَمَا أَنَّ فِي (أ) وَحْدَهُمَا « وَعُلُوِّ » بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَكَانِ الْمَهَلَةِ ؛ وَهُوَ تَضْعِيفٌ أَيْضًا .

(٧) فِي (أ) « إِخْوَانِنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لَكِنَّا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، فَإِنَّ الْأَسْتِثْنَاءَ هُنَا غَيْرُ مَفْهُومٍ .

هذا التفرُّيعُ مِنَ الصَّغِيرِ والكَبِيرِ ، وما كَانَ يَمْجُوزُ لِي أَنْ أَنْعَسَرَ عَلَى هَذِهِ
الْكَارِثَةِ ، وَأَنْعَمَ بِالْعَيْشِ مَعَهَا ، وَلَعَمْرِي إِنَّ الْعَقْلَةَ [عَلَيْنَا] أَغْلَبَ ، وَالشَّهْوَةَ
فِينَا أَغْلَبَ ، وَلَكِنْ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ ^(١) مَتَى تَهْجِينُ شَدِيدٌ ، وَتَوْبِيخٌ فَاحِشٌ ، وَإِنْ
هَذَا الْجُلُوسُ لِمَا يُتَهَادَى حَدِيثُهُ بِالزَّائِدِ وَالنَّاقِصِ ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَإِنَّكُمْ
لَتَبْظُنُّونَ أَنَّكُمْ مَظْلُومُونَ بِسُلْطَانِي عَلَيْكُمْ ، وَوَلَا يَبْقَى لِأُمُورِكُمْ ؛ كَلَّا ، وَاسْكُنْ
كَمَا تَسْكُونُونَ يَوْمَئِذٍ عَلَيْكُمْ ؛ هَكَذَا قَوْلُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِينَا وَفِيكُمْ ؛ وَاللَّهِ لَوْ لَمْ
تَكُونُوا اشْتَبَاهِي لَمَّا وَلَيْتُكُمْ ، وَلَوْ لَا ^(٢) أَنِّي كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ ، لَمَا جُمِلْتُ قَوْمًا
عَلَيْكُمْ ؛ وَلَوْ خَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِعَيْبِ نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ وَغَضُّ غَيْرِهِ ، وَتَهْجِينُ
سُلْطَانِهِ ؛ أَيُظَنُّ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ أَنِّي غَيْرُ عَالِمٍ بِنِفَاقِهِ ، وَلَا عَارِفٍ
بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ؛ يَلْقَانِي بِوَجْهِ صُلْبٍ ، وَلِسَانٍ هَذَّارٍ يَرِي
مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْحَسَنُ الْبَهْرِيُّ يَعْظُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ، أَوْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ
يَأْتُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ ابْنُ التَّمَاكِ يُرْهِبُ الْفُجَّارَ ؛ هَذَا قَبِيحٌ ، وَلَوْ سَكَتُ عَنْ هَذَا
لَكُنَّ عِيًّا وَعَجْزًا ؛ جَزَى اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ شَيْخَنَا خَيْرًا حِينَ جَلَسَ ، وَكَذَلِكَ
أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا مَكَافَاةَ أَبِي سَعِيدٍ السَّيْرَافِيِّ ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّ فِي مُسَاعَدَتِكُمْ
رُشْدًا لَمَّا تَوَقَّفَ ؛ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ — يُرِيدُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى — فَوَاحِقُ أَبِي
إِنِّي لِأَحِبُّ لِقَاءَكَ ، وَأَوْثَرُ قُرْبِكَ ، وَلَوْلَا مَا يَنْبَلُغُنِي مِنْ مُلَازِمَتِكَ لِمَجْلِسِكَ ،
وَتَذَرِيْسِكَ لِمُخْتَلِفَتِكَ ^(٣) ، وَلَمْ أَكْبَابِكَ عَلَى كِتَابِكَ فِي الْقُرْآنِ ، لَفَلَّيْتُكَ عَلَى
زَمَانِكَ ، وَلَا أَسْتَكْثِرُتُ مِمَّا قَلَّ حَظِّي مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَمَا مَدْفُوعٌ

(١) فِي (١) « رَأَيْتُمُوهُ مِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « وَلَوْ أَنِّي » ؛ وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٣) الْمُخْتَلَفَةُ : الَّذِينَ يَتَمَلَّحُونَ مِنْهُ .

إليها ، فإنها وازعة على هوى النفس ، وطاعة الشيطان ، ومنازعة الأكفاء ،
وجمع المال ، وأخذه من حيث يحب أولاً يحب ، وتفرقته فيمن يستحق
ومن لا يستحق ، وإلى الله أفزع في قليل أمرى وكثيره ، إذا شئتم .

قال لي أبو الوفاء — وهو الذي شرح لي المجلس من أوله إلى آخره — :
لقد شاهدت من عز الدولة في ذلك المجلس المنصور^(١) في جدّه وشهامته ، وثبات
قلبه وقوة لسانه ، مع بجمع لذيذ ولثغة خلوة .

قال : ولقد قلت له بعد ذلك : أيها الأمير ، ما ظننت أنك إذا خلقت رداءك
ونزعت جذاذك تقول ذلك المقال ، وتجول ذلك الجال ، وتنال ذلك المال ،
لقد أنصرف ذلك الرهط على هيئة لك شديدة ، وتعظيم بالغ ، ولقد تداولوا
لفظك ، وتنبهوا معانيك ، وتشاحوا^(٢) على نظمك ، وقالوا : ما ينبغي لأحد
أن يسىء ظنه بأحد إلا بعد الخبرة والعيان ، وإلا بعد الشهادة والبيان ؛
أهذا يقال له متخلف أو ناقص ؟ لله درّه من شخص ! والله أبوه من فتى مدّره !
ولما بلغ هذا المجلس الذين قعدوا عن المسير إليه — أغنى عز الدولة —
جدّوا الله تعالى ، وعلموا أن الخيرة كانت قريبة اختيأهم .

قال الوزير : قرأت ما دونه الصابي أبو إسحاق في (التاجي) فما وجدت
هذا الحديث فيه . قلت : لعله لم يقع إليه ، أو لعله لم يزل يطول به ، أو لعله لم
يستخف ذكر عز الدولة على هذا الوجه . قال : هذا ممكن ؛ فهل سمعت في
أيام الفتنة بغريبة ؟

(١) يريد بالمنصور أبا جعفر الخليفة العباسي المبرور .

(٢) تشاحوا على نظمك ، أى أن كلا منهما ضمن بما يحفظه منه على صاحبه ، وفي (ب)

« وتسايموا » ؛ وهو تحريف .

قلتُ: كلُّ ما كُتِبَ فيه [كان] غريباً بديعاً ، عجيباً شنيعاً ، حصلَ لنا
مِنَ العَيَّارِينَ قَوَادٍ^(١) ، وأشهرُهم^(٢) ابنُ كَبْرَوَيْه ، وأبو الدَّود^(٣) ، وأبو الذُّباب ،
وأُسودُ الزُّبْد ، وأبو الأَرْضِ^(٤) ، وأبو النَّوَاجِح ، وشُنَّت الغارة ، واتَّصل
النَّهْب ، وتَوَالَى الحَرِيقُ حتى لم يَصِلْ إلَيْنَا لِلَّهِ مِنْ دِجَلَةٍ ، أغْنَى الكَرْمُ .

فَمِنْ غَرِيبٍ مَا جَرَى أَنَّ أُسودَ الزُّبْدِ كَانَ عَبْدًا يَأْوِي إِلَى قَنْطَرَةٍ^(٥) الزُّبْدِ
وَيَلْتَقِطُ النَّوَى وَيَسْتَقِيمُ مِنْ حَضَرَ ذَلِكَ الْمَكَانِ يَلْهُو وَلَعِبٌ ، وَهُوَ عُريَانٌ
لَا يَتَوَارَى إِلَّا بِخُرْقَةٍ ، وَلَا يُؤْبَهُ لَهُ ، وَلَا يُبَالَى بِهِ ، وَمَضَى عَلَى هَذَا دَهْرٌ ، فَلَمَّا حَلَّتِ
الْقَنْطَرَةُ^(٦) أَغْنَى لَنَا وَقَعَتِ الْفَقِيهَةُ ، وَفَشَا الْمَرْجُ وَالرَّجُ ، وَرَأَى هَذَا الْأُسودُ مِنْ
هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ قَدْ أَخَذَ السَّيْفَ وَأَعْمَلَهُ ، طَلَبَ سَيْفًا وَشَعَدَهُ ، وَنَهَبَ وَأَغَارَ
وَسَلَبَ ، وَظَهَرَ مِنْهُ شَيْطَانٌ فِي مَسْكَ إِنْسَانٍ ، وَصَبَحَ وَجْهَهُ ، وَعَذَّبَ لَقْظَهُ ،
وَحَسَنَ جِسْمَهُ ، وَعُشِقَ وَعَشِقَ ، وَالْأَيَّامُ تَأْنَى بِالْعُرَائِبِ وَالْعَبَائِبِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي مَوَاعِظِهِ : الْمُعْتَبِرُ كَثِيرٌ ، وَالْمُعْتَبَرُ قَلِيلٌ . فَلَمَّا دُحِيَ قَائِدًا وَأَطَاعَهُ

(١) في (١) « قول » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « وأسمائهم » .

(٣) في كلتا النسختين : « وابن الرود » بالراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا . إذ هو
المناسب لأسماء هؤلاء الذين ذكروا .

(٤) كذا في (١) والذي في (ب) « أبو الأرى » .

(٥) في كلتا النسختين : « الريد » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن كتاب بغداد
للأستاذ لوستراخ Le Strange ؛ ولعلهم كانوا يبيعون الزبد عند هذه القنطرة فأضيفت إليه
وهي قنطرة البطريق أيضاً . وفي ياقوت : قنطرة رحي البطريق ، وهي على نهر الصراة .

(٦) في (١) : « حلف المنصرة » وفي (ب) « حلب البقرة » ؛ وهو تحريف في
كلتا النسختين .

رِجَالٌ وَأَعْطَاهُمْ وَفَرَّقَ^(١) فِيهِمْ ، وَطَلَبَ الرَّأْسَةَ عَلَيْهِمْ ، صَارَ جَانِبُهُ لَا يُرَامُ ، وَحِجَاهُ لَا يُضَامُ .

فَبِمَا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ^(٢) خُلُقِهِ — مَعَ شَرِّهِ^(٣) وَلَعَنَتِهِ ، وَسَفْكَهِ لَدُنَّمْ ، وَهَتْكَهِ لِلْحُرْمَةِ ، وَرُكُوبِهِ لِلْفَاحِشَةِ ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَى رَبِّهِ الْقَادِرِ ، وَمَالِكِهِ الْقَاهِرِ — أَنَّهُ أَشْتَرَى جَارِيَةً كَانَتْ فِي النَّخَّاسِينَ عِنْدَ الْمُوصِلِيِّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ حَبْنَاءَ جِيلَةٍ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عِنْدَهُ حَاوَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ ، فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَسْكُرِينَ مِنِّي ؟ قَالَتْ : أَكْرَهُكَ كَمَا أَنْتَ . فَقَالَ لَهَا : فَاتُحِبِّينِ ؟ قَالَتْ : أَنْ تَبِيعَنِي ، قَالَ لَهَا : أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أُعْطَيْتُكَ وَأَهْبُ لَكَ أَلْفَ دِينَارٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَعْطَاهَا وَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي ابْنِ الدَّقَاقِ عِنْدَ مَسْجِدِ ابْنِ رَغْبَانَ^(٤) فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ وَهَيْئَتِهِ وَسِمَاحَتِهِ ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَلَى كَلَامِهَا ، وَتَرَكَ مُكَافَأَتَهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا ، فَلَوْ قَتَلَهَا مَا كَانَ أَتَى مَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ فِي مِثْلِهَا .

قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا وَاللَّهِ طَرِيفٌ ، فَمَا كَانَ آخِرُ أَمْرِهِ ؟ قُلْتُ : صَارَ فِي جَانِبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ وَحِجَاهُ ، ثُمَّ سِيرَ إِلَى الشَّامِ فَهَلَكَ بِهَا .

قَالَ : وَكَيْفَ سَلِمْتُ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ ؟ قُلْتُ : وَمَتَى سَلِمْتُ ؟ جَاءَتِ النِّهَايَةُ إِلَى بَيْنِ الشُّورَيْنِ^(٥) وَشَنُّوا النَّارَ وَأَكْتَسَحُوا مَا وَجَدُوا فِي مَنْزِلِي مِنْ ذَهَبٍ وَثِيَابٍ وَأَنْثَاءٍ ، وَمَا كُنْتُ ذَخَرْتُهُ مِنْ تَرَاثِ الْعُمَرِ ؛ وَجَرَّدُوا السَّكَاكِينِ

(١) فَرَّقَ فِيهِمْ ، أَيْ فَرَّقَ الْأَعْطِيَةَ فِيهِمْ .

(٢) فِي (١) « مِنْ خُلُقٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « شَرُّهُ » ؛ وَالْمَاءُ الْأَوَّلَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٤) مَسْجِدُ ابْنِ رَغْبَانَ فِي غَرْبِ بَغْدَادَ . وَالْقَدِيُّ فِي (١) ابْنُ رَغْبَانَ بِالْعَيْنِ الْهَمْزَةُ ؛

وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) إِلَى بَيْنِ السُّورَيْنِ ، أَيْ إِلَى هَذِهِ الْهَلَةِ الْمُسَمَّاةِ بِهَذَا الْاسْمِ فِي بَغْدَادَ .

على الجارية في الدار يطالبونها بالمال ، فَأُنْشِطَتْ مَرَارَتُهَا ، وَدُفِنَتْ فِي يَوْمِهَا ،
 [وَأُمْسِيَتْ] وَمَا أَمْلَكَكَ مَعَ الشَّيْطَانِ فَجْرَةً ^(١) ، وَلَا مَعَ الْغُرَابِ نَقْرَةً .
 أَيُّهَا الشَّيْخُ — وَفَقَّكَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ ، وَكَانَ لَكَ فِي كُلِّ مَقَالِكَ
 وَفَعَالِكَ — إِنَّمَا نَزَرْتُ بِالْقَلَمِ مَا لَاقَيْتَهُ ؛ فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يَجْرِي بَيْنِي
 وَبَيْنَ الْوَزِيرِ فَكَانَ عَلَى قَدْرِ الْحَالِ وَالْوَقْتِ [وَالْوَاجِبِ] ؛ وَالْإِتْسَاعُ يَتَّبِعُ
 الْقَلَمَ مَا لَا يَتَّبِعُ اللِّسَانَ ، وَالرَّوْيَةُ ^(٢) تَتَّبِعُ الْخَطَّ مَا لَا تَتَّبِعُ الْعِبَارَةَ ، وَلِمَا كَانَ
 قَصْدِي فِيهَا أَغْرَضُهُ عَلَيْكَ ، وَأَلْقِيهِ إِلَيْكَ ، أَنْ يَبْقَى الْحَدِيثُ بَعْدِي وَبَعْدَكَ ،
 لَمْ أَجِدْ بُدْأً مِنْ تَنْمِيقٍ يَزِيدُنِي بِهِ الْحَدِيثَ ، وَإِضْلَاحٍ يَخْسُنُ مَعَهُ الْمَغْزَى ،
 وَتَكْلُفٍ يَبْلُغُ بِالْمُرَادِ الْغَايَةَ ، فَلْيَقُمْ الْعُذْرُ عِنْدَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ ، حَتَّى يَزُولَ
 الْقَنْبُ ، وَبُسْتَحَقَّ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ .

الليلة التاسعة والثلاثون

(١) وقال الوزير ليلة : يعجبني الجوابُ الحاضر ، واللفظُ النادر ، والإشارةُ
 الحُلُوَّةُ ، والحركةُ الرَضِيَّةُ ، والنِّعْمَةُ التُّوسُّطَةُ ، لَا نَازِلَةً إِلَى قَعْرِ الْخَلْقِ ،
 وَلَا طَافِجَةً عَلَى الشَّمَةِ .

فكان من الجواب : اقترَحَ الشيءَ على الكمالِ سهلاً ، ولكنَّ وجَدَانَهُ

(١) في (١) « نحوه » . وفي (ب) « نغرة » وهو تحريف في كلتا النسختين سواهما
 ما أثبتنا ، أى لا أملك ما ألجأ به فجرة واحدة مع الشيطان . ويشتهون المجلة في السجود بتقر
 الغراب ، فيريد بالمبارة الثانية أنه لا يملك سجدة مستعجلة مع الغراب تشبه نقرة من نقراته .
 ويريد بالبارتين أنه لا يملك عملاً خبيثاً ولا طيباً مهما قلا . هذا ما يلوح لنا من معنى هاتين
 العبارتين .

(٢) في الأصول : « والرق به ينسج الخط ما لا تسع الخ » وهو تحريف ؛ وسياق
 الكلام يقتضى ما أثبتنا .

على ذلك صنف، لأنَّ التَّمَنَّى صَفْوُ النَّفْسِ الحِسِّيَّةِ ، وَنَيْلُ المَتَمَنَّى فِي الفُرْصَةِ (١)
المَحْشُورَةِ بِالْحَيْلُولَةِ .

وقد قال المدائني : أحسنُ الجواب ما كان حاضراً مع إصابَةِ المعنى
وإيجاز اللفظِ وبلوغ الحِجَّةِ .

وقال أبو سليمان شارحاً لهذا : أَمَا حُضُورُ الجَوَابِ فَلْيَكُونِ الظَّنُّ عند
الحاجة ، وَأَمَا إيجاز اللفظِ فَلْيَكُونِ صَافِياً مِنَ الخُشُو ، وَأَمَا بُلُوغُ الحِجَّةِ
فَلْيَكُونِ حَسْماً للمُعَارَضَةِ .

قال : ما أحسنَ ما وَشَّحَ هَذِهِ الفَقْرَةَ بِهِذِهِ الشَّدْرَةَ !

وَحَكَى المدائني قال : قال مُسْلِمُهُ بْنُ عَبْدِ التَّلِكَ : ما مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَاهُ العَبْدُ
بعد الإيمانِ بِاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَوَابٍ حَاضِرٍ ، فَإِنَّ الجَوَابَ إِذَا تُعَقَّبَ
لَمْ يَكُنْ لَهُ وَقْعٌ .

وَحَكَى المدائني بإسناده عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعَمْرُو بْنِ الْأَهَمِّ التَّمِيمِيِّ : أَخْبِرْنِي عَنِ الزُّبَيْرِ قَانَ بْنِ بَذْرٍ ،
فَقَالَ : مُطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ ، شَدِيدُ المَعَارِضَةِ ، مَارِعٌ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فقال
الزُّبَيْرِ قَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي ،
فَقَالَ عمرو : أَمَّا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَزِمَ (٢) المَرْوَةَ ، ضَيَّقُ العَطَنِ ، لَثِمُ
الْخِلَالِ ، أَتَمَّقُ الوَالِدِ ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأَوَّلَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْأُخْرَى ، وَلَقَدْ
رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَسَخِطْتُ فَقُلْتُ أَسْوَأَ مَا عَلِمْتُ . فقال رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّرِّ لَحِكْمًا » .

(١) فِي (١) « فِي المَرْضَةِ » ؟ وَفِي (ب) « فِي العَرَضِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِيهِمَا .

(٢) فِي كِلَا اللَّسْتَيْنِ : « زَمَنٌ » بِالنُّونِ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؟ وَزَمَرُ المَرْوَةِ : قَلِيلُهَا .

وقال أبو سليمان : السَّحَرُ بالقول الأعمّ والرسم المفيد على أربعة أضرب :
 سَحَرٌ عَقْلِيّ ، وهو ما بَدَرَ من الكلام المشتغل على غريب اللغى في أى فن
 كان ؛ وسَحَرٌ طَبِيعِيّ ، وهو ما يَظْهَرُ مِنْ آثَارِ الطَّبِيعَةِ فِي الْعَنَاصِرِ الْمُتَهَيِّئَةِ^(١)
 وَالْمَوَادِّ الْمُسْتَجِيبَةِ^(٢) ، وسَحَرٌ صِنَاعِيّ ، وهو ما يوجَدُ^(٣) بِخَفَّةِ الْحَرَكَاتِ الْمُبَاشِرَةِ ،
 وَتَصَرُّفِهَا فِي الرُّجُوءِ الْخَفِيَّةِ عَنِ الْأَبْصَارِ الْمُحَدِّقَةِ ، وسَحَرٌ إلهِيّ وهو ما يَبْدُو
 مِنَ الْأَنْفُسِ الْكَرِيمَةِ الطَّاهِرَةِ بِاللِّفْظِ مَرَّةً ، وَبِالْفِعْلِ مَرَّةً . وَعَرَضَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْ هَذِهِ الصُّرُوفِ وَاسِعٌ ، وَكُلُّهُ حَذَقٌ وَمَهَارَةٌ وَبُلُوغٌ قَاصِيَةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ
 هُوَ سَحَرٌ ، وَمُصَاحِبُهُ سَاحِرٌ .

وقال المدائني : نظرَ ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فشتمهم ،
 فقال له سعيد بن عثمان بن عفان ، أَتَشْتُمُهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؟ فقال :
 صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ قَتَلُوا أَبَاكَ .

وقال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير : أَبُوكَ كَانَ
 أَعْلَمَ بِكَ حِينَ شَتَمَكَ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَدْرِي لِمَ كَانَ يَشْتُمُنِي ؟
 إِنِّي نَهَيْتُهُ أَنْ يُقَاتِلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُهُ بَهُمَا ،
 وَقُلْتُ لَهُ ، أَمَا أَهْلُ مَكَّةَ فَأَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 وَأَخَافُوهُ ، نَمَّ جَاؤَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا وَشَرَّدُوهُمْ .

فَمَرَّضَ بِالْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ — وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ الْمَلِكِ — وَكَانَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَفَاهُ .

(١) ورد في (ب) هذان اللفظان « التهيئة والاستجابة » مهملتا حروفهما من النقط
 تمنع قراءتهما .

(٢) في (١) يؤخذ .

وأما أهلُ المدينةِ فخذلوا عُثْمَانَ حَتَّى قُتِلَ بينهم ، لم يَرَوْا أَنْ يَدْفَعُوا عنه . فقال له عبدُ الملِك : لَعَنَكَ اللهُ .

وقال عبدُ الرحمن بنُ خالد بن الوليدِ لمعاوية : أما والله لو كنت بمكة لعلّمت ، فقال معاوية : كنتُ أكونُ ابنَ أبي سُفْيَانَ يَنْشَقُّ عَنِي الْأَبْطَحُ ، وكنتُ أنتَ ابنُ خالدٍ مِنْزِلُكَ أَجْيَادُ ، أَغْلَاهُ مَدْرَةٌ ، وَأَسْفَلُهُ عَذْرَةٌ .

وقال المدائني : قال ابنُ الضحَّاك بن قيس الفهري^(١) لهشام بن عبد الملِك قبل أن يَمْلِكَ — وهو يومئذ غلامٌ شابٌ — يا بن الخَلَّاف ، لم تُطِيلْ شِعْرَكَ وقِيصَكَ ؟ قال أكرهُ أَنْ أَكُونَ كما قال الشاعر :

قصيرُ القَمِيصِ فاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَشَرُّ غِرَاسٍ فِي قُرَيْشٍ مَرَّ كُتْبًا^(٢)
قال : وهذا النمرُ لأبي خالدٍ^(٣) مروان بن الحَكَم ، هَجَا به الضحَّاك ابن قيس .

وحَكَّى أيضًا ، قال : مرَّ عطاءُ بنُ أُنَى^(٤) صَيْقِيَّ بعبد الرحمن بن حِسان ابنِ ثابتٍ وعطاءٌ على قَرَسٍ له ؛ فقال له عبد الرحمن : يا عطاء ، لو وجدتَ زِمَامَ زَيْقٍ الخمرِ خَالِيًا ما كنتَ تَصْنَعُ به ؟ قال : كنتُ آتِي به دُورَ بَنِي النَّجَّارِ فَأَعْرِفُهُ فَإِنَّهُ ضَالَّةٌ مِنْ ضَوَالِهِمْ ، فَإِنْ عَرَفُوهُ^(٥) وَإِلَّا فَهُوَ لَكَ لَمْ يَعُدْكَ ، ولكن

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « العزى » ، وهو تحريف .

(٢) المركب : الأصل والنبت . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فركبا »

وهو تحريف لا معنى له . وفيها أيضا « فراش » مكان « غراس » ؛ وهو تحريف .

(٣) لم نجد في الكتب التي بين أيدينا أن أبا خالد كنية لمروان بن الحَكَم .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : قال ابن عطاء مر ابن صبي . وفي

العبارة اضطراب ظاهر لا يستقيم به للمعنى ، كما لا يخفى .

(٥) حذف الجواب هنا لعلم به وهو « فهو لهم » .

أَخْبِرْنِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ، أَوْ رُبِعَةُ أَمْ نَابِتُ؟ قَالَ: لَا أَذْرِي. قَالَ: فَلِمَ يَنْهَيْكَ^(١) مَا فِي كُنَائِنِ الرِّجَالِ وَأَنْتَ لَا تَذْرِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ؟ بَلْ رُبِعَةُ أَكْبَرُ مِنْ نَابِتٍ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَلْقَاهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ، ثُمَّ يُطْلَقُهَا عَنْ قَلْبِي؟ فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ مِنْ قَوْمِهَا: وَاللَّهِ يَا فَرْيَعَةُ إِنَّكَ لَجَبِيلَةٌ، فَمَا بَالُ أَرْوَاجِكَ يُطْلَقُونَكَ؟ قَالَتْ: يُرِيدُونَ الضَّيْقَ ضَيْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَحَكَى أَيْضًا قَالَ: قَالَ أَبُو السَّفَرِ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ إِذْ رَفَعَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَبْرُ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَعَنَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا التَّبْرِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُكَذِّبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ [خَالِدُ بْنُ] أُسَيْدٍ^(٢) — وَهُوَ فِي الْقَوْمِ —: لَا بَلْ لَعَنَ اللَّهُ أَبَا قُحَافَةَ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَقْرَى الضَّيْفَ، وَلَا يَنْتَعِ الضَّيْفَ، وَلَا يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَبَقَ الْمَشْرِكُونَ فَعُمُّوهُمْ بِالسَّبِّ، وَلَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّ الْأَمْوَاتِ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ؟».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ: فَذَا كَرْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَعَرَّفَهُ، فَقَالَ: فِيهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ عَنْكُمْ، قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: قَالَ خَالِدُ بْنُ أُسَيْدٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَأَنَّ أَبَا قُحَافَةَ وَلَدُهُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَقَالَ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّهُمْ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ».

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ: «يَنْهَيْكَ»؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) هَذِهِ التَّكْلِمَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْبَعَيْنِ لَمْ تَرِدْ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي لَاتِبَاتَهَا إِذْ أَنَّ أُسَيْدًا أَبَا خَالِدٍ لَمْ يَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ.

وحكى قال : رعى عمر بن هبيرة الفزاري إلى عرام بن شخير^(١) بخاتم له
فضة — وقد زوج — فعمد عليه عرام سيرا وردة إلى ابن هبيرة . أراد ابن
هبيرة قول الشاعر :

لقد زرت عيناك يا بن ملتن كما كل ضبي من اللوم أزرق
وعرض له عرام بقول ابن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلو صك وأكتبها بأسيار^(٢)
وقال المدائني : وكان ابن هبيرة يسير هلال^(٣) بن مكمل الثميري ،
فتقدمت بيلة الثميري بيلة ابن هبيرة . فقال : غص من بيلتك . فالتفت
إليه الثميري فقال : أصلى الله الأمير ، إنها مكتوبة ، وإنما أراد ابن هبيرة :
ففض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا^(٤)
وأراد الثميري قول سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلو صك وأكتبها بأسيار
وقال الوليد الثميري^(٥) : مرت امرأة من بني^(٦) نمير على مجلس لهم ،
فقال رجل منهم : أيتها الرسحاء^(٧) . فقالت المرأة : يا بني نمير ، والله ما أطمم

(١) كذا في تاريخ الطبري طبع أوروبا ، والذي في (١) التي وردت فيها وحدها
هذه القصة « شنير » بالنون ، وهو تصحيف .
(٢) أكتبها بأسيار ، أي اخزم حياها لثلاث بنزى عليها .
(٣) في العقد الفريد « سنان بن مكل » . وفي نهاية الأرب أيوب بن ظبيان ، وفي
كتاب الكناية والتمريض للشمالي « شريك بن محمد » .
(٤) البيت لجرير .

(٥) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « النيدى » ، ولم نجد النيدى
هذا ضمن أسماء الرواة ، والذي وجدناه في أسمائهم الوليد الثميري كما في تاريخ الطبري .
(٦) في نهاية الأرب مرت امرأة من العرب بمجلس من مجالس بني نمير ، وهو السب .
(٧) الرسحاء : التي خفت لحم لآتيها ووركيها .

الله ولا أطلعتم الشاعر ، قال الله عز وجل : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْعَسُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)
وقال الشاعر :

فَفَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنِيرٍ فَلَا كَغَبَا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

وقال : سرّ الفرزدق بن خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له خالد : يا أبا فراس ،
ما أنت الذي لما رأيته أكرهته وقطعت أيديهن ، فقال له الفرزدق : ولا أنت
الذي قالت الفتاة لأبيها فيه : (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
للقوى الأمين) .

قال : ودخل يزيد بن مسلم على سليمان بن عبد الملك ، وكان مصفراً
نحيقاً ، فقال سليمان : على رجل أجرك رستك^(١) وسلطك على المسلمين لعنة
الله . قال : يا أمير المؤمنين إنك رأيتني والأمر عني مدير ، فلو رأيتني وهو
على مقبل لأستعظمت متى يومئذ ما استصغرت اليوم . قال : فأين الحجاج ؟
قال : يحيى يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضعه حيث شئت .

وقال عباد بن زياد : كنت عند عبد الملك بن مروان إذ أتاه أبو يوسف
حاجباً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه بُنَيَّة . قال : أبنيتة جميل ؟ قال : نعم ،
قال أذخلتها ، فدخلت امرأة أدماء طويلة يُعلم أنها كانت جميلة ، فقال له
يا أبا يوسف ألق لها كرسياً ، فأنفاه لها ، فقال لها عبد الملك ، ويحك ما رجا
منك جميل ، قالت : الذي رجت منك الأمانة حين ولتلك أمرها .

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان : إن رططاً من الأنصار دخلوا على
معاوية ، فقال : يا مقسّر الأنصار ، قرّيش خير لكم منكم لهم ، فإن يكن

(١) أجرك رستك ، أي تركك وشأنك تفعل ما تشاء . والرسن المبقود تعاد به العادة .

ذَلِكَ لِقَتْلِي أَحَدَ ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَهُمْ ؛ وَإِنْ يَكُنْ لِإِمْرَةٍ ^(١) فَوَاللَّهِ مَا جَعَلْتُمْ لِي إِلَى صَلَاتِكُمْ سَبِيلًا ؛ خَذَلْتُمْ عُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَصَلَيْتُمْ بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ . فَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا قَوْلُكَ « إِنْ يَكُنْ لِقَتْلِي أَحَدٌ » فَإِنْ قَتَلْنَا مُشَاهِدًا وَحَيِّفًا تَأْتِي ^(٢) ، وَأَمَا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا . وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا خَذَلْنَا عُثْمَانَ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي عُثْمَانَ إِلَى قَتْلَتِهِ ^(٣) ؛ وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا فَتَلْنَا أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ فَذَلِكَ مَا لَا نَعْتَذِرُ مِنْهُ ، وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا صَلَّيْنَا بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَإِنَّمَا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ لَمْ نَأْلِهِ خَيْرًا ، فَإِنْ لُتَمْنَا قَرُبَ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

ثم قام هو وأصحابه يجرُّون نوبةً مُفضِّيًا ، فقال معاوية : رُدُّوهم ، فردُّوا فترضاهم حتى رضوا ، ثم أنصروا . وأقبل معاوية على رَهْطٍ من قريش ، فقال : وَاللَّهِ مَا فَرَّخَ مِنْ مَنَاطِقِهِ حَتَّى ضَاقَ بِي مَجْلِسِي .

قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان : دَخَلَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بِنُ عُبَادَةَ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، لِمَ تَطْلُبُونَ مَا قَبِلِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ قَلِيلًا مَعِيَ ، كَثِيرًا عَلَيَّ ، وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ جُنْدِي ^(٤) يَوْمَ

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها دون (ب) هذا الكلام « لدهمه » ؛ وهو تحريف ؛ سواءه ما أثبتنا كما يؤخذ مما يأتي بعد في جواب الأنصار من قولهم : وأما ذكرُك الإمرة الخ . ويريد بالإمرة أنه لا يوليهم الأعمال .

(٢) تائق أي إلى أن يستشهد . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة وردت تلك الكلمة مهمة الحروف من النقط . ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعل صوابها « آتت » .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « قلنا » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) « جدي » ؛ وهو تحريف .

صَفِينِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَنَايَا تَلْظَى فِي أَسِنَّتِكُمْ ، وَهَجَوْتُ مُنَى ^(١) بِأَشَدِّ مِنْ وَخْزِ الْأَشَافِ ^(٢) حَتَّى إِذَا أَقَامَ اللَّهُ مَا حَاوَلْتُمْ مِثْلَهُ ^(٣) ، قَلْتُمْ : ارْزَعْ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ هَبْهَات ، « أَبِي الْحَقِّينِ الْعِذْرَةَ » ^(٤) ، فَقَالَ قَيْسٌ : نَطْلُبُ مَا قَبْلَكَ بِالْإِسْلَامِ الْكَافِي بِهِ اللَّهُ لَا سِوَاهُ ، لَا بِمَا تُمُتُّ بِهِ إِلَيْكَ الْأَحْزَابُ ، وَأَمَّا عِدَاؤُنَا لَكَ فَلَوْ شِئْتَ كَفَفْنَا عَنْكَ ؛ وَأَمَّا هَجَاؤُنَا إِيَّاكَ فَقَوْلُ يَزُولُ بَاطِلُهُ ، وَيَنْبُتُ حَقُّهُ ، وَأَمَّا قَتْلُنَا جُنْدَكَ يَوْمَ صَفِينٍ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ نَرَى أَنْ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا أَسْتِقَامَةُ الْأَمْرِ لَكَ فَقَلَى كُرْهِهِ كَانَ مِنَّا ، وَأَمَّا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّا نَسْلَمُ فِينَا ، فَنَنْ آمَنَ بِهِ رِعَايَا ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ « أَبِي الْحَقِّينِ الْعِذْرَةَ » ، فَلَيْسَ دُونَ اللَّهِ بِدُ تَحْجِزُكَ ؛ فَشَأْنُكَ . فَقَامَ مُعَاوِيَةُ فَدْخَلَ ، وَخَرَجَ قَيْسٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْقُرَشِيُّ : دَخَلَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ زُفَرُ : لَوْ كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ سَخَاةٌ مُصْعَبٌ وَكَانَ لِمُصْعَبٍ عِبَادَةٌ عَبْدُ اللَّهِ لَكُنَا مَا شَاءَ الْمُتَمَتِّئُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كَانَ سَخَاةً

- (١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « ولهجوتوني » ، وهو تحريف .
 (٢) في (١) « الأثافي » بالثاء ؛ وهو تحريف .
 (٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « مثله » بالثاء ؛ وهو تصحيف ، والتصحيح عن المقعد الفريد ج ٢ ص ١٤٦ طبع بولاق .
 (٤) وردت هذه العبارة في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « بأبي الحقيق العذرة » ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن مجمع الأمثال . والحقيق : « اللب الحقيق والعذرة : العذر . وأصله أن رجلاً نزل بقوم فاستسقام لبنا ، فاعتلوا عليه وزعموا أن لابن عندهم ، وكان اللب محقونا في وطاب عندهم ، فقال هذا المثل ؛ وهو مثل يضرب للكاذب الذي يعتذر ولا عذر له . يقول : إن اللب المحقون لديهم يكذبكم في عذرهم . والذي في المقعد الفريد « أبي الحبيب العذرة » .

مُعْتَبَرٍ إِلَّا لَعِبًا ، وَلَا كَانَتْ عِبَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا عَيْتًا ، وَلَكِنْ لَوْ كَانَ لِلضَّحَّاكِ
أَبْنِ قَيْسٍ مِثْلُ رِجَالِ مَرْوَانَ لَكَانَتْ قَيْسُ أَرَبَابًا بِالشَّامِ ، فَقَالَ زُفَرٌ : لَوْ كَانَتْ
لِمَرْوَانَ صُحْبَةُ الضَّحَّاكِ لَكَانَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ لَهُ مِثْلَ صُحْبَتِهِ
وَمُصْرَعِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : لَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُبَصِّرُ مَرْفَعِي ^(١) لَمَا تَرَكَكَ
وَالسَّكَّامَ . فَقَالَ زُفَرٌ : إِرْبَمَا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِكَا وَدَعَانَا وَخَلِيفَتِنَا وَاسْعَبَا ذُيُوكَا
عَلَى خِيَانَةِ خُرَّاسَانَ وَسِجِسْتَانَ وَالبَصْرَةَ .

وَقَالَ الدَّائِي : غَابَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ عَنِ الْمَدِينَةِ حِينًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَمَّا رَجَعَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتَ قَوْمًا يُبَغِضُونَ طَلْعَتَكَ ، وَفَارَقْتَ قَوْمًا
لَا يُحِبُّونَ رَجْعَتَكَ . قَالَ الْمَوْلَى : فَلَا أَنْتَمُ اللَّهُ مِمَّنْ قَدِمْتُ عَلَيْهِ عَيْنًا ، وَلَا
أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَى مَنْ فَارَقْتُ بِخَيْرٍ .

قَالَ الدَّائِي : كَانَ مَرْثَدُ بْنُ حَوْشَبٍ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَرَى
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ كَلَامٌ حَتَّى نَسَبَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَبْنِي ، قَالَ :
وَاللَّهِ لَأَنَا أَشَبُّ بِكَ مِنْكَ بِأَبِيكَ ، وَلَأَنْتَ كُنْتَ أَغْيَرُ عَلَى أُمِّي مِنْ أَبِيكَ
عَلَى أُمِّكَ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانٌ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ لَا بَنُ .

وَسَابَّ مَرْثَدُ أَخَاهُ ثُمَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ ثُمَامَةُ : يَا حَلَقِي ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ مَرْثَدُ :

(١) يشير خالده بهذه العبارة إلى قول زفر بن الحارث :

وَقَدْ يَنْبَغُ الْمَرْعَى عَلَى ذِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ
وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ خَالِدِ بْنِ زُفَرٍ حِينَ فَرَّ بَعْدَ وَقْعَةِ مَرْجٍ رَاغِبًا إِلَى قَتْلِ فِيهَا الضَّحَّاكِ
وَانْتَصَرَ فِيهَا مَرْوَانَ ، وَكَانَ زُفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ الضَّحَّاكِ .

(٢) إِرْبَمَا : يُخَاطَبُ خَالِدًا وَأَخَاهُ أُمِيَّةً .

(٣) يَتَهَمُهُ بِدَاءِ قَبِيحٍ ؛ وَيَقَالُ أَنَّ حَلَقِيَّةً إِذَا تَدَاوَلَتْهَا الْحُمُرُ فَأَسَابَهَا دَاهٍ فِي رَحِمِهَا .
وَالْحَلَقَى فِي الْأَثْنَانِ إِلَّا تَشْبَعُ مِنَ السَّفَادِ .

يا خبيث ، أنسابي مُسَابَّة الصَّبِيَّانِ ، فوالله إنك لأبني ، ولقد غلبني حَوْشَب
على أمك ، وقد أَلَقَتْهَا بِكَ ^(١) .

وقال ابنُ عِيَّاشٍ الْمُنْتَوَفُ ^(٢) لِأَبِي شَاكِرِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَوْ قَصَّرْتَ
قَبِيضَكَ ، قَالَ لَهُ : مَا يَفْضُرُكَ مِنْ طُولِهِ . قَالَ : تَدُوسُهُ فِي الطَّيْنِ ، قَالَ وَمَا
يَنْفَعُكَ مِنْ دَوْسِهِ .

وقال : كَانَ عَلَى نَبَالَةٍ ^(٣) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةِ ، مَنْ
الَّذِي يَقُولُ :

إِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تَنَالَ غَنِيمَةً فِي دُورِ بَاهِلَةٍ بِنِ يَعْفَرَ فَأَرْحَلْ
فَإِنَّمَا قَتِيلَةٌ أَثْمُهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي تَجَهَلٍ
فَقَالَ الْبَاهِلِيُّ : مَا أَذْرِي غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ الَّذِي يَقُولُ :

يَا شِدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ ^(٤)
قَالَ : وَتَكَلَّمَ ابْنُ ظُلَيْيَانَ النَّبِيِّ يَوْمَ فَأَكْثَرَ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ مُسْنَعٍ ،

(١) يتضح من القصة أن مرثدا ونمامة أخوان لأب ، وبذلك يستقيم الكلام .
(٢) كذا في تاريخ الطبري طبع أوربا . والقي في (١) التي وردت فيها وحدها هذه
القصة « اللبوق » : وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « تأييده » مكان قوله : « يا شدة » .
و « على سجيبة » مكان قوله « على سخيبة » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين صوابه ما أمبنتنا
تقلا عن الأغاني ج ١٩ ص ٧٦ طبع بولاق . والبيت لحداش بن زهير ، والسخيبة : طعام يتخذ
من الدقيق وهو دون المعبقة في الرقة وفوق الحساء ، وهو لقب لقريش كانت تستبر به
لكثرة اتخاذهم لهذا الطعام . وهذا البيت من أبيات أربعة وردت في الأغاني في خبر طويل
فاظفروه ثم . وما هي ذى الأبيات الثلاثة بعد هذا البيت :

لَاذِ يَتَقِنَا هِشَامَ بِالْوَلِيدِ وَلَوْ أَنَا تَقَفْنَا هَعَامَا شَالَتْ الْخَدَمُ
بَيْنَ الْأَرَاكِ وَبَيْنَ الْمَرْجِ نَبْطَحُهُمْ زُرُقُ الْأَسْنَةِ فِي أَطْرَافِهَا السَّمِ
فَإِنْ سَمِعْتَ بِمَيْشِ سَالِكٍ شَرَفَا وَبَطْنِ مَرْفَأَخْوَا الْجَرَسِ وَاكْتَمَوْا

إيها أبا مَطَر^(١) ، فإن لقوم في الكلام نصيباً ، فقال : والله ما إليك جئت ، ولو أن بكر بن وائل أجمعت في بيت بقالٍ لا تدينهم . فقال له مالك ، إنما أنت منهم من سهام كنانتي . فقال ابن ظبيان : أنا منهم من سهام كنانتك ؟ فوالله لو قت فيها لطلتها ، ولو قعدت فيها لخرقتها ، وإنهم الله ما أراك تذهي حتى أرميك بسهم لم يرش^(٢) ، تدبُّل به شفعاك ، ويحفُّ له ريقك .

وقال رجلٌ للأخنف : بأي شيء سدت تمياً ؟ فوالله ما أنت بأجوديم ولا أشجعهم ولا أجهلهم ولا أشرفهم ، قال : بخلاف ما أنت فيه . قال : وما خلاف ما أنا فيه ؟ قال : تركي ما لا يعني من أمور الناس كما عفاك من أمري ما لا يعنيك .

وفد عليم بن خالد الهجيمي على هشام وعنده الأبرش [الكلبي] ، فقال له الأبرش الكلبي : يا أخا بني الهجيم ، من القائل :

لويستمون بأكلة أو شربة بمان أصبح جمعهم بمان

ألكم يقوله ؟ قال : نعم ، لفا يقوله ، ولكنكم يامقشر كلب تعبرون^(٣) النساء وتجزون^(٤) الشاء ، وتكدرون العطاء ، وتؤخرون العشاء ، وتبيعون الماء .

(١) في (١) « إنها أبا مَطَر » ، وهو تحريف ، وقد أثبتنا هذه الكنية من الكامل للبرد . والذي في (ب) إنما ينتظر القوم .

(٢) يقال راث السهم بريشه إذا وضع عليه الريش ليكون أسرع له . ويريد هنا سهماً من القول .

(٣) تعبرون النساء أي تتركهن ختانهن . يقال امرأة معبرة إذا طال بظرها . وفي الأصل سيرون بالياء الشاة وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « وتجزون » ؟ وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

فَضَحِكَ هِشَامٌ ، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ الْأَبْرَشُ : يَا أَخَا بَنِي الْمُهْجَمِ ، أَمَا كَانَتْ عِنْدَكَ بَقِيَّةٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، لَوْ كَانَ عِنْدَكَ بَقِيَّةٌ .

قَدَمَتْ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا إِلَى زِيَادٍ تُفَارِغُهُ ، وَقَدْ كَانَتْ سِنُهُ أَعْلَى مِنْ سِنِهَا فَجَعَلَتْ تَعِيبُ زَوْجَهَا وَتَقَعُ فِيهِ ، فَقَالَ زَوْجُهَا : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ شَرَّ شَطْرِي لِلرَّأَةِ آخِرُهَا ، وَخَيْرَ شَطْرِي الرَّجُلُ آخِرُهُ . الْمَرْأَةُ إِذَا كَبُرَتْ عَقَمَتْ رَحِمُهَا ، وَحَدَّ لِسَانُهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَبُرَتْ سِنُهُ اسْتَحْكَمَ رَأْيُهُ ، وَكَثُرَ حِلْمُهُ وَقَلَّ جَهْلُهُ .

وَقَالَ أَعْمَى هَمْدَانَ لِأَمْرَأَتِهِ : إِنَّكَ لَسَلِسَةُ الثَّقَبَةِ ، سَرِيعَةُ الْوَثْبَةِ ، حَدِيدَةُ الرُّكْبَةِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَسَرِيعُ الْإِرَاقَةِ ، بَطِيءُ الْإِفَاقَةِ ، قَلِيلُ الطَّاقَةِ ^(١) ، فَطَلَّقَهَا ، وَقَالَ :

تَقَادَمَ عَهْدُكَ أُمُّ الْجَلَالِ وَطَاشَتْ نَبَالُكَ عِنْدَ النَّضَالِ
وَقَدْ بُتَ ^(٢) حَبْلُكَ فَاسْتَيْقِنِي بِأَنِّي طَرَحْتُكَ ذَاتَ الشَّمَالِ ^(٣)
وَأَنْ لَا رُجُوعَ فَلَا تُكَذِّبِي نَ مَا حَنَنْتِ ^(٤) النَّيْبُ إِثْرَ الْفِصَالِ
قَالَ الْفِلَاحِيُّ عَنْ غَيْرِهِ : قَالَ رَجُلٌ لِأَمْرَأَتِهِ : أَمَا إِنَّكَ مَا عَلِمْتُ لَسْتُ لِسْتُ لِسْتُ
مُنْعَةً ، جَزُوعٌ هَلِمَةً ، تَمْشِيَنَّ الدَّفْقُ ^(٥) وَتَقْعِدِينَ الْهَبْنَقَةَ ، فَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الطاعة » ؟ وهو تحريف .

(٢) في رواية : غنى حنينك .

(٣) ورد هذا القطر في (١) التي وردت فيها هذه الأبيات :

* بَأَنِّي فَرَضْتُكَ دَابَّ النَّبَالِ *

وهو تصحيف لا معنوله . والتصويب عن شعر أعمى همدان الطبع في أوربا ضمن شعر الأعشى .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه الأبيات « ما حيت لبنت » وهو تحريف . والتصحيح عن شعر أعمى همدان الطبع في أوربا ضمن شعر الأعشى . والنيب جمع ناب ، وهي السنة من النياق .

(٥) يقال معنى الدفق كزمني إذا مشى مسرعا . وجلس الهبنقة ، إذا جلس مزهوا أو جلس متربعا مادّا إحدى رجليه في تربيه .

إِنْ كَانَ زَادِي مِنْكَ لَهْدِيَّةً^(١) ، وَإِنْ كَانَتْ حُفْلَوْنِي مِنْكَ لَحَذِيَّةً^(٢) ، فَإِنَّكَ لِأَبْنِ خَيْثَةَ يَهُودِيَّةٍ .

وقال المدائني^(٣) : قَبِضَ كِسْرَى أَرْضًا لِرَجُلٍ مِنَ الدَّهَاقِينِ ، وَأَقْطَعَهَا الْبَحْرَجَانُ^(٤) ، فَقَدِمَ صَاحِبُ الْأَرْضِ مُتَظَلِّمًا ، فَأَقَامَ بِيَابِ كِسْرَى ، فَرَكِبَ كِسْرَى يَوْمًا ، فَقَعَدَ لَهُ الرَّجُلُ عَلَى طَرِيقِهِ يُكَلِّمُهُ ، فَلَمَّا حَازَاهُ شَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى صَكَ بِصَدْرِهِ رُكْبَتَهُ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ ؛ فَوَقَفَ لَهُ كِسْرَى وَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَرْضُكَ كَانَتْ لِأَجْدَادِي وَرِثَتُهَا مِنْ آبَائِي قَبِضَتَهَا فَأَقْطَعْتُهَا الْبَحْرَجَانُ ؟ أَرُدُّهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : مُذْ كُنْتُ هَذِهِ الْأَرْضُ فِي أَيْدِي أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ ؟ فَذَكَرَ دَهْرًا طَوِيلًا ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : وَاللَّهِ لَقَدْ أَكَلْتُمُوهَا دَهْرًا طَوِيلًا ، فَمَا عَلَيْكَ فِي أَنْ تَدْعَهَا فِي يَدِ الْبَحْرَجَانِ عَارِيَةً سُنِّيَّاتٍ يَسْتَمْتِعَ بِهَا نَحْنُ بِرَدِّهَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَدْ عَلِمْتَ حُسْنَ بِلَاءِ بَهْرَامِ جُورٍ فِي طَاعَتِكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَمَا كَفَاكُمْ مِنْ حَدِّ عَدُوِّكُمْ ، وَدَفَعَهُ عَنْكُمْ كَيْدَ التَّرْكِ وَحُسْنَ بِلَاءِ آبَائِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ آبَائِكَ ، فَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَوْ أَعْرَثَتْهُ مُلْكُكَ سُنِّيَّاتٍ يَسْتَمْتِعَ بِهِ نَحْنُ بِرَدِّهِ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ كِسْرَى : يَا بَحْرَجَانُ ، أَنْتَ رَمَيْتَنِي بِهَذَا السَّهْمِ ، أَرُدُّ عَلَيْهِ أَرْضَهُ [فَرَدَّهَا] .

قال رجل من القحاطنة^(٥) لرجل من أبناء الأعاجم : مَا يَقُولُ الشُّعْرُ مِنْكُمْ

(١) تريد بهذه العبارة أن ما تناله من طعام لدى زوجها يشبه الهدية في ندرته وازدهائه بإطعامها كما يزدى صاحب الهدية بما أهدى وأن زوجها يرى أن إطعامها غير واجب بل هو من قبيل الهدية . هذا ما يلوح لنا من معنى هذه العبارة إن لم يكن فيها تحريف .

(٢) في الأصل « تحذية » ولعل الصواب ما أثبتنا . والحذية : من معانيها القصة من الغنمية ، أى أنه كان يعطيها القليل مما يفتن . وقد تكون الجندية بالجيم والهمزة ومعناها القطعة من الكساء تحت السرج أى الثوب النافه . (٣) يريد بالبحرجان هنا صاحب سفن كسرى ورئيس الملاحين ، ومى كلمة فارسية معناها النوتي ، كما في اللجم الفارسي الإنجليزي لاستاينجاس . (٤) في (١) القحاطبة وفي (ب) وردت هذه الكلمة مبهمة الحروف من النقط .

إلا من كانت أمُّه زنى بها رجلٌ مِنَّا فنَزَعَ إلينا . فقال له الثنوي : وكذلك كلُّ مَنْ [لم] يَقل الشعرَ مِنكم ، فإنما زنى بأمِّه رجلٌ مِنَّا فَحَمَلَتْ به ، فنَزَعَ إلينا ، فَمِنْ ثَمَّ لم يَقل الشعر .

وقال رجلٌ مِنَ العَرَبِ لرجُلٍ مِنْ أبنَاءِ العَجَمِ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَلَمْ أَرِ فِيهَا ثَنَوِيًّا . فقال له الثنوي : أَصَعِدْتَ الْغُرْفَ ؟ قال : لا . قال : فَمِنْ ثَمَّ لم تَرَمْهُمْ ، هُمْ فِي الْغُرْفِ .

قال ابنُ عَياش : ما قَطَعَنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ آلِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَ مَاجِنًا ^(١) شَارِبَ خَمْرٍ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ عَلَى بَيَانِ الْبَيَّانِ ^(٢) الَّذِي أَتَى ^(٣) بِهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ ، فَقَالَ لِي : مَا وَقُوفُكَ هَاهُنَا يَا أَبَا الْجَرَّاحِ ؟ قُلْتُ : أَنْظِرْ لِي هَذَا الشَّقِيَّ الَّذِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَبِيٌّ ؟ قَالَ : وَمَا أَتَى بِهِ فِي نَبَوِّتِهِ ؟ قُلْتُ : بِتَحْلِيلِ الْخَمْرِ وَالزَّنا — وَأَنَا أَعْرِضُ بِهِ — فَقَالَ : لا ، وَاللَّهِ لَا يُقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُبْزِيَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ .

قال المدائني : ابنُ عَياش أَبْرَصٌ .

وقال : دَخَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ عَلَى عَمِيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ — وَهُوَ يَهْزَأُ بِهِ — [أَمْسَيْتَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ الْعَشِيَّةَ جَمِيلاً فَلَوْ عَلَّقْتَ نَمِيمَةً تَنْفِي

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « مَا حَارِبًا » وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَفْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ : « ابْنُ بَيَّانٍ » . وَلَمْ نَجِدْهُ فِي رَاجِعِنَا مِنَ الْكُتُبِ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا تَقْلًا عَنِ الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ، وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ . وَبَيَّانٌ هَذَا ، هُوَ ابْنُ سَمْعَانَ التَّيْمِيِّ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ ، وَفِيهِ ذَلِكَ مِنَ الْغَالَاتِ الزَّائِغَةِ وَكَانَ يَقُولُ إِنَّهُ الْمَعَارِ إِلَى بَقُولِهِ تَعَالَى : « هَذَا بَيَّانٌ لِقُلَّاسٍ » .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « أَرَى » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ فِي الْكُتُبِ أَنَّ الَّذِي صَلَبَ بَيَّانًا هَذَا هُوَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا ابْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١١٩ هـ .

بها عنك العين ؟ فعرف أنه يهزأ به [فقال : أصلح الله الأمير —

أَفَنِي الشَّبَابَ الَّذِي فَارَقْتُ بِهِجَتَهُ مَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِي
لَمْ يَتْرُكَا لِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا تُخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةُ^(١) الْحَدَقِ
وَقَالَ لِلدَّائِي : وَقَعَ بَيْنَ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيِّ وَبَيْنَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ
ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ كَلَامٌ بَيْنَ يَدَيَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ^(٢)
وَخَالِدٌ يَوْمئِذٍ عَلَى الْعِرَاقِ — وَكَانَ مُحَامِلًا عَلَى بِلَالٍ ، وَكَانَ الْعُرْيَانُ عَلَى شَرْطَةِ
خَالِدٍ — فَقَالَ الْعُرْيَانُ لِبِلَالٍ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَبْيَضِ الرَّاحَتَيْنِ ، وَلَا مُنْتَشِرِ
الْمُنْخِرَيْنِ ، وَلَا أَرْوَحِ الْقَدَمَيْنِ ، وَلَا مُحَدِّدِ الْأَسْنَانِ ، وَلَا جَعْدٍ قَطَطٍ ، فَقَالَ
بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ أَتَمَعِنِي^(٣) بِهَذَا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ كَلَامٌ يَتْلُو بَعْضُهُ
بَعْضًا . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ ، أَنْزِلْ أَنْ تَشْمَ أَبَا بُرْدَةَ وَأَشْمَ أَبَاكَ ، وَتَشْمَ
أَبَا مُوسَى وَأَشْمَ جَدَّكَ ، هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ ، فَقَالَ الْعُرْيَانُ : إِنِّي وَاللَّهِ
مَا أَجْعَلُ أَبَا مُوسَى فِدَاءَ الْأَسْوَدِ ، وَلَا أَبَا بُرْدَةَ فِدَاءَ الْهَيْثَمِ ، فَمَتْلَى وَمَثَلَتْ
فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ مِسْكِينُ الدَّارِمِيِّ^(٤) :

أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نَطِقٍ^(٥)
لَا أَبِيعُ النَّاسَ عِرْضِي إِنِّي لَوَأْبِعُ النَّاسَ عِرْضِي لَنَفَقَ

(١) في رواية : « لذعة » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « القسري » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « استعن » ؛ وهو تحريف لـ
لَا يَنَاسِبُ مَعْنَاهُ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الدائق » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذان البيتان :

أَيَا مِسْكِينٍ لِمَنْ تَعْرِفُنِي وَلِمَنْ تَبَادُرُ لِي حَدَّ نَطِقٍ

وهو تحريف ؛ والتصحيح عن الأغاني في ترجمة مسكين الدارمي .

قال للدائني: جرى بين وكيع بن الجراح وبين رجل من أصحابه كلام في معاوية واختلفا، فقال الرجل لوكيع: ألم ينبئك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا سفيان ومعاوية وعتبة فقال: « لعن الله الراكب والقائد والسائق » ، فقال وكيع: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أيما عبد دهمت عليه فأجمل ذلك (له أو عليه) رحمة » ؛ فقال الرجل: أفسرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن والدك فكان ذلك لما رحمة . فلم يجر إليه جواباً .
تكلّم صغصعة عند معاوية ففرق ، فقال : وبهرك القول يا صغصعة ؟
فقال : إن الجياد نضاجة بالماء .

هكذا قال لنا السيرافي ، وقد قرأت عليه هذه الفقر كلّمها ، وإنما جمعتها للوزير بعد إحصائها وروايتها .

قال علي بن عبد الله : شهدت الحجاج خارجاً من عند عبد الملك بن مروان ، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : إلى متى تقتل أهل العراق يا أبا محمد ؟ فقال : إلى أن يكتفوا عن قولهم في أبيك : إنه كان يشرب الخمر .

قال المدائني : أسرّت مزينة حسان بن ثابت — وكان قد هاجم — فقال :
مُزِينَةُ لَا يَرَى فِيهَا خَطِيبٌ وَلَا فَلَسِيحٌ يُطَافُ بِهِ خَضِيبٌ
أَنَاسٌ تَهْلِكُ الْأَخْسَابُ فِيهِمْ يَرَوْنَ التَّيْسَ يَعْدِلُهُ الْحَبِيبُ
فأتهم الخزرج يفتدونه ؛ فقالوا^(١) : نفاديه بتيس ؛ فنضّبوا وقاموا ؛ فقال لهم حسان : يا إخوتي خذوا أخاكم وادفنوا إليهم أخاهم .

وقال المدائني : فرّق عمر بن الخطاب بين منظور بن أبان وبين امرأته —

(١) فقالوا ، أي أسروه ، وهم بنو مزينة .

وكان خَلَفَ عليها بعد أبيه — فَنَزَّوْجَهَا طَلْعَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَقِيَهُ مَذْظُورٌ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ وَجَدْتَ سُورِي ؟ فَقَالَ : كَمَا وَجَدْتَ سُورَ أَبِيكَ . فَأَفْحَمَهُ .

وقال حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ : بَشَنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُقَوِّسِ مَلِكِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، فَأَتَيْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ ؛ فَضَحِكَ نِمَ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ صَاحِبُكَ أَنْ أَتَّبِعَهُ عَلَى دِينِهِ ، فَمَا يَنْتَعُهُ — إِنْ كَانَ نَبِيًّا — أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَسْلُطَ عَلَى الْبَحْرِ فَيُغْرِقَنِي فَيَكْتَنِي مَوُوتِي وَيَأْخُذَ مُلْكِي ؟ قُلْتُ : فَمَا صَنَعَ عِيسَى إِذَا أَخَذَتْهُ الْيَهُودُ فَرَبَطُوهُ فِي حَبْلٍ وَحَلَقُوا وَسَطَ رَأْسِهِ ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ إِكْلِيلَ شَوْكٍ ، وَحَمَلُوا خَشَبَتَهُ الَّتِي صَلَبُوهُ عَلَيْهَا عَلَى عُنُقِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجُوهُ وَهُوَ يَتْبِكِي حَتَّى نَصَبُوهُ عَلَى الْخَشَبَةِ ، ثُمَّ طَعَنُوهُ حَيًّا بِمِجْرَةٍ حَتَّى مَاتَ ؛ هَذَا عَلَى زَعْمِكُمْ ، فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فَيُنْجِيَهُ وَيُهْلِكَكُمْ فَيَكُنِّي مَوُوتَهُمْ وَيُظَاهِرَهُمْ وَأَصْحَابَهُ عَلَيْهِمْ ؟ وَمَا مَنَعَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا حِينَ سَأَلَتْ أَسْرَاةُ الْمَلِكِ الْمَلِكَ أَنْ يَقْتُلَهُ فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا حَتَّى وَضِعَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُنْجِيَهُ وَيُهْلِكَ النَّاسَ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَى جُلْسَانِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ لَخَكِيمٌ ، وَمَا يَخْرُجُ الْحَكِيمُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الْحُكَمَاءِ .

قال اللدائني : أَبْطَأَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنْتِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا قَبْلَهُ (١) — وَهُوَ عَلَى خُرَاسَانَ — وَكَانَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ : زَائِلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى الْجَنْتِيدِ يَوْمًا فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ طَالَ أَنْتِظَارِي ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَضْرِبَ لِي مَوْعِدًا أَصِيرُ إِلَيْهِ قَعْل . فَقَالَ : مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ ؛ فَخَرَجَ زَائِلٌ مُتَوَجِّهًا إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَدَخَلَ عَلَى الْجَنْتِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ .

(١) ما قبله ، أي ما قبل الجنيد من المطاء .

أَرِحْنِي بِخَيْرِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَإِلَّا فِيمَا دَرَكِي زَامِلٍ
 قال : وَمَا قَعَلَ زَامِلٌ ؟ قال : لِحَقِّ بَاهِلِهِ . فَأَبْرَدَ الْجَنَيْدُ فِي أَثَرِهِ بَرِيدًا
 وَبَعَثَ يُعْهِدُهُ إِلَى الْكُورَةِ ^(١) الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا ، [فَأَدْرَكَ] ^(٢) بَنِيْسَابُورَ ، فَزَلَّهَا .
 وَامْتَدَّحَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — بِشِعْرِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ ؛
 فَقِيلَ ^(٣) : أَتَغْطِي عَلَى كَلَامِ الشَّيْطَانِ ؟ فَقَالَ : أَتَبْقِي الْخَيْرَ لِنَفْسِي الشَّرِّ .

قال للدائني : أَنَى الْعَبْدَانِيَّ حَمَادَ بْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ مَلَأَ عَيْنَهُ كُحْلًا
 قَدْ ظَهَرَ مِنْ مَحَاجِرِ عَيْنِهِ ، وَعِنْدَ حَمَادٍ جَمَاعَةٌ . فَقَالَ لَهُ حَمَادُ : كَأَنَّكَ أَمْرَأَةٌ
 نَفْسَاءُ . قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي تُكَلِّئِي . قَالَ : عَلَى مَنْ ؟ قَالَ : عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ .
 وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِيَحْيَى ^(٤) : إِنَّ ابْنَتَكَ تَشْكُو تَزْوِيجَكَ وَتَزْعُمُ
 أَنَّهُ ^(٥) يَبُولُ فِي دِثَارِهِ ^(٦) . قَالَ : فَهُوَ يَبُولُ مِنْهَا فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ دِثَارِهِ ^(٧) .
 وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : هَذَا عَقِيلٌ عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ . فَقَالَ عَقِيلٌ : هَذَا مُعَاوِيَةُ عَمَّتُهُ
 حَمَلَةُ الْحَلْطَبِ .

قال : وَدَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَارَبَ فِي خَطْوِهِ ، فَقَالَ
 أَبُو جَعْفَرٍ : كَبُرَتْ سِنَّكَ يَا مَعْنُ . قَالَ : فِي طَاعَتِكَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَجَلْدٌ .
 قَالَ : عَلَى أَعْدَائِكَ . قَالَ : إِنَّ فِيكَ لِبَقِيَّةٍ . قَالَ : هِيَ لَأَكْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) بعث يعهده إلى الكورة ، أي بعث إلى الكورة التي يدرك بها يؤمنه . يقال
 أعهد إذا أمته وكفله . (٢) لم ترد هذه الكلمة في (١) التي وردت فيها وحدها
 دون (ب) هذه القصصة ؛ وسياق الكلام يقتضي إثباتها .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « قال » ؛ وهو خطأ ؛ أو لعل
 اسم الغائل قد سقط من النسخ كما يظهر لنا .

(٤) يريد يحيى بن الحكم أخا مروان . (٥) أنه أي زوجها .

(٦) في (١) التي وردت فيها وحدها دون (ب) هذه القصة « داره » ؛ في كلا الموضوعين
 وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

قال المنصور لسفيان بن معاوية المهلبي، ما أسرع الناس إلى قومك؟
قال، سفيان :

إنَّ العرائين^(١) تلقاها مُحَسَّدَةً وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا
فقال : صدقت .

قال المدائني : حضر قوم من قريش مجلس معاوية وفيهم عمرو بن العاص
وعبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛
فقال عمرو : احمدا الله يا مقشّر قريش إذ جعل والي أموركم من يُنْضَى^(٢) على
الْقَذَى ، وَيَتَصَامُ عَنِ الْقَوَرَاءِ ، وَيَجْرُ ذَيْلُهُ عَلَى الْخَدَائِعِ . قال عبد الله بن
صفوان : لو لم يكن لهذا لمشيئنا إليه الضراء ، ودببنا^(٣) له الخمر ، وقلبنا له ظهر
البحر ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مضر .

وقال معاوية : يا مقشّر قريش ، حتى متى لا تُنْصِفُونَ من أنفسكم ؟
فقال عبد الرحمن بن الحارث : إن عمرا وذوي عمرو أفسدوك علينا
وأفسدونا عليك ، ما كان لو أغضيت على هذه ؟ فقال : إن عمرا لى ناصح ،
قال أطمعنا^(٤) ، ثم أطمعته ، ثم خذنا بمثل نصيحته ، إنك يا معاوية تُضْرِبُ
عَوَامَ قريش بأياديك في خواصها كأنك ترى أن كرامها جاروك^(٥) دون لثامها ،

(١) عرائين القوم : عليتهم ، تشبها بعرائين الأنوف .

(٢) في نسخة : « يقضى على الهدى » .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام دون (ب) « ووهنا له الحمى » مكان
« ودببنا له الخمر » ؛ وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، يقال : مشى
إلى خصمه الضراء ودب إليه الخمر بفتح الخاء والميم إذا مشى إليه مستخفيا ليختله . والضراء :
الشجر اللثغ : والجحر : ما وارك من جرف ونحوه .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « منذ » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة . وجاروك ، أى جروا معك فيما
تريد . وفي بعض الكتب حاربوك . يريد أنه يعطى كرامهم خوفا منهم واتقاء لحزبهم .

وَأَيْمُ اللَّهِ : إِنَّكَ لَتَفْرُغُ^(١) مِنْ إِيَّاهُ قَعْمٌ فِي إِيَّاهُ ضَخْمٌ ، وَلَكَأَنَّكَ بِالْحَرْبِ قَدْ حُلَّ عِقَالُهَا ثُمَّ لَا تُنْظِرُكَ . فقال معاوية : يَا بَنَ أَخِي^(٢) مَا أَحْجَجَ أَهْلَكَ إِلَيْكَ . ثُمَّ أَنْشَدَ معاوية :

أَفَرَّ رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَشَايَعُوا عَلَى سَفَهٍ ، مِنَّا الْحَيَا وَالتَّكْرَهُمُ ؟
وقال للدائني : كَانَ عَمْرُؤُ بْنُ الزُّبَيْرِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَحْدِّثُهُ —
وعنده الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ — فَقَالَ لَهُ عَمْرُؤُ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ —
يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ — فَقَالَ الْحَجَّاجُ : أَعِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَكْنِي ذَلِكَ الْفَاسِقُ ؟
لَا أَمَّ لَكَ . فَقَالَ عَمْرُؤُ : أَلَيْ تَقُولُ هَذَا لَا أَمَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ هِجَازِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ
وَصَفِيَّةُ وَأَسْمَاءُ وَعَائِشَةُ ، بَلْ لَا أَمَّ لَكَ أَنْتَ يَا بَنَ الْمُسْتَفْرَمَةِ^(٣) بِعَجْمِ زَيْبِ الطَّائِفِ .
وقال : لَمَّا صَنَعَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَغِيلَانَ الْوَاعِظِ مَا صَنَعَ ، قَالَ لَهُ
رَجُلٌ : مَا ظَلَمَكَ اللَّهُ وَلَا سَلَّطَ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَحِقٌّ ؛ فَقَالَ
غَيْلَانُ : قَاتَلَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّكَ جَاهِلٌ بِأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ .

قال عمرو بن العاص : أَعْجَبْتَنِي كَلِمَةً مِنْ أُمَةٍ ؛ قُلْتُ لَهَا وَمَعَهَا طَبَقٌ :
مَا عَلَيْهِ يَا جَارِيَّةُ ؟ قَالَتْ : فَلِمَ غَطَّيْنَاهُ إِذَا ؟
وَقَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ مُعَاوِيَةَ بِبَعْضِهِ ، فَقَالَ :
أَنْتِ عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ظَنَّ الْحَكِيمِ كِهَانَةٌ .

(١) في (١) التي وردت فيها هذه الفصحة وحدها : « لتفرغ » ، ولم ننبين له معنى . والصواب ما أثبتنا كما في العقد الفريد .

(٢) في الأصل : « يا براح » مكان « يا بن أخى » ، ولم نفهم له معنى . والصواب ما أثبتنا كما في العقد الفريد . وبعد قوله « ما أحوج أهلك إليك » قوله « فلا تفجعهم بنفسك » .

(٣) المستفرمة بعجم زيب الطائف : عبارة كان عبد الملك بن مروان قد شتم بها الحجاج في بعض كتبه إليه . وعجم الزيب : نواه . ويريد أن أمته كانت تستفرم به أى تضعه في فرجها ليضيق .

وقيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول في علي وعثمان وفي حرب الجبل وصيفين ؟ قال : تلك دماء كف الله يدي عنها ، فأنا أكره أن أغس لسانى فيها .

وقال : طلق أبو الخنذف امرأته أم الخنذف ، قالت له : يا أبا الخنذف طلقتنى بعد خمسين سنة ، فقال : مالك ^(١) عندي ذنب غيره .

وقال : لقي جرير الأخطل فقال : يا مالك ، ما فعلت خنازيرك ؟ قال : كثيرة في مرج أفتح ، فإن شئت قريناك منها ، ثم قال الأخطل : يا أبا خزرة ما فعلت أهازيك ؟ قال كثيرة في وادٍ أروح ، فإن شئت أنزيناك ^(٢) على بفضها . وقال الشعبي : ذكر عمرو بن العاص عليًا فقال : فيه دُعابة ، فبلغ ذلك عليًا فقال : زعم أن النابغة أنى تلعابة تمزاحة ذو دُعابة أعفيس وأمارس ؛ هيئات ، يمتنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب ومن كان له قلب ففى هذا عن هذا له واعظ وزاجر ، أما وشتر القول الكذب - إنه كبعده فيخلف ، ويحدث فيكذب ، فإذا كان يوم التباس فإنه زاجر وأمر ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال ، فإذا كان ذلك فأعظم مكيدته فى نفسه أن يمنح القوم أمته .

قال المدائنى : بعث المفضل [الضبي] إلى رجل بأضحية ، ثم لقيه فقال : كيف كانت أضحيتك ؟ فقال : قليلة الدم . وأراد قول الشاعر :
ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من القوم للضبي لحما ولا دما

(١) فى (١) التى وردت فيها وحدها هذه القصة : « نبالك » .

(٢) فى (١) التى وردت فيها وحدها هذه القصة : « أمريناك » بالالف والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وقال المدائني : مرَّ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ
السلام ومعه تيسٌ ، فقال له عليٌّ : إِنَّ أَحَدَ ثَلَاثِنَا أَحَقُّ . فقال عَقِيلُ : أَنَا
أَنَا وَتَيْسِي فَلَا .

وَكَلَّمَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ حُمْرَانَ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ . فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ : لَا أَكْثَرُ
اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ . فقال عَامِرٌ : لَكِنْ : أَكْثَرُ اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ ، فقال له القومُ :
يَا عَامِرُ ، يَقُولُ لَكَ حُمْرَانُ مَا لَا تَقُولُ مِثْلَهُ ؟ فقال : نَعَمْ يَكْسَحُونُ طُرُقَنَا ،
وَيَحْوُكُونَ ^(١) ثِيَابَنَا ، وَيَخْرِزُونَ خِيفَاتَنَا . فقِيلَ لَهُ : مَا كُنَّا نَرَى أَلَّاكَ تَعْرِفُ
مِثْلَ هَذَا ، قَالَ : مَا أَكْثَرَ مَا نَعْرِفُ مِمَّا لَا تَعْلَمُونَ بِنَا .

وقال : مرَّ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ عَلَى الْأَحْوَصِ وَهُوَ عَلَى بَنَلٍ ، فَأَذَى الْبَنَلُ
فَقَالَ الْأَحْوَصُ : بَنَلُكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ عَلَى خَمْسِ قَوَائِمٍ . قال جرير : وَالْخَامِسَةُ
أَحَبُّ إِلَيْكَ .

ومرَّ جَرِيرٌ بِالْأَحْوَصِ ^(٢) وَهُوَ يَفْسُقُ بِامْرَأَةٍ وَيُنْشِدُ :

يَقْرَأُ بَعْنِي مَا يَقْرَأُ بَعْنِيهِمَا — وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتِ
فقال له جرير : فَإِنَّهُ يَقْرَأُ بَعْنِيهَا أَنْ تَقْعُدَ عَلَى مِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، أَفَتَرَاكَ
تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟

فقال الوزير : مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْكِبَارِ ^(٣) كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الْقَنْ وَلَهُ فِيهِ
غَزَاةٌ وَأَنْبِعَاثٌ وَجَسَارَةٌ عَلَى الْإِيرَادِ . قلتُ : أَبْنُ عِبَادَ عَلَى هَذَا ، وَيَبْلُغُ مِنْ قُوَّتِهِ
أَنَّهُ يَفْعَلُ ^(٤) أَشْيَاءَ شَبِيهَةً بِهَذَا الضَّرْبِ عَلَى مَنْ حَضَرَ ، فَقَالَ : الْكَذِبُ لَا خَيْرَ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « ويحولون » ؛ ولا ينبغي ما فيها
من تحريف ظاهر .

(٢) عبارة (ب) « ومر جرير بالأحوص وهو ينشد » ثم ذكر البيت .

(٣) في (ب) « الكتاب » . (٤) في (١) « ينقل » ؛ وهو تحريف .

فيه ، ولا حلاوة لراويه ، ولا قبول عند سامعيه .

وقال : أرسل بلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة فأتاه ، فقال : أتدري لأى شيء أرسلت إليك ؟ قال : نعم ، لتصنع بى خيراً . قال : أخطأت ولكن لأسى بك . فقال : أما إذ قلت ذلك لقد حكمت المسئون حكماً ، فسخر أحدُهما بالآخر . فقال الوزير : أيقال سخر به فكان الجواب أن أبا زيد حكاه ، وصاحب التصنيف قد رواه ؛ وسخر منه أيضاً كلام ، وإنما يقال هو أفصح ، لأنه فى كتاب الله عز وجل ، وإلا فكلأهما جائز .

وقال حمزة بن بيض الحنفى للفرزدق : يا أبا فراس ، أئما أحب إليك أن تسبق الخير أم يسبقك ؟ قال : ما أريد أن أسبقه ولا أن يسبقنى ، بل تكون معاً . ولكن حدثنى أئما أحب إليك : أن تدخل منزلك فتجد رجلاً على حرامك ، أو تجد ما قابضة على قدم الرجل . فأفحمة .

فلما قرأت الجزء فى ضروب الجواب المنجم . قال : ما أفتح^(١) هذا النوع من الكلام لأبواب^(٢) البدية وأبعثه لرواقد الذهن ؛ وما يتفاضل الناس عندي بشيء [أحسن^(٣)] من هذه الكلمات الفوائى الرواق ، ما أحسن ما جمعت وأتيت به .

الليلة الأربعون

وقال مرة أخرى : حدثنى عن اعتقادك فى أبى تمام والبخترى ، فكان (١)

(١) كلنا فى (ب) . والذى فى (أ) « ما أصح » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « لأنواع » ؛ وهو خطأ من النسخ .

(٣) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد فى كلتا النسختين ، والسياق يقتضيها ،

لذا لا تم العبارة بدونها .

الجواب : إن هذا الباب مُخْتَلَفٌ فيه ، ولا سبيل إلى رفعه ، وقد سبقَ هذا من الناس في الفِرَزْدَقِ وَجَرِيرٍ وَمِنْ قَبْلِهِمَا فِي زُهَيْرٍ وَالنَابِغَةِ حَتَّى تَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ الصدرُ الأولُ ، مع علوِّ مراتبِهِمْ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَالتَّيَّانِ ، لكن حَدَّثَنَا أَبُو عَمْدٍ العَرُوضِيُّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : سَأَلَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي تَمَامٍ وَابْحَثَرِي ؛ فَقُلْتُ : أَبُو تَمَامٍ يَغْلُو عُلُوًّا رَفِيعًا ، وَيَسْقُطُ سُقُوطًا قَبِيحًا ، وَابْحَثَرِي أَحْسَنُ الرَّجَالِ نَمَطًا ، وَأَعَذِبُ لَعْنًا ؛ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

قَدْ كَانَ ذَلِكَ ظَنِّي فَسَادَ ظَنِّي يَقِينَا

فَقُلْتُ : وَهَذَا أَيْضًا شِعْرٌ . فَقَالَ : مَا عَلِمْتُ .

فَقَالَ : هَذِهِ حِكَايَةٌ مُفِيدَةٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَحُكْمٌ يُلَوِّحُ مِنَ الْإِنْصَافِ ، وَقَدْ أَغْنَى هَذَا الْقَوْلُ عَنْ خَوْضٍ كَثِيرٍ .

(٢) وَدَعَا ذَا ؛ مِنْ أَيْنَ دَخَلَتْ الْأَفْئَةُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ حَتَّى أَفْتَرَقُوا هَذَا الْأَفْتَرَقَ ، وَتَبَايَنُوا هَذَا التَّبَايُنَ ، وَخَرَجُوا إِلَى الْكُفْرِ وَالتَّفْسِيقِ وَإِبَاحَةِ الدِّمِ وَالْمَالِ وَرَدِّ الشَّهَادَةِ وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالْجُرْحِ وَالْقَذَعِ وَالتَّهْجُرِ وَالتَّقَاطُعِ ! فَكَانَ الْجَوَابُ : إِنَّ الْمَذَاهِبَ فُرُوعُ الْأَدْيَانِ ، وَالْأَدْيَانُ أَصُولُ الْمَذَاهِبِ ، فَإِذَا سَاغَ ^(١) الْأَخْتِلَافُ فِي الْأَدْيَانِ — وَهِيَ الْأَصُولُ — فَلِمَ لَا يَسُوغُ فِي الْمَذَاهِبِ وَهِيَ الْفُرُوعُ .

فَقَالَ : وَلَا سَوَاءَ ^(٢) ، الْأَدْيَانُ اخْتَلَفَتْ بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَهِيَ أَرْبَابُ الصِّدْقِ وَالْوَحْيِ الْمَوْثُوقِ بِهِ ، وَالْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى الصِّدْقِ ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاهِبُ . فَتَقِيلُ : هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَا دَانِعٌ ^(٣) لَهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ الْمَذَاهِبُ نَتَائِجَ

(١) فِي (ب) « شَاع » ؛ وَالْعَنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٢) فِي (أ) وَلَا سِيَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٣) فِي (أ) « وَلَا رَاجِح » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الآراء ، والآراء نمرات العقول ، والعقول منافع الله للعباد ، وهذه النتائج مُخْتَلَفَةٌ بالصفاء والكدر ، وبالكمال والنقص ، وبالقلة والكثرة ، وبالخفاء والوضوح ؛ وَجَبَ أَنْ يَجْرِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى مَنَاحِجِ الْأَذْيَانِ فِي الْأَخْتِلَافِ وَالْأَفْتِرَاقِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ مَنُوطَةً بِالنَّبْوَةِ ؛ وَبَعْدَ ، فَمَا دَامَ النَّاسُ عَلَى فِطْرَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَعَادَاتٍ حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ ، وَمَنَاشِئَ مَحْمُودَةٍ وَمَذْمُومَةٍ ، وَمُلَاحَظَاتٍ قَرِيبَةٍ وَبَعِيدَةٍ ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْأَخْتِلَافِ فِي كُلِّ مَا يُخْتَارُ وَيُجْتَنَبُ ، وَلَا يَحُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَقَعَ الْأَتْفَاقُ فِيمَا جَرَى تَجَرَّى لِلذَّاهِبِ وَالْأَذْيَانِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَتْفَاقَ لَمْ يَحْصُلْ فِي تَفْضِيلِ أُمَّةٍ عَلَى أُتَمَةٍ ، وَلَا فِي تَفْضِيلِ بَلَدٍ عَلَى بَلَدٍ ، وَلَا فِي تَقْدِيمِ رَجُلٍ عَلَى رَجُلٍ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا التَّمَعُّبُ وَاللَّجَاجُ وَالْهَوَى وَالْحَكُّ وَالذَّهَابُ مَعَ السَّابِقِ إِلَى النَّفْسِ ، وَالْمُوَافِقُ [لِلزَّجَاجِ] ، وَالْخَفِيفُ عَلَى الْعُطْبَاعِ ، وَالْمَالِكُ لِلْقَلْبِ ، لَكَانَ كَافِيًا بِالْإِنْسَانِ كُلِّ مَبْلَغٍ .

وشيخنا أبو سليمان يقول كثيراً : إِنَّ الدِّينَ مَوْضُوعٌ عَلَى الْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالْمُبَالَاةِ فِي التَّعْظِيمِ ^(١) ، وَلَيْسَ فِيهِ « لِمَ » وَ « لَا » وَ « كَيْفَ » إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُؤَكِّدُ أَصْلَهُ وَيَشْدُدُّ أَرْزَهُ ، وَيَنْفِي عَارِضَ الشَّوْءِ عَنْهُ ، لِأَنَّ مَا زَادَ عَلَى هَذَا يُوهِنُ [الْأَصْلَ] بِالشَّكِّ ، وَيَقْدَحُ فِي الْفَرْعِ بِالتَّهْمَةِ .

قال : وَهَذَا لَا يَخْصُ دِينًا دُونَ دِينٍ ، وَلَا مَقَالَةً دُونَ مَقَالَةٍ ، وَلَا نِحْلَةً دُونَ نِحْلَةٍ ، بَلْ هُوَ سَارٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي كُلِّ حَالٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَكُلِّ مَنْ حَاوَلَ رَفَعَ هَذَا فَقَدْ حَاوَلَ رَفَعَ الْفِطْرَةَ وَنَفَى الْعُطْبَاعَ وَقَلَبَ الْأَصْلَ ، وَعَكَسَ الْأَمْرَ ؛ وَهَذَا غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ وَلَا مُمَكِّنٍ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ » .

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَالتَّعْظِيمِ » بِالْوَاوِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَاهُ كَمَا يَتَضَيِّعُ السِّيَاقُ .

وقال لنا القاضي أبو حامد المرؤوثي : أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين في أن أصحح عندهم أن بغداد أطيبت من البصرة ، وأنا اليوم في كلابي معهم كما كنت في أول كلابي لهم ، وكذلك حالهم معي ، فهذا هذا . أنظر إلى فضل ومرعوش — وهما من سقط الناس وسفلتهم — كيف لهيج الناس بهما وبالتمصّب لهما حتى صار جميع من ببغداد إما مرهوشياً وإما فضلياً .

ولقد أجتاز ابن معروف وهو على قضاء القضاة بباب الطاق فتعلّق بعض هؤلاء المجان بلجام بقلبه ، وقال : أيها القاضي ، عرفنا ، أنت مرهوشي أم فضلي ، فتحيّر وعرف ما تحت هذه الكلمة من السفه والفتنة ، وأن التخالص بالجواب الرقيق أجدي عليه من العنف والخرق وإظهار السطوة ؛ فالتفت إلى الحرّاني — وكان معه وهو من الشهود — فقال : يا أبا القاسم ، نحن في محلة من ؟ قال : في محلة مرعوش ؛ فقال ابن معروف : كذلك نحن — عافاك الله — من أصحاب محلتنا لا نختار على اختيارهم ؛ ولا نتميز فيهم . فقال العيار : امش أيها القاضي في ستر الله ؛ مثلك من تعصّب للحيران .

فقال الوزير — أحسن الله توفيقه — هذا كله تعصّب وهوى وتماحك^(١) . وتكلّف . قيل : هذا وإن كان هكذا فهو داخل فيما عداه من حديث الدين والمذهب والصناعة والبلد .

قال أبو سليمان : واصلحة عامة نُهي عن المراء والجدل [في الدين] على عادة المتكلمين ، الذين يزعمون أنهم ينصرون الدين^(٢) ، وهم في غاية العداوة

(١) في (١) « وتماسك » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « الجدل » مكان « الدين » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

للإسلام والمسلمين ، وأبعد الناس من الطمأنينة واليقين .
ثم حدث فقال :

اجتمع رجلان : أحدهما يقول بقول هشام ، والآخر يقول بقول الجواليقي ؛ فقال صاحب الجواليقي لصاحب هشام : صِف لي ربك الذي تغبده ، فوصفه بأنه لا يد له ولا جارحة ولا آلة ولا لسان ، فقال الجواليقي : أيسرك أن يكون لك ولدت بهذا الوصف ا قال : لا ، قال : أما تستحي أن تصف ربك بصفة لا ترضاها لو ولدك ا فقال صاحب هشام : إنك قد سمعت ما نقول ، صِف لي أنت ربك ؛ فقال : إنه جعد قَطَط في أتم القامات وأحسن الصور والقوام . فقال صاحب هشام ^(١) : أيسرك أن تكون لك جارحة بهذه الصفة تطوها ؟ ا قال : نعم ، قال : أفا تستحي من عبادة من تحب مباذعة مثله ا ا وذلك لأن من أحب مباذعة فقد أوقع الشهوة عليه .

فقال : هذا من شؤم الكلام ونكد الجدل ، فلو كان هناك دين لكان لا يدور هذا في وهم ^(٢) ولا ينطق به لسان .

وحكى أيضاً قال : أبتلي غلام أعجمي بوجع شديد ، فجعل يتأوه ويتلوى ويصيح . فقال له أبوه : يا بُني أصبر وأحمد الله تعالى . فقال : ولماذا أحمده ا قال لأنه أبتلاك بهذا ؛ فأشد وجع الغلام ورفق صوته بالتأوه أشد مما كان ، فقال له أبوه : ولم أشد جزعك ا فقال : كنت أظن أن غير الله أبتلاني بهذا فكنت أرجوه أن يعافيني من هذا البلاء ويعصرفه عني ، فأما إذ كان هو

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة « الجواليقي » مكان « هشام » ، وهو خطأ . من الناسخ ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا . وعبارة (ب) « فقال له » ثم ذكر كلامه .
(٢) في (ب) « في خاطر » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

الَّذِي أُبْتَلَانِي بِهِ فَنِ أَرْجُو أَنْ يُعَافِيَنِي ! فَالآنَ أَشْهَدُ جَزَعِي ، وَعَظَمَتُ مُصِيبَتِي . قَالَ : وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي أُبْتَلَاهُ هُوَ الَّذِي أَسْتَصَلَحَتْهُ بِالْبَلَاءِ لَيَكُونُ إِذَا وَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ شَاكِرًا لَهُ عَلَيْهَا بِحَسْبِ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ نَامٍ لَكَانَ لَا يَرَى مَا قَالَهُ وَتَوَهَّمَهُ لَا زِمًا .

وَحَكَمِي أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا مِنَ التَّعَجُّمِ حَتَّى وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكُفَّةِ فَطَفِقَ يَدْعُو وَيَقُولُ : يَا مَنْ خَلَقَ السَّبَّاعَ الضَّارِيَةَ ، وَالْهُوَامَّ الْعَادِيَةَ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَضَرَبَهُمُ بِالزَّمَانَةِ وَالنَّعْيِ وَالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ ؛ فَوَتَّبِ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَبَّوْهُ وَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى . فَأَظْهَرَ لَمْ النَّدَامَةَ ، وَالتَّعَارُفَ ^(١) فَخَلَّوْا عَنْهُ بَعْدَ مَا أَرَادُوا الْوَقِيعَةَ بِهِ ، فَزَجَعَ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكُفَّةِ ، وَجَعَلَ يُنَادِي : يَا مَنْ لَمْ يَخْلُقِ السَّبَّاعَ الضَّارِيَةَ ، وَلَا الْهُوَامَّ ، وَلَا سَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَلَمْ يَضْرِبْ النَّاسَ بِالْأَوْجَاعِ وَالْأَسْغَامِ . فَوَتَّبُوا [عَلَيْهِ] أَيْضًا وَقَالُوا لَهُ : لَا تَقُلْ هَذَا فَإِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَقَالَ : مَا أَذْرِي كَيْفَ أَعْمَلُ ؟ إِنْ قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَتَنَبَّأْتُ عَلَى ؛ وَإِنْ قُلْتُ : [إِنَّ اللَّهَ] لَمْ يَخْلُقْهَا وَتَنَبَّأْتُ عَلَى . فَقَالُوا : هَذَا يَنْتَبِئُ أَنْ تَعْلَمَهُ بِقَلْبِكَ وَلَا تَدْعُ اللَّهَ بِهِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شَوْثِ الْكَلَامِ وَشُبْهِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا يَجُوزُ ^(٢) أَنْ يُعْتَقَدَ شَيْءٌ بِالتَّقْلِيدِ ، وَلَا بَدٌّ مِنْ دَلِيلٍ ، ثُمَّ يَدُلُّونَ وَيَخْتَلِفُونَ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَدِلَّةَ مُتَكَافِئَةٌ .

وَكَانَ ابْنُ الْبَقَالِ يَجْهَرُ بِهَذَا الْقَوْلِ ، فَقُلْتُ لَهُ مَرَّةً : لِمَ مِلْتَ إِلَى هَذَا التَّذَهُّبِ ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْأَدِلَّةَ مُتَدَافِقَةً فِي أَنْفُسِهَا ، وَرَأَيْتُ أَصْحَابَهَا

(١) عبارة (١) « وفارق مجلوا عنه » ؛ وهو تحريف . والتعارف : التقارب والمداينة .

(٢) كذا في (١) والذي في (ب) « لا يجب » . ولعلها معرفة عن « لا يجب »

بالبناء للمجهول .

يُرْخِرُ فَوْنَهَا وَيُمَوِّهُونَهَا لِيُتَقَبَلَ مِنْهُمْ ، وَكَانُوا كَأَصْحَابِ الزُّيُوفِ الَّذِينَ يَغُشُّونَ
 الثَّقَدَ لِيَنْفَقَ عِنْدَهُمْ ، وَتَدُورُ الْمُخَالَطَةُ^(١) بَيْنَهُمْ . فَقُلْتُ لَهُ : أَمَّا تَعْرِفُ بِأَنَّ الْحَقَّ
 حَقٌّ وَالْبَاطِلَ بَاطِلٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ لَا يَتَّبِعِينَ^(٢) أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخِرِ . قُلْتُ :
 أَفَلَا تَهْ لَا يَتَّبِعِينَ لَكَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَقَّ بَاطِلٌ وَأَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ ؟
 قَالَ : لَا أَجِبُ . إِلَى حَقٍّ أَغْرِفُهُ بِعَيْنِهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَلَا أَجِبُ . أَيْضًا إِلَى
 بَاطِلٍ أَغْرِفُهُ بِعَيْنِهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَلَكِنْ لَمَّا أَلْتَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ
 بِالْحَقِّ قُلْتُ : إِنَّ الْأَدِلَّةَ عَلَيْهِمَا وَلَهُمَا مَتَكَافِئَةٌ ، وَإِنَّمَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى حِذْقِ الْحَازِقِ
 فِي نُصْرَتِهِ ، وَضَعْفِ الضَّعِيفِ فِي الذَّبِّ عَنْهُ . قُلْتُ فَكَأَنَّا كَدَرَجَعْتَ عَنْ
 اعْتِرَافِكَ بِالْحَقِّ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَبِالْبَاطِلِ أَنَّهُ بَاطِلٌ . قَالَ : مَا رَجَعْتُ . قُلْتُ
 فَكَأَنَّا تَدْعِي الْحَقَّ حَقًّا جُمْلَةً وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا جُمْلَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تُتَمَيَّزَ بِالتَّفْصِيلِ .
 قَالَ : كَذَا هُوَ . قُلْتُ : فَمَا تَقُولُ^(٣) بِالْأَعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَأَنَّهُ مُتَمَيَّزٌ عَنِ الْبَاطِلِ
 فِي الْأَصْلِ ، وَأَنْتَ لَا تُتَمَيَّزُ بَيْنَهُمَا فِي التَّفْصِيلِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا تَقْنِي
 مِنْهُ . قُلْتُ فَلِمَ لَا تَقُولُ : الرَّأْيُ أَنَّ أَقْفَ فَلَا أَحْكَمَ عَلَى الْأَدِلَّةِ بِالتَّكَافُؤِ ، لِأَنَّ
 الْبَاطِلَ لَا يُقَاوِمُ الْحَقَّ ، وَالْحَقَّ لَا يَتَشَبَّهُ بِالْبَاطِلِ ، إِلَى أَنْ يَفْتَتَحَ اللَّهُ بَصَرِي
 فَأَرَى الْحَقَّ حَقًّا فِي التَّفْصِيلِ ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا عَلَى التَّحْصِيلِ ، كَمَا رَأَيْتُهُمَا فِي الْجُمْلَةِ ،
 وَأَنَّ الَّذِي فَتَحَ بَصَرِي عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي غَضَّ بَصَرِي عَنْهُ فِي
 الثَّانِي ؟ قَالَ : يَنْتَبِهُنَّ أَنْ أَنْظُرَ فِيمَا قُلْتُ . فَقُلْتُ : أَنْظُرْ إِنْ كَانَ لَكَ نَظَرٌ ،
 وَلَا تَتَكَلَّفُ النَّظَرَ مَا دَامَ بِكَ عَمَى أَوْ عَشَا أَوْ رَمَدَ .

(١) كَذْ فِي (١) وَالَّذِي فِي (ب) « الْعَامِلَةُ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « يَبِينُ » بِسِقُوطِ « لَا » ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَقْبَتَنَا كَمَا يُوْخَذُ مِمَّا يَأْتِي بَعْدَ .

(٣) فِي (١) « تَقُولُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وحكى لنا أبو سليمان قال : وصَفَ لنا بعضُ النَّصارَى الجَنَّةَ فقال : ليس فيها أَكْلٌ ولا شُرْبٌ ولا نِكَاحٌ . فَسَمِعَ ذَلِكَ بعضُ المتكلمين فقال : ما تصف إلاَّ الحُزْنَ والأسَفَ والبلاءَ .

وقال أبو عيسى الوراق — وكان من حُذَّاق المتكلمين — إنَّ الأمر بما يَعْلَمُ أَنَّ الأمور لا يَفْتَلُهُ سَفِيهٌ ، وقد عَلَّمَ اللهُ مِنَ الكُفَّارِ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ، فليسَ لأمرهم بالإيمانِ وَجْهٌ في الحِكْمَةِ .

قال أبو سليمان : أنظر كيف ذهب عليه السُّرُّ في هذه الحال ، مِن ابْنِ أَتَوَا ، وكيف لَزِمَتْهُمُ الحُجَّةُ .

وقال أبو عيسى أيضاً : المَعاقِبُ الَّذِي لا يَسْتَصْلِحُ بِمُقُوبَتِهِ من عاقِبِهِ ، ولا يَسْتَصْلِحُ بِهِ غَيْرُهُ ، ولا يَشُقُّ غِيْظَهُ بِمُقُوبَتِهِ جَائِرٌ ، لأنَّهُ قد وَضَعَ الْمُقُوبَةَ في غير مَوْضِعِهَا . قال : لأنَّ اللهَ تَعَالَى لا يَسْتَصْلِحُ أَهْلَ النَّارِ ولا غَيْرَهُمْ ، ولا يَشُقُّ غِيْظَهُ بِمُقُوبَتِهِمْ ، فليسَ لِلْمُقُوبَةِ وَجْهٌ في الحِكْمَةِ . هذا غَرَضُ كِتَابِهِ الَّذِي نَسَبَهُ إلى الغَرِيبِ المُشْرِقِ .

وقال أبو سعيد الخُضْرَمِيُّ — وكان من حُذَّاقِ الْمُتَكَلِّمِينَ ببغداد ، وهو الَّذِي تَظَاهَرَ بالقول بِشُكَاكُوفِ الأدلَّةِ — إنَّ كانَ اللهُ عَدْلًا كَرِيمًا جَوَادًا عَلِيمًا رَهِيقًا رَحِيمًا فَإِنَّهُ سَيُصَيِّرُ جَمِيعَ خَلْقِهِ إلى جَنَّتِهِ ، وذلك أَنَّهُمْ جَمِيعًا على أَخْتِلَافِهِمْ يَجْتَهِدُونَ في طَلَبِ مَرْضَاتِهِ ، فَيَهْرُبُونَ مِنْ وَقَعِ سُخْطِهِ بِقَدْرِ عِلْمِهِمْ وَمَتَلَبِّ عَقُولِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَرَكَوا أَتِّبَاعَ أَمْرِهِ لأنَّهُمْ خُدِعُوا ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْبَاطِلُ بِأَسْمِ الْحَقِّ ؛ وَمَثَلُهُمْ في ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ حَمَلَ هَدِيَّةً إلى مَلِكٍ ، فَمَرَّضَ لَهُ في الطَّرِيقِ قَوْمًا شَانَهُمُ الْخِدَاعُ وَالْمَكْرُ وَالْأَسْتِلَالُ^(١) ، فَنَصَبُوا لَهُ رَجُلًا ، وَسَمَوْهُ بِاسْمِ الْمَلِكِ

(١) في (٢) «والاستلال» وفي (ب) «والاسترسال»؛ وهو تحريف في كلتا النسختين.

الذى كان قصده ، فسلم الهدية إليهم ؛ فالملك الذى قصده إن كان كريماً فإنه يقدِّره ويزيِّده ويزيده في كرامته ويرمه حين يقف على قصته ، وهذا أولى به من أن يفضب عليه ويعاقبه .

وقال أبو سليمان : ذكروا أن رجلاً رأى قوماً يتناظرون ، فجلس إليهم فرآهم محتفين ، فأقبل على رجل منهم فقال : أتلزمي أن أقول بقولك وأنا لا أعلم أبك محق ؟ فإن قلت : نعم ، قلت لك : إن بعض جلسائك يدعوني إلى مخالفتك وأتباعه ، وليس عندي علم بالمحق منكم ؛ وإن ألزمتني أن أتبع كلكم فهذا محال ، وإن قلت : لا يلزمك أن تتبعني ولا غيري إلا بعد العلم بالمحق منكم ، لم يخل العلم بذلك من أن يكون فعلى أو ففل غيري ، فإن كان العلم فعلاً لغيري قد صرت مضطراً ، ولا أستوجب عليه حمداً ولا ذمّاً [وإن كان الفعل لى] فمن أعظم جهالة ممن يفعل ما يلزمه الأمر والنهي به ، وإن قصر صيره ذلك إلى المطب والهلاك ، مع أن هذا القول يؤدى إلى أن أكون أنا المقترض على نفسى ، لأنه إنما يلزمي ذلك إذا علمت أنى أقدر أن أعلم وألا أعلم .

وحكى لنا أيضاً قال : سئل عندنا رجل من المتحيزين بسجستان فقيل له : [ما دليلك على صحة مقالتك ؟ فقال لا دليل ولا حجة . فقيل له] وما الذى أحوجك إلى هذا ؟ قال : لأننى رأيت الدليل لا يكون إلا من وجوه ثلاثة : إما من طريق النبوة والآيات ، فإن كان إنما يثبت من هذه الجهة فلم أشاهد شيئاً من ذلك ثبت عندى مقالته .

وإما أن يكون يثبت بالكلام والقياس فإن كان إنما يثبت بذلك فقد

رَأَيْتُنِي سَرَّةً أَخْصِمُ وَسَرَّةً أَخْصِمُ ، ورَأَيْتُنِي أَعْجِزُ عَنِ الْحُجَّةِ فَأَجِدُهَا عِنْدَ غَيْرِي ، وَأَتَقَبَّعُ إِلَيْهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَصِحُّ عِنْدِي مَا كَانَ بَاطِلًا ، وَيَفْسُدُ عِنْدِي مَا كَانَ صَحِيحًا ؛ فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَيَّ مَا وَصَفْتُ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَقْضِيَ لشيءٍ بِصَحَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ ، وَلَا أَقْضِيَ عَلَى شَيْءٍ بِفَسَادٍ لِعَدَمِ الْحُجَّةِ .

وإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ ثَبَتًا بِالْأَخْبَارِ عَنِ الْكُتُبِ فَلَمْ أَجِدْ أَهْلَ مِلَّةٍ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَى تَصْدِيقِ كُلِّهِمْ سَبِيلًا . وَكَانَ تَصْدِيقُ الْفِرْقَةِ الْوَاحِدَةِ دُونَ مَا سِوَاهَا جَوْرًا ، لِأَنَّ الْفِرْقَ مُمْتَسَاوِيَةً فِي الدَّعْوَى وَالْحُجَّةِ وَالذَّبِّ وَالنُّصْرَةِ . فَقِيلَ لَهُ : فَلِمَ تَدِينُ بِدِينِكَ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى شِعَارِهِ وَحَلِيَّتِهِ ، وَهَذِيهِ وَهَيْئَتِهِ ؟

قَالَ : لِأَنَّ لَهُ حَرَمَةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَلِدْتُ فِيهِ ، وَنَشَأْتُ عَلَيْهِ ، وَتَشَرَّبْتُ حَلَاوَتَهُ ، وَأَلِفْتُ عَادَةَ أَهْلِهِ ، فَكَانَ مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ دَخَلَ خَانًا يَسْتَظِلُّ فِيهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَالسَّمَاءُ مُصْنَحِيَّةٌ ، فَأَدْخَلَهُ صَاحِبُ الْخَانِ بَيْتًا مِنَ الْبُيُوتِ مِنْ غَيْرِ تَخَبُّرٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِصَلَاحِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ فَطَرَتْ جَوْدًا ، وَوَكَّفَ الْبَيْتُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِي الْفُنْدُقِ فَرَأَاهَا أَيْضًا تَكِيفُ ، وَرَأَى فِي صَحْنِ الدَّارِ رَدْعَةً ، فَفَكَّرَ أَنْ يُقِيمَ مَكَانَهُ وَلَا يَنْتَقِلُ إِلَى بَيْتٍ [آخَر] وَبَرَجَ الرَّاحَةُ ، وَلَا يُلَطِّخُ رِجْلَيْهِ بِالرَّدْعَةِ وَالْوَحَلِ اللَّذَيْنِ فِي الصَّحْنِ ؛ وَمَالَ إِلَى الصَّبْرِ فِي بَيْتِهِ ، وَلِلْقَامِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا مَثَلِي ، وَلِدْتُ وَلَا عَقْلَ لِي ، ثُمَّ أَدْخَلَنِي أَبَوَايَ فِي هَذَا الدِّينِ مِنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ مِنِّي ، فَلَمَّا قَسَّيْتُ عَنْهُ رَأَيْتُ سَبِيلَهُ سَبِيلَ غَيْرِهِ ، وَرَأَيْتُنِي فِي صَبْرِي

عليه أعزّ مني في تزكّيه ، إذ كنتُ لا أدعُه وأمِيلُ إلى غيره إلا باختيار مني
لذلك ، وأثره له عليه ؛ ولستُ أجِدُ له حُجَّةَ إلاّ وأجِدُ لغيره عليه مثلها .

وحَكّى لنا ابنُ البَقَالِ — وكان من ذُهاةِ الناسِ — قال : قال ابن
المسيّم : جُمِعَ بيني وبينَ عُثْمَانَ بْنِ خَالِدٍ ، فقال لي : أَحِبُّ أَنْ أُنَاطِرَكَ
في الإمامة ؛ قلتُ : إنَّكَ لا تُنَاطِرُنِي ، وإنَّما تُشِيرُ عَلَيَّ ؛ فقال : ما أَقْبَلُ
ذلك ، ولا هذا مَوْضِعُ مَشُورَةٍ ، وإنما اجْتَمَعْنَا لِلْمُنَاطَرَةِ ؛ قلتُ له : فإنَّنا
قد أَجْمَعْنَا على أَنْ أُوَلِّيَ الناسَ بالإمامة أَفْضَلَهُمْ ، وقد سَبَقْنَا القَوْمَ الذين يَتَنَازَعُ في
فَضْلِهِمْ ، وإنما يُعَرَّفُ فَضْلُهُم بِالنَّقْلِ والخبر ؛ فَإِنْ أَخْبَيْتَ سَلَّتُ لَكَ ما تَرْوِيهِ
أَنْتَ وأَهْلُ مَذْهَبِكَ في صاحِبِكَ ، وتَسَلَّمُ لي ما أَرْوِيهِ أنا وفِرْعَتِي في صاحِبِي ،
ثم أَنَاظِرُكَ في أَيِّ الفَضائلِ أَغْلَى وأشَرَفَ ؛ قال : لا أريدُ هذا ، وذلكَ أَنِي
أَرْوِي مع أصحابِي أَنَّ صاحِبِي رَجُلٌ مِنَ المسلمين يُصِيبُ وَيُخْطِئُ ، وَيَعْلَمُ
وَيَجْهَلُ ؛ وَأَنْتَ تقول في صاحِبِكَ : إِنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الخَطَأِ ، عَالِمٌ بما يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ . فكيفَ أَرْضَى هذه الجُمْلَةَ ؟ قلتُ : فَأَقْبَلُ كُلَّ شَيْءٍ تَرْوِيهِ أَنْتَ
وأَصْحَابُكَ في صاحِبِي مِنْ خَدِّ أَوْ ذِمٍّ ، وَتَقْبَلُ أَنْتَ كُلَّ شَيْءٍ أَرْوِيهِ أنا
وأَصْحَابِي في صاحِبِكَ مِنْ خَدِّ أَوْ ذِمٍّ ؛ قال : هذا أَقْبَحُ مِنَ الأوَّلِ ، وذلكَ
أَنِي وأَصْحَابِي نَرْوِي أَنَّ صاحِبِكَ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ فاضِلٌ ، وَأَنْتَ وأَصْحَابُكَ تَرْوُونِ
أَنَّ صاحِبِي كَافِرٌ مُنَافِقٌ ؛ فكيفَ أَقْبَلُ هذا مِنْكَ وَأَنَاظِرُكَ عليه ؟

قال ابنُ الميّم : فلم يَبْقَ إلاّ أَنْ أَقول : دَعِ قَوْلَكَ وقولَ أَصْحَابِكَ ،
وَأَقْبَلْ قَوْلِي وقولَ أَصْحَابِي ؛ قال : ما هو إلاّ ذاك ؛ قلتُ : هذه مَشُورَةٌ ، وَلَيْسَتْ
مُنَاطَرَةً . قال : صَدَقْتَ .

وَحَكَى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ : أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : [وَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟ قَالَ :] نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْأَمَانُ الَّذِي نَهَانَا عَنْ عِبَادَتِهِمَا مَقْضٍ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعِهِ ، قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْوَاحِدُ الَّذِي أَمَرْنَا بِعِبَادَتِهِ مَقْضٍ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعٍ وَاحِدَةٍ ؛ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَقَدْ نَهَانَا عَمَّا يُعْقَلُ وَأَمَرْنَا بِمَا لَا يُعْقَلُ ، وَهَذَا يُعْلَمُ مَا فِيهِ فَانْظُرْ حَسَنًا .

وَحَكَى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَخْشَادِ قَالَ : تَنَازَلَ رَجُلَانِ فِي وَصْفِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْجِدَالُ ، فَتَرَاضِيَا بِأَوَّلِ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِمَا وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا ، فَطَلَعَ أَعْرَابِيٌّ ، فَأَجْلَسَاهُ وَقَصَا قِصَّتَهُمَا ، وَوَصَفَا لَهُ مَذْهَبَيْهِمَا ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لِأَحَدِهِمَا — وَكَانَ مُشَبِّهًا — : أَمَّا أَنْتَ فَتَصِفُ صَمًا ، وَقَالَ الثَّانِي : وَأَمَّا أَنْتَ فَتَصِفُ عَدَمًا ، وَكِلَاكُمَا تَقُولَانِ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ تَعْلَمَا .

وَقَالَ لَنَا الْأَنْصَارِيُّ أَبُو كَعْبٍ : قَالَ ابْنُ الطَّلْحَانِ الضَّرِيرُ الْبَصْرِيُّ — وَكَانَ يَقُولُ بِقَوْلِ جَهْمٍ — : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَاتٍ ، فَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا قَصَرُوا فِيهِ مِنْ تَنَاوُلِ اللَّذَاتِ ، وَقَضَاءِ الْأَوْطَارِ بِالشَّهَوَاتِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ الْعِقَابَ ، فَنَالُوا الثَّوَابَ ؛ وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ الثَّلَاجِ قَالَ ، قَالَ أَبُو عُمَانَ الْأَدِمِيُّ : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا سَائِرَ فِيهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ سَائِرٍ مَانِعٌ ، وَكُلُّ مَانِعٍ آفَةٌ ، وَلَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ آفَةٌ ، وَلِهَذَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْحُورَ يُرَى مُخَّ سَاقِيهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً

سَوَى مَا تَحْتَ ذَلِكَ مِنَ اللَّحْمِ وَالْمَعْظَمِ ، كَالسَّلَكِ فِي الْيَاقُوتِ ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :
الْجَنَّةُ إِذَا أُولَى مِنَ الْحَمَامِ ، إِذْ قِيلَ : بئسَ الْبَيْتُ الْحَمَامِ ، يُذْهِبُ الْحَيَاءَ ،
وَيُبْدِي الْعَوْرَةَ .

وَحَسَكِي لَنَا ابْنُ رَبَاطٍ السَّكُوفِيُّ — وَكَانَ رَئِيسَ الشَّيْعَةِ بَيْقَدَادَ ، وَلَمْ أَرِ
أَنْطَقَ مِنْهُ — قَالَ : قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
مِنْ أَيْنَ جَاءَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ ؟ فَقَالَ : النَّاسُ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ مُنَافِقٌ
كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ
مَا صُدِّقَ ^(١) وَلَا أُخِذَ عَنْهُ . وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
قَوْلًا أَوْ رَأَى يَفْعَلُ فَعَلًا ثُمَّ غَابَ وَنُسِخَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ نُسِخَ
مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ نُسِخَ مَا قَبِلُوا مِنْهُ وَلَا أَخَذُوا
عَنْهُ وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَوْلًا فَوَهِمَ فِيهِ ،
فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ وَهِمٌ مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ . وَرَجُلٌ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَهْمِ ، وَنَهَيْدٌ
وَلَمْ يَغِيبْ .

قَالَ : وَإِنَّمَا دَلَّ بِهَذَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : كَفْتُ إِذَا سُئِلْتُ أَجَبْتُ ،
وَإِذَا سَكَتُ أَبْتَدَيْتُ .

وَحَسَكِي لَنَا ابْنُ زُرْعَةَ النَّصْرَانِيُّ قَالَ : قِيلَ لِلْمَسِيحِ : مَا بَالُ الرَّجُلَيْنِ
يَسْمَعَانِ الْحَقَّ فَيَقْبَلُهُ أَحَدُهُمَا وَلَا يَقْبَلُهُ الْآخَرُ ؟ فَقَالَ : مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّاعِي
الَّذِي يَصُوتُ بَغْنَمِهِ فَتَأْتِيهِ هَذِهِ الشَّاةُ بِنِدَائِهِ ، وَلَا تَأْتِيهِ هَذِهِ .

قَالَ أَبُو سَلْيَانَ : هَذَا جَوَابٌ مُبْتَوَّرٌ ، وَلَيْسَ لَهُ سَنَنٌ ، وَلَعَلَّ التَّرْجُمَةَ تَد

(١) كَذَا فِي (ب) . وَالْقَى فِي (١) : « مَا حَدَّثَ » .

حافت عليه ، والمعنى أَنحرف عن الغاية ؛ وليس يَجُوزُ أن يكون حال الإنسان كيف كان ، حال الشاةِ في إجابةِ الداعي وإبائها^(١) ، فإن له دَواعِيَ ومَوَانِعَ عقليةً [وحسيةً] .

فقال الوزير : هذا أيضاً بابٌ قد مضى مُستوفى ، ما الذى سمعتَ اليوم ؟ فقلتُ : رأيتُ ابنَ برمويه فى دَعْوَةٍ ، وترأى الحديث فقال : رأيتُ اليومَ الوزيرَ شديدَ العُبوس ، أهو هكذا أبداً ، أم عَرَضَ له هذا عَلَى بَيْتِي ؟ فقال ابْنُ جَبَلَةَ : لعله كان ذاك لسبب ، وإلاّ فالْبِشْرُ غَالِبٌ عَلَى وَجْهِهِ ، والبَشَاشَةُ مألوفةٌ منه . فقال ابنُ برمويه : ما أَحْسَنَ ما قال الشاعر :

أخو البِشْرِ محمودٌ عَلَى حُسْنِ بَشْرِهِ ولن يَقدَّمَ البَغْضَاءُ مَنْ كان عَاسِيا
فقال علىُّ بنُ محمد — رسولُ سِجِسْتَان — : ما أَدْرِى ما أُنَمُّا فيه ، ولكن يقال : ما أَرْضَى النَضْبَان ، ولا أَسْتَمَطَفَ السُّلْطَان ، ولا مَلَكَ الإِخْوَان ؛ ولا اسْتَلَّتِ الشَّخْصَاءُ ، ولا رُفِفتِ البَغْضَاءُ ؛ ولا تُوقَى الحُذُور ، ولا اجْتَلِبَ السُّرُور ؛ بمثلِ البِشْرِ والبَرِّ ، والهِدْيَةِ والعَطِيَّةِ .

وقال الوزير : هاتِ مُلَحَّةَ المجلس^(٢) .

فكان الجواب : قال أبو هَمَّام ذاتَ يوم : لو كان النخلُ لا يَحْمِلُ بعضُهُ إلاّ الرُّطْبَ ، وبعضُهُ [إلاّ] البُشْرَ ، وبعضُهُ إلاّ الخِلَالَ^(٣) ، وكنا متى

(١) كذا فى (١) . والذى فى (ب) : « وإتيانه » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « الدواعى » مكان قوله : « المجلس » .

(٣) الخلال بفتح الحاء : البسر إذا اخضر واستدار .

تَفَاوَلْنَا مِنَ الشَّمْرَانِ بُشْرَةَ خَلَقَ اللَّهُ مَكَانَهَا بُشْرَتَيْنِ ، مَا كَانَ بِذَلِكَ بَأْسٌ .
ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، لو كُنْتُ تَمَلَّيْتُ بَدَلَ نَوَافِ التَّمْرِ زُبْدَةً
كَانَ أَصَوَّبَ .

وسأل الوزيرُ : هل يقال في النساءِ رجُلَةٌ ؟ (٣)

فكان الجواب : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّيْرَافِيُّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ فِي عَائِشَةَ
بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] : « كَانَتْ رَجُلَةً الْعَرَبِ » ، وَإِنَّمَا
ضَاعَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ عَلَى سَرِّ الْأَيَّامِ بِقَلْبَةِ الْمُجْمَانِ ؛ فَقَالَ : إِنَّهَا وَاللَّهِ لَكَذَلِكَ ،
وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : كَانَ يُقَالُ : لو كَانَ لِأَبِيهَا ذَكَرٌ مِثْلُهَا لَمَا خَرَجَ
الْأَمْرُ مِنْهُ .

قال : هل تَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهَا شَيْئًا ؟ فَقُلْتُ : لَهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الشَّرِيعَةِ ،
وَالرَّوَايَةُ عَنْهَا شَائِعَةٌ فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَقَدْ نَطَقْتُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا بِمَا حُفِظَ وَأُذِيعَ ،
لَكِنِّي أَحْفَظُ لَهَا مَا قَالَتْهُ لَمَّا قُتِلَ عُمَانُ :

خَرَجْتُ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ ، وَهَلَيْتُ فِيهِمْ ، فَقَالَتْ : أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَانَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَتْ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ إِلَى تَسْدِيدِ الْحَقِّ وَتَأْكِيدِهِ
أَحْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى مَا نَهَضْتُمْ إِلَيْهِ ، مِنْ طَاعَةٍ مَنْ خَالَفَ عَابَهُ ؛ وَلَكِنْ كَلَّمَا
زَادَ كَمِ اللَّهِ حِجَّةَ فِي دِينِهِ ، أَزْدَدْتُمْ تَشَاؤُلًا عَنْ نُصْرَتِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاكُمْ ، أَمَّا وَاللَّهِ
لَهَدَمْتُ النِّعْمَةَ أَيْسَرُ مِنْ بُنْيَانِهَا ، وَمَا الزَّيَادَةُ إِلَيْكُمْ بِالشُّكْرِ ، بِأَسْرَعَ مِنْ
زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْكُمْ بِالكُفْرِ ؛ أَمَّا لئن كَانَ فَنِيَّ أَكَلَهُ ، وَاخْتَرِمَ أَجَلُهُ ، إِنَّهُ
لَيَصْهَرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَهَلَى آلُهُ وَسَلَمَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَا عَلَيْنَا [خَلْقًا] .
تَزَوَّجَ أَبْلَغَتْنِي نَبِيَّ غَيْرِهِ ؛ وَلَوْ غَيْرَ أَيْدِيكُمْ قَرَعَتْ صِفَاتَهُ لَوُجِدَ عِنْدَ تَلْغِي

الحربِ مَعَجَرْدًا^(١) ، وَلِسُيُوفِ النَّصْرِ مُتَقَلِّدًا ، وَلِسَكَّتِهَا فِتْنَةٌ قُدِحَتْ بِأَيْدِي
الظَّلَمَةِ ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ حَاطَ الْإِسْلَامَ وَأَكْغَدَهُ ، وَعَصَّدَ الدِّينَ وَأَيْدَهُ ؛ وَلَقَدْ
هَدَمَ اللَّهُ بِهِ صَيَاصِي أَهْلِ الشُّرْكِ ، وَوَقَّمَ^(٢) أَرْكَانَ الْكُفْرِ ؛ لِلَّهِ الْمُصِيبَةُ بِهِ ،
مَا أَفْجَمَهَا ، وَالْقَجِيمَةُ بِهِ مَا أَوْجَعَهَا ؛ صَدَّعَ وَاللَّهُ مَقْتَلُهُ صَفَاةَ الدِّينِ ، وَثَلَّثَتْ
مُصِيبَتُهُ ذِرْوَةَ الْإِسْلَامِ ، تَبًّا لِقَاتِلِهِ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْغَلْبِ بِدَمِهِ ،
وَالرَّضَا بِقَتْلِهِ .

قال الوزير : مَا أَفْصَحَ لِسَانَهَا ، وَأَشْجَعَ جَنَانَهَا ، فِي ذَلِكَ الْمُحْفِلِ الَّذِي
يَتَبَلَّلُ فِيهِ كُلُّ قُلُقُلٍ^(٣) !

وَرَوَيْتُ أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ : مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرٌ : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَصِدْقُ
الْبَأْسِ^(٤) ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ ، وَالتَّذَمُّمُ لِلجَّارِ ،
وَالْتَّذَمُّ لِلصَّاحِبِ ، وَالْمُكَافَأَةُ بِالصَّنَائِعِ ، وَقِرَى الضَّيْفِ ، وَرَأْيُهُنَّ الْحَيَاءُ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّهَا نَفَّاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا كَانَ أَشْبَهَهَا ،
وَأَعْلَى نَظَرَهَا ، وَأَبْيَنَ جَوَابَهَا ! !

(٤) وَحَدَّثَنِي أَنَّ أَسْرَاءَ تَظَلَّمَتْ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ بِخُرَاسَانَ ، فَزَبَرَهَا ،
وَلَمْ يَنْظُرْ فِي قِصَّتِهَا ؛ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَثَكَ إِلَى خُرَاسَانَ لِيَنْظُرَ
هَلْ تَلَبَّتْ خُرَاسَانَ بِلَا عَامِلٍ أَمْ لَا ؛ فَقَالَ لَهَا مُسْلِمٌ : اسْكُتِي وَيَلَيْكَ ، فَظَلَامَتُكَ
مَسْمُوعَةٌ ، وَحَاجَّتُكَ مَقْضِيَّةٌ .

(١) فِي (١) : « مَتَحَرِّكًا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) وَقَدْ أَرْكَانَ الْكُفْرِ : كَسَرَهَا وَأَذَلَّهَا .

(٣) الْقُلُقُلُ : السَّرِيعُ الْخَفِيفُ الْمَعْوَانُ .

(٤) فِي (١) : « النَّاسُ » بِالنُّونِ . وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) لَا تَقُطُّ فِيهَا .

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ الصَّوَابُ مَا أَمْتَنَّا .

وقال مسلم : ما وَخَزَ قَلْبِي قَطُّ شَيْءٌ مِثْلُ قَوْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَلَقَدْ آلَيْتُ
الْأَسْتَهِينَ بِأَحَدٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَى .

وشبهه بهذا قول الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ : رَأَيْتُ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ إِنْسَانًا
فَأَزْدَرَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَصْلُحُ أَنْتَ ؟ عَلَى غَيْظٍ مِنِّي وَتَغَضُّبٍ ؛ فَقَالَ :
أَنَا أَصْلُحُ لِأَنْ يُقَالَ لِي : هَلْ يَصْلُحُ مِثْلُكَ لِمَا أَنْتَ فِيهِ أَوْ لَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ
مَا وَقَرَّتْ كَلِمَتُهُ فِي أُذُنِي حَتَّى أَظْلَمَ عَلَى الْجَوِّ وَتَكَبَّرَتْ نَفْسِي .

وكان عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا كَانَ لَهُ خَصِيٌّ وَضِيٌّ أَمَرَ أَنْ يُحْجَبَ
عَنِ إِنْسَانِهِ ، وَقَالَ : هُوَ رَجُلٌ وَإِنْ قُطِعَ مِنْهُ مَا قُطِعَ ، وَرَبَّمَا أَجْتَزَأَتْ أَمْرًا
بِمِثْلِهَا ، وَلِلْمَعِينِ حَظُّهَا .

قال عبد الرحمن بن سعيد القرشي : كان لهشام بن عبد الملك خَصِيٌّ
يُقَالُ لَهُ خَالِدٌ ، وَكَانَ وَضِيثًا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، مَدِيدَ الْقَامَةِ ، خَمًّا أَبْيَضَ ، فَأَمَرَ
هشامُ مَسْلَمَةَ مَالَهُدُوَّ عَلَيْهِ ، فَنَدَا ، فَقِيلَ : اسْتَأْذِنْ لِأَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ،
فَأَسْتَحَفَّ وَقَالَ كَلِمَةً تَمِيمَهَا مَسْلَمَةُ ، فَحَقَّقَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ مَسْلَمَةُ إِلَى هشام
لَمْ يَزَلْ يُبْذِرُ كُرْهَ شَيْئًا ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ حَتَّى حُطَّ عَنْ فُرْشِهِ وَجَلَسَا عَلَى الْبِساطِ
وَمَسْلَمَةُ فِي ذَلِكَ يَرْمُقُ الْخَصِيَّ مَتَى يَمُرُّ بِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَّ مُغْمَمًا بِعِمَامَةٍ
وَشَيْءٍ ؛ فَقَالَ مَسْلَمَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيُّ فِتْيَانِنَا هَذَا ؟ قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ
يَا أَبَا سَعْدٍ ، هَذَا خَالِدُ الْخَصِيِّ ؛ قَالَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَصَمَّةٌ مِنْ هَذَا
خَيْرٌ مِنْ جُمَاعَةِ رَجُلٍ ، فَلَمَّا قَلِقَ هشامُ وَجَعَلَ يَقْضُوْرُ حَتَّى قَامَ مَسْلَمَةُ ، ثُمَّ أَمَرَ
بِالْخَادِمِ فَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ، فَاتَّصَلَ بِبَعْضِ بَنِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هشامُ ، لَمْ يَنْهَ
نَحْيَتَهُ لِمَا بَلَغَكَ ، لِحَفَاءِ ، فَلَحِقَ الْخَادِمُ بِالشَّغْرِ .

(٥) وَجَرَى حَدِيثُ النَّفْسِ وَأَنَّهَا كَيْفَ تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ ، فَقِيلَ : النَّفْسُ فِي الْأَصْلِ عَلَامَةٌ ، وَالْعِلْمُ صُورَتُهَا ؛ لَكِنَّهَا لَمَّا لَابَسَتْ الْبَدَنَ ، وَصَارَ الْبَدَنُ بِهَا إِنْسَانًا ، اعْتَرَضَتْ حُجُبٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صُورَتِهَا كَثِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ ، فَصَارَتْ تَخْرِقُ الْحُجُبَ بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعَتْ لِتَصِلَ إِلَى مَا لَهَا مِنْ غَيْبِهَا ، فَصَارَتْ تَعْلَمُ الْمَاضِيَ بِالْأَسْتِخْبَارِ وَالتَّمَرُّفِ وَالتَّبَحُّثِ وَالسَّنَلَةِ وَالتَّنْفِيرِ ، وَتَعْلَمُ الْآتِيَ بِالتَّقَاتِي وَالتَّوَكُّفِ وَالتَّبَشِيرِ وَالْإِنْذَارِ ، وَتَعْلَمُ الْحَاضِرَ بِالتَّعَارُفِ ^(١) وَالْمُشَاهَدَةِ وَبِحَالِ الْحِسِّ ؛ وَهَذِهِ لِلْمَعْلُومَاتِ كُلِّهَا زَمَانِيَّةٌ ، وَلِهَذَا انْقَسَمَ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْآتِي وَالْحَاضِرِ . فَأَمَّا مَا هُوَ فَوْقَ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا تَعْلَمُهُ بِالمَصَادَقَةِ الْخَارِجَةِ مِنَ الزَّمَانِ ، الْعَالِيَةِ حَتَّى حَضَرَ ^(٢) الدَّهْرَ ، وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَنْ وَجْدَانِهَا ، لِمَا لَهَا فِي غَيْبِهَا بِالْحَرَكَةِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، أَعْنَى الْحَرَكَةَ الَّتِي هِيَ فِي نَوْعِ الشُّكُونِ ، وَأَعْنَى بِهَذَا السُّكُونِ الَّذِي هُوَ فِي نَوْعِ الْحَرَكَةِ ؛ وَلَمَّا فَقِدَ الْأَسْمُ الْخَاصُّ بِهَذَا اللَّعْنِ ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِي الْإِنْخِبَارِ وَالْأَسْتِخْبَارِ إِلَّا مَا كَانَ مَأْلُوفًا بِالزَّمَانِ ، أَلْتَبَسَتْ الْعِبَارَةُ عَنْهُ بِاعْتِمَادِ الشُّكُونِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الْحَرَكَةُ ، وَاعْتِمَادِ الْحَرَكَةِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الشُّكُونِ ، فَصَارَ هَذَا الْجُزْءُ ^(٣) كَأَنَّهُ نَاقِضٌ وَمُنْقُوضٌ ، وَهَذَا لِيَجْذِبَ ^(٤) تَحِلَّ الْحِسِّ مِنْ نَبْذِ ^(٥) الْعَقْلِ ، وَخِصْبِ ^(٦) مَرَادِ الْعَقْلِ بِكُلِّ مَا عَلِقَ بِالْمَوْجُودِ أَلْحَقَ .

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَسْمُولِ وَلَا مَعْنَى لِلتَّعَارُفِ هُنَا .

(٢) فِي (ب) : « حَصَن » .

(٣) فِي (ب) : « الْخَبَر » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجُزْء » .

(٤) فِي (أ) : « الْجُزْء » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجَدْب » .

(٥) فِي (أ) : « نَبْذَ » . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ .

(٦) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « وَخَصَّتْ مَوَادَّ الْعَقْلِ » ؛ وَمَا أُثْبِتَ هُوَ

مَا يَحْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

قال الوزير : ما أعلَى نَجْدَ هذا الكلام ! وما أعمَقَ غَوْزَهُ ! وإني لأعْذِرُ كلَّ مَنْ قَابَلَ هذا المَسْمُوعَ بِالرَّدِّ ، وأَعْتَزُّ عَلَى قَائِلِهِ بِالْتَّكْبَرِ ؛ وَلَعَمْرِي إِذَا تَمَاطَيْتِ الْأَشْيَاءُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصَّنَافِتِ ، وَعَرَضَ الْعَجْزُ عَنْ إِبَائِهَا بِحَقَائِقِ الْأَلْقَابِ ، حَارَ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي ، وَخَيَّرَ الْفَهْمُ الْحَسِّيَّ ، وَأَسْبَحَ الْإِزْجَ الْبَشَرِيَّ وَتَهَافَّتَ التَّرَكِيبُ الطَّبِيعِيُّ ، وَقَدَّرَ النَّاضِرُ فِي هَذَا الْفَنِّ ، وَالْبَاحِثُ عَنْ هَذَا الْمُسْتَكْنِ ، أَنَّهُ حَالِمٌ ، وَأَنَّ الْحُلْمَ لَا ثَمَرَةَ لَهُ ، وَلَا جَدْوَى مِنْهُ .

وهذا كله هكذا ما دام مقيساً إلى الأمور القائمة^(١) بشهادة الإخساس ؛ فأما إذا صَفَا النَّاضِرُ ، أَعْيَى نَاضِرَ الْعَقْلِ مِنْ قَدَى الْحَسِّ ، فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ يَكُونُ حَاضِرًا أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرُهُ ظَاهِرًا مُسْتَبَاقًا ؛ وَلَيْسَتْ شَهَادَةُ الْعَبْدِ كَشَهَادَةِ الْمَوْلَى ، وَلَا نُورُ الشَّهَى كَنُورِ الْقَمَرِ .

قال : أَنَشِدْنِي أَيْيَاتًا غَرِيبَةً جَزَلَةً ، فَأَنْشَدْتُ [لَهْدِيَّةَ التَّذْرِ] :

سَاوَى إِلَى خَيْرٍ قَدْ فَاتَنِ الصَّبَا	وَصِيحَ بَرِيْعَانِ الشَّبَابِ فَنُفِرَا
أُمُورٌ وَالْوَانُ وَحَالٌ تَقَلَّبَتْ	بِنَا وَزَمَانٌ عُرْفُهُ قَدْ تَنَكَّرَا
أُصِيبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ سَلَى أَصَابَهُ	نَسَمَلُ مِنْ أَرْكَانِهِ مَا تَوَعَّرَا
وَأِنْ نَنُجِّ مِنْ أَهْوَالٍ مَا خَافَ قَوْمُنَا	عَلَيْنَا فَإِنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ يَسَّرَا
وَأِنْ غَالَيْنَا دَهْرٌ قَدْ غَالَ قَبْلُنَا	مُلُوكَ بَنِي نَضْرٍ وَكِسْرَى وَقَيْصَرَا
وَذِي تَنْزَبٍ ^(٢) قَدْ عَابَنِي لَيْنَالِي	فَاعْيَا مَدَاهُ عَنْ مَدَايِ فَأَنْصَرَا

(١) في نسخة : « النائية » مكان « القائمة » .

(٢) التريب : الحقد . والنزى في (١) : « تريب » . وفي (ب) : « سرب » ؛

وهو تحريف في كلتا النسختين .

فإن يك دهر نالني فأصـابني بريب فأتشوى^(١) الحوادث متعشرا
فلست إذا الضراء ثابت بجبأ^(٢) ولا جزع إن كان دهر تغيبرا
ف قيل : ما الجبأ ؟ فقال : الجبان .

قال أبو سعيد : حكي العلماء أن فلانا جبأ ، إذا تسكل .

فقال : ما أمتن هذا الكلام ، وألطف هذا الجدد وما أبعد من تليف
الضرورة ، وهجنة التكلف ، لولا أن سامعه ربما تطاير به ، وأنكسر عليه .

(٧) فكان الجواب : قد مر في القال والزجر والطيرة والأعتياف ما إذا
تحقق لم يقع على مثل هذا الأسنمار ؛ ولعمري إن المذكور والمنوع
إذا كان حسنا وجميلا ومحبوبا ومتمنى ، كان أخف على القلب ، وأخلط
بالنفس ، وأعذب بالروح ؛ وكذلك^(٣) إذا كان ذلك على الضد ، فإنه يكون
أزوى للوجه ، وأكرب للنفس ؛ ولكن الأمور في الخيرات والشؤون ليست
فاشية من الطيرة والعيافة ، ولا جارية على هذه الحدود المعروفة ، وهي على
مقاصدها التي هي غاياتها ، ومتوجهاً التي هي نهاياتها ؛ وإنما هذه الأخلاق
عارضة للنساء وأشباه النساء ، ومن بليته^(٤) ضعيفة ، ومادته من العقل
طفيفة ، وعادته الجارية سخيفة ؛ وإلا فبأي برهان صح أن الكلام الطيب
يجلب المحبوب ويكون علة له ؟ وأن اللفظ الخبيث يجلب الكروه ويكون

(١) تشوى : تخطئ .

(٢) في (١) : « عجا » . وفي (ب) : « عجا » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين
صواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) كان الأول أن يقول « ولا كذلك » أو « وليس كذلك » أو « وعكس ذلك »
فإن الآتي بعد ليس كالذي ذكره قبل .

(٤) كذا في (ب) . والذي في (١) : « نفسه » .

عِلَّةٌ لَهُ ١٩ هَذَا خَوَرٌ فِي طَبَاعِ قَائِلِهِ ، وَتَأْنِثٌ ^(١) فِي غُنْصُرٍ مُسْتَشْعِرِهِ ؛ وَلَوْ سَلَكَ الْعُلَمَاءُ وَالْبُصَرَاءُ هَذَا الطَّرِيقَ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى فُسَادٍ عَامٍ ؛ وَآثَرٌ ^(٢) مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنِ اعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَا يُعَوِّلُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ سَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ لَا يَحْطُ إِلَيْهِ ، بَلْ يَكُونُ تَوَكُّلُهُ كُلَّهُ عَلَى رَبِّهِ فِي مَسَرَّتِهِ وَمَسَاءَتِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ تَفَرُّدِهِ بِمَحْوَلِهِ وَقُوَّتِهِ ، فِي اخْتِيَارِهِ وَتَسْكُرَتِهِ ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْلِ رَصِينٍ ، وَهِمَةٍ ^(٣) صَاعِدَةٍ ، وَشَكِيمَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَلَيْسَ يَوْجَدُ هَذَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يُصَابُ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ : قَدْ أَخَذْتَ الْمَسْئَلَةَ بِحَقِّهَا ، وَلِلْمُسْتَزِيدِ مِنْهَا ظَالِمٌ ، وَالزَّائِدِ عَلَيْهَا مُتَكَلِّفٌ .

وَقَالَ أَيْضًا : أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ فَارِسٍ أَبِي الْفَتْحِ — فَقَدْ كُنْتُ عِنْدَهُ بِقَرْمِيسِينَ ^(٤) أَيَّامًا — وَمَا وَضَحَ لَكَ مِنْ تَقْدُّمِهِ وَتَأَخُّرِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَبِضَاعَتِهِ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنَّهُ شَيْخٌ فِيهِ مَحَاسِنٌ وَمَسَاوِيٌ ، إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ جَانَحًا لَمَّا يُدْزَمُ بِهِ لَا لِمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ خَيْرَةً بِالتَّصَرُّفِ ، وَهُنَاكَ ^(٥) أَيْضًا قِسْطٌ مِنَ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِ الْمُهَنْدِسَةِ ، وَتَشْبَهُ ^(٦) بِأَحْصَابِ الْبَلَاغَةِ ، وَمُذَاكَرَةُ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتَابِتٌ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَآكْثَرٌ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَنْقُضِيهِ السِّبَاقُ .

(٣) عِبَارَةٌ (١) : « وَهِمَةٌ مُتَبَاعِدَةٌ » مَكَانُ قَوْلِهِ : « وَهِمَةٌ صَاعِدَةٌ » ؟ وَمَعْنَاهَا

لَا يَنْاسِبُ سَبَاقَ السِّكَّامِ هُنَا .

(٤) قَرْمِيسِينَ بَلَدٌ قَرِبَ الدِّيَّوَرِ بَيْنَ هَمْدَانَ وَحُلَوَانَ .

(٥) فِي (١) : « وَهَذَا » مَكَانُ « وَهُنَاكَ » ؟ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (١) : « وَلِسْبَةٌ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فِي الْمَحَافِلِ صَالِحَةٍ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا كُلَّهُ مَرْدُودٌ بِالْعَوْنَةِ وَالسَّكَرِ^(١) وَالْإِيْهَامِ وَالْخِسَّةِ
وَالْكَذْبِ وَالغِيْبَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ قَرِيْنُهُ بِقَرْمِيْسِيْنَ يَظُنُّ بِهِ خَيْرًا ، وَيَلْحَظُهُ بَعِيْنٍ مَا ؛
فَلَمَّا سَبَرَهُ ذَمُّهُ وَكَرِهَ أَنْ يُعَاجِلَهُ بِالصَّرْفِ لَثَلَا يُحْكَمَ عَلَى اخْتِيَارِهِ بِالْخَطَا ،
وَعَلَى تَصَرُّفِهِ بِالْهَوَى . وَلِلْكَبْرَاءِ وَذَوِي الْقُدْرَةِ زَلَّاتٌ فَاحِشَةٌ ، وَقَمَلَاتٌ
مُوحِشَةٌ ، وَلَكِنْ ابْسِ لَمْ [عَلَيْهَا] مَعِيْرٌ لِلْخَوْفِ مِنْهُمْ ؛ فَلَمَّا تَمَادَى قَلِيْلًا
وَجَهَّ ابْنُ وَصِيْفٍ حَتَّى صَرَفَهُ^(٢) وَقَبِدَهُ [بَعْدَ مَا وَبَّخَهُ وَفَنَّدَهُ] وَهَاهُو ذَا الْإِنِّي
هَهُنَا لَا يُقْبَلُ بِقَبِيْضَةٍ^(٣) ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ بِلَحْظَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَظُنُّ أَنَّ قَقَرَ
الدَّوْلَةَ إِلَى نَظَرِهِ كَقَقَرَ لِلدَّنْفِ إِلَى عَافِيَتِهِ .

وله مع طاهر بن محمد بن إبراهيم شِرَارٌ^(٤) وَقَبِيْضَةٌ^(٥) ، وَتَنْذِيْدٌ وَشُنْعَةٌ .
وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَحْمَدَ أَمْسَرَ أَنَّ ابْنَ فَارِسٍ شَارَعَ فِي أُمُورِ خَيْبَةِ ، وَعَازَمَ
عَلَى أَشْيَاءَ قَبِيْضَةٍ ، وَمُضَرَّبٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ ضَمَّتْهُمْ الْأَلْفَةُ ، وَاسْتَحْكَمَتْ بَيْنَهُمْ
الثَّقَّةُ ، وَخَلَصُوا^(٦) حَقَقَةً لِلدَّوْلَةِ ، وَحَرَسًا لِلنَّعْمَةِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ
مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ ، وَمَا أَخُوْفَنِي عَلَى إِخْوَانِنَا الَّذِينَ بِهِمْ عَذَابٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَالْفَكْر » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالْقِي فِي (أ) : « ضَرْبَةٌ » .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « لَا يَلْبَسُ بِقَبِيْضَةٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ .

وَالْقَبِيْضَةُ : مَا أَخَذَ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، كَمَا سَبَقَ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ الْمُؤَلَّفِ لِهَذَا الْنَظَرِ قَلِيلًا مِنْ
بَعْضِ الْفُتُوْصِيْنَ فِي الْجُزْءِ السَّابِقِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَيُرِيدُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّهُ رَخِيصٌ .

(٤) شِرَارٌ ، أَيْ مَشَارَاةٌ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ . وَفِي نَسْخَةٍ : « سَرَارٌ » بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ .

(٥) مِنْ مَعَانِي الْقَبِيْضَةِ : الْمُدِيرُ ، وَصَوْتُ أُنْيَابِ الْفِعْلِ ، وَالْحَقُّ ؛ فَلَمَّا يُرِيدُ مَا نَفِيْدُهُ
هَذِهِ الْمَعْنَى مِنْ أَنَّ بَيْنَهُمَا مُنَاقِضَةٌ وَمُلَاحَاةٌ وَخُصُومَةٌ . وَفِي (أ) : « وَفَتْنَةٌ » مَكَانَ « وَقَبِيْضَةٌ » .
« وَتَبْدِيلٌ » مَكَانَ « وَتَنْذِيْدٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَا النُّسَخَتَيْنِ .

(٦) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَخَصْلُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ سِوَاهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَحْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

شُرْبُنَا ، وَأَمِنْ سِرْبُنَا ، كَفَانَا اللَّهُ فِيهِمْ وَكَفَانَا كُلَّ مَسْكُورِهِ .
 فقال : هو أَضْيَقُ مَبْعَرًا ، وَأَقَامَ مَنْظَرًا ، وَأَذَلَّ نَاصِرًا مِنْ ذَاكَ ؛ وَاللَّهُ لَوْ
 نَفَخْتُ عَلَيْهِ لَطَارَ ، وَلَوْ هَمَمْتُ بِهِ لَبَارَ .

وَأَمَّا مَا قُلْتُ لِي أَبَا الشَّيْخِ^(١) إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبَ رِسَالَتَكَ إِلَى الْوَزِيرِ ،
 حَتَّى أَقِفَ عَلَى مَقَاصِدِكَ فِيهَا ، وَأَسْتَقِينَ بَرَاعَتَكَ وَتَرْتِيبَكَ^(٢) بِهَا ؛ فَأَنَا أَقْلُ
 ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَاتِ ، وَلَمْ أَكُتُبْ فِي طَوِيلِ هَذِهِ اللَّدَّةِ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ
 الْعَجِيبَةِ إِلَّا رُقْعَتَيْنِ وَرِسَالَتَيْنِ ؛ فَأَمَّا الرُّقْعَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ حَدِيثَ
 الْخَادِمِ وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ شَافَهْتُكَ بِهِ ؛ وَأَمَّا الْأُخْرَى فَحَوَتْ حَدِيثَ
 ابْنِ طَاهِرٍ وَصَاحِبِ الرُّصَافَةِ ، وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنِّي .

رسالتان كتب بهما المؤلف إلى الوزير

أما الرسالة الأولى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اللَّهُمَّ حَلِّئِي بِالتَّوْفِيقِ ، وَأَيِّدْنِي بِالنُّصْرَةِ ، وَأَقْرِنِي
 مَنَاطِقِي بِالسَّدَادِ ، وَاجْعَلِي لِي مِنَ الْوَزِيرِ وَزِيرَ الْمَمَالِكِ عُقْبَى فَارِجَةً^(٣) مِنْ
 الْقَمَمِ ، وَخَاتَمَةً مُوصُولَةً بِالنَّجَاحِ ، فَإِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .
 كُنْتُ وَصَلْتُ إِلَى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ ، وَفُزْتُ بِالشَّرَفِ مِنْهُ ، وَخَدِمْتُ دَوْلَتَهُ ،
 وَعَلَاهُ مِنْ صَدْرِي بِخَيْبَتِهِ ، وَمِنْ فَوَادِي بِمَحِيضَتِهِ ، وَتَعَرَّفْتُ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) يريد بالشيخ أبا الوفاء المهندس .

(٢) في كلتا النسخين : « برأيك » مكان « براعتك » . وفي (١) : « وقرينتك »
 مكان « وترتيبك » .

(٣) في (١) : « نازحة » ؛ وهو تحريف .

يأذنه في شُجُونِهِ وفُتُونِهِ ، كلُّ ذلك آملاً في جَذْوَى آخِذُهَا ، وَخُطْوَةٍ أَخْطَى بها ، وَزُلْفَى أَمِيسُ معها ، وَمَثَالَةٍ أَحْسَدُ عليها ؛ فَتَقَبَّلَ ذلك كله ، وَوَعَدَ عليه خَيْرًا ولم يَزَلْ أَهْلَهُ ، وَانْقَابَتْ إلى أَهْلِ مَسْرُورًا بَوَجْهِ مُسْتَفِرٍّ ، وَنَحْيًا طَلْقٍ ، وَطَرَفٍ عَازِمٍ^(١) ، وَأَمَلِي قَدَسَدًا مَا بَيْنَ أَفْقِ الْعِرَاقِ إِلَى صَنْعَاءِ التَّيَمَنِ ، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ لِنَفْسٍ : هَذَا مَعَانُ الْوَزِيرِ وَمَعْمَرُهُ ، وَجَنَابُهُ وَمَحْضَرُهُ ، [فَانْشَرَحِي مُسْتَفْتِحَةً ، وَتَيَمَّنِي مَقْتَرِحَةً ، وَأَطْمَئِنِّي رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، لَا كِدْرَةَ الشَّرْبِ ، وَلَا مَذْمُورَةَ الشَّرْبِ] ، حَصَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْوَعْدِ وَالْعِمَانِ ، عَلَى بَعْضِ فَعَلَاتِ الزَّمَانِ ؛ وَلَا عَجَبُ فِي ذَلِكَ مِنْ الزَّمَانِ فَهُوَ بِمَثَلِهِ مَلَأَ ، وَلَهُ فَعُولٌ . وَبَقِيَتْ مَحْمُولًا بَيْنِي وَبَيْنَ إِذْكَارِهِ — قَرَنَ اللَّهُ سَاعَاتِهِ بِسَعَادَاتِهِ ، وَوَصَلَ عِزُّهُ^(٢) يَوْمَهُ بِسَعَادَةِ غَدِهِ ؛ وَغَدَهُ بِامْتِدَادِ يَدِهِ — حَيْرَانَ لَا أَرِيشَ وَلَا أُبْرَى ، ثُمَّ رَفَعْتُ نَاطِرِي ، وَسَدَّدْتُ خَاطِرِي ، وَفَضَّلْتُ الْحِسَابَ لِي وَطَلَى ؛ فَوَضَّحَ الْعِذْرُ الْمُبِينُ ، الْمَانِعُ مِنْ اسْتِزَادَةِ الْمُسْتِزِيدِينَ ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ أَعْبَاءَ الْوِزَارَةِ تَوَوَّدُ^(٣) سِرَّهُ ، وَتَتَعَبُّ^(٤) بَالَهُ ، وَالْمَلِكَةَ تَفْزَعُ وَلَهَى عَلَيْهِ ، وَتُلَاقِي بِجِرَانِهَا^(٥) لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالِدَوْلَةَ تَسْتَمِدُّهُ التَّجْدِيرَ الثَّاقِبَ ، وَالرَّأْيَ الصَّائِبَ ، سِوَى أُمُورٍ فِي خِلَافِ ذَلِكَ لَا يَحْرَرُهَا رَسْمُ رَاسِمٍ ، وَلَا يَقَرُّهَا قَسْمُ قَاسِمٍ ، وَلَا يَحْوِيهَا وَهْمُ وَاهِمٍ ، وَلَا يَفْغُزُ بِهَا سَهْمُ مُسَاهِمٍ ، وَهُوَ يَخْطُرُ فِي حَوَاشِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ،

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهَا تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ تَبَيِّنْ مَعْنَى وَصْفِ الْغُرَفِ بِهَذَا الْوَصْفِ .

(٢) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « عَنْ » مَكَانَ « عِزُّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « تَوَدَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « وَتَسْتَمِنُ » مَكَانَ « وَتَتَعَبُّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « بِجِرَانِهَا » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

متأبطاً بواظ الأتقال ، مفتتحاً عويس الأفعال^(١) ، ساي الطرف ، فسيح
 العذر ، سائاً على العلات ، غير مُكترث بهاك وهات ، يتلقى ما أعيا من
 ذلك بالي^(٢) ، وما أشكل بالإيضاح ، وما عسر بالتدبير ، وما فسد بالإصلاح ،
 وما أرق بالعنى ، وما خرق بالرتق ، وما خفي بالتكشيف ، وما بدأ بالتصريف ،
 وما أود بالتعريف ، وما لبس بالتعريف ، حتى أجمع على هواء قاصبها ودائبها ،
 وجري على مراده خافيتها وبديها ، واستجاب لأمره أيثها ومُنقادها ، وأتلف
 بلفظه نادرها ومُنقادها ؛ فلما تيقنت^(٣) ذلك كله وقتلته خبراً ، أمسكت عن
 إذكاره — نفس الله مدته — سالف عهده ، ومقدم وعده ، عالماً بأن
 أسرهما^(٤) مرعى عنده في صدر الكرم ، ومكتوب لديه في صحيفة الحمد ،
 وثابت قبله في ديوان الحسنى .

ولكن كان ذلك الأمتان^(٥) على رغم مني^(٦) ، لأنى قتلت في أنثائه بين
 جنبي قلباً مفرور الرجاء ، ومنزور العزاء ، على عوارض لم تسنح في خلدي ،
 ولم أعقد على شيء منها يدي .

فالحمد لله الذى جعل معاذى إلى الوزير الكريم ، البر الرحيم ، واللثة لله
 الذى جعلنى من عفاة جوده ، وناشئة عرفه ، ووارد عده ، وقادحى زنده ،

(١) فى الأصول « الأفعال » ؛ وهو تصعيف .

(٢) فى كلتا النسخين : « بالسكى » بالكاف ؛ وهو تحريف لا معنى له هنا . ولعل
 صوابه ما أثبتنا .

(٣) فى الأصل « نفتت » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى كلتا النسخين : « اسرهما » ؛ والياء زيادة من الناسخ .

(٥) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصول ؛ ولا معنى للامتنان هنا ، ولعل صوابه
 الكتان أو « الإمساك » أو ما يفيد ذلك أخذاً من قوله قبل : فأمسكت عن إذكاره .

(٦) فى (١) على زعم من أبى ثلبت إلى أبيابه . مكان قوله على رغم منى لأنى قتلت فى أنثائه .

وَمُقْتَبِسِي نُورِهِ ، وَمُضْطَلِّي نَارِهِ ، وَحَامِلِي نِعْمَتِهِ ، وَطَالِبِي خِدْمَتِهِ ، وَجَعَلَ
خَاصَّتِي وَخَالِصَتِي مِنْ بَيْنِهِمْ رَوَايَةَ مَقَابِيهِ بِاللِّسَانِ الْإِبْنِ ، وَنَشَرَ فَضَائِلِهِ
بِالْتَّنَاءِ الْأَحْسَنِ ، وَذَكَرَ آيَاتِهِ بِاللَّفْظِ الْأَفْصَحِ ، وَالْأَحْتِجَاجِ لِسَدَادِ آرَائِهِ
بِالْمَعْنَى الْأَوْضَحِ ؛ فَلَا زَالَ الْوَزِيرُ — وَزِيرُ الْمَلِكِ — تَمْدُوحًا فِي أُلُوحَارِ
الْأَرْضِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَدْبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَفِي نَوَادِي الرُّؤَسَاءِ وَالْمُعْظَمَاءِ ، مَا آبَ
آئِبٌ ^(١) ، وَغَابَ غَائِبٌ ، بِمَنَّةٍ وَلُطْفِهِ .

قَدْ نَادَيْتُ الْوَزِيرَ حَكِيمًا سَامِعًا ، وَخَيْرًا جَامِعًا ، وَهَزَزْتُ مِنْهُ صَارِمًا قَاطِعًا ،
وَشِهَابًا سَاطِعًا ، وَاسْتَسْقَيْتُ مِنْ كَرَمِهِ سَحَابًا هَاطِلًا ، وَنُقَاخًا ^(٢) سَائِلًا ،
وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُجَنِّبَنِي مِرَارَةَ الْخَيْبَةِ ، وَحَسْرَةَ الْإِخْفَاقِ ، وَعَذَابَ النَّسْوِيفِ ،
قَدْ تَلَطَّفْتُ بِالسَّخْرِ الْحَلَالِ ، وَالتَّذْبِيبِ الزُّلَالِ ، جُهْدَ الْمُقِلِّ الْمُحْتَالِ ، وَهُوَ أَوْلَى
بِمَجْدِهِ ، فِي تَذْيِيرِ عَبْدِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
هَذَا آخِرُ الرِّسَالَةِ الْأُولَى .

وَحَضَرَ وَصُولُهَا إِلَيْهِ بِهَرَامٍ — لَعْنَهُ اللَّهُ — وَتَكَلَّمَ بِمَا يَشْبَهُ نَذَالَتَهُ وَخِسَّتَهُ
وَنَتْنَ نَيْتِهِ ، فَا كُنْتُ أَمَنُهُ ^(٣) ؛ وَمَا أَشَدَّ إِشْفَاقِي عَلَى هَذَا الْوَزِيرِ الْخَلْطِيرِ
مِنْ شَوْمِ نَاصِيَةِ بِهَرَامٍ ، وَغِلِّ صَدْرِهِ ، وَقَلَّةِ نَصِيحَتِهِ ، وَلَوْثِ طَبْعِهِ ، وَخُبْثِ
أَصْلِهِ ، وَسُقُوطِ قَرْنِهِ ، وَدَمَامَةِ مَنَظَرِهِ ، وَلَآمَةِ مَخْبَرِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ الْعِبَادَ
مِنْ شَرِّهِ ، وَطَهَّرَ الْبِلَادَ مِنْ عُرِّهِ وَضُرِّهِ .

وَأَمَّا الرِّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بَعْدَ اسْتِثْذَانِي إِيَّاهُ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَغَلَبَ غَالِبٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٢) وَرَدَ هَذَا الْقَفْظُ بِالْبَاءِ وَالْفَاءِ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « أَمَلَهُ » بِاللَّامِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ

في مخاطبة بالكاف ، حتى يجرى الكلام على سنن الاسترسال ، ولا يُغترّ في طريق الكتابة بما يُزاحم عليه من اللفظ واللفظ ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أيها الوزير . جعل الله أقدار دهرِكَ جاريةً على تحكّم آمالك ، ووَصَلَ توفيقه بمبايغ مُرادِكَ في أقوالِكَ وأفعالِكَ ، ومكّنكَ من نواصي أعدائك ، وثبّت أواخِي دَوْلَتِكَ على ما في نفوس أوليائك .

يَجِبُ على كلِّ مَنْ آتاه الله رأياً ثاقباً ، ونصحاً حاضراً ، وتنبهاً نافعا ، أن يَخْدُمَكَ مُتَحَرِّياً لرُسوخِ دعايمِ المُلْكَةِ بِسِيَّاسَتِكَ وَرِيَادَتِكَ^(١) ، قاضياً بذلك حقَّ الله عليه في تَقْوِيَتِكَ وَحَيَاطَتِكَ . وإني أرى على بابِكَ جماعة ليست بالكثيرة — ولعلها دُونَ العَشْرَةِ — يُؤَثِّرُونَ لِقَاءَكَ والوصول إليك لما تُجِنُّ صدورهم من النصائح النافعة ، والبلاغات الجديّة ، والدلالات المفيدة ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا أَهْلَوْا لذلك قَدَّ قَضَوْا حَقَّكَ ، وَأَدَّوْا مَا وَجَبَ عليهم من حُرْمَتِكَ ، وَبَلَّغُوا بِذلك مُرَادَهُمْ من تَفَضُّلِكَ وَأَصْطِنَاعِكَ ، وَتَقْدِيمِكَ وَتَكْرِيْمِكَ ؛ وَالْحِجَابُ قد حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكَ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ وَسِيلَةٌ شافعةٌ ، وَخِدْمَةٌ لَخَيْرَاتِ جَامِعَةٍ ؛ مِنْهُمْ — وهو أهل الوقاء — ذَوُ كَفَايَةٍ وَأَمَانَةٍ ، وَنَبَاهَةٍ وَلَبَاقَةٍ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، وَلِرَتَقِ الْقَتَقِ الْعَظِيمِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يُبْتِغِ إِذَا نَادَمَ ، وَيَشْكُرُ إِذَا أَصْطَنَعَ ، وَيَبْذُلُ الْمَجْهُودَ إِذَا رُفِعَ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُمُ الدُّرَّ إِذَا مَدَحَ ، وَيُضَحِكُ الثَّغَرَ إِذَا مَزَحَ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَمَدَ بِهِ الدَّهْرُ لِسْنَهُ الْعَالِيَةَ ، وَجَلَّابِيَهُ الْبَالِيَةَ ، فَهُوَ مَوْضِعُ الْأَجْرِ الْمَذْخُورِ ، وَنَاطِقُ الشُّكْرِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ؛ وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ أُخْرَى قد عَكَفُوا فِي بُيُوتِهِمْ

(١) في كلتا النسختين : « وزياذك » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصحيف .

عَلَى مَا يَفْنِيهِمْ مِنْ أَحْوَالِ أَنْفُسِهِمْ ، فِي تَزْجِيَةِ عَيْشِهِمْ ، وَعِمَارَةِ آخِرَتِهِمْ ،
وَمَعَ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ خَصَاصَةِ مُرَّةٍ ، وَمُؤْنِ غَلِيظَةٍ ، وَحَاجَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ ؛
وَلَمْ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْبَيَانُ وَالتَّجَرُّبَةُ ، وَلَوْ وَتَّقُوا بِأَنَّهُمْ إِذَا عَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ
عَلَيْكَ ، وَجَهَزُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَدَبِ وَالتَّضَلُّلِ إِلَيْكَ حَظُّوا مِنْكَ ، وَأَعْتَزُّوا
بِكَ ، تَخَضَّرُوا بِأَبْكَ ، وَجَشِمُوا الْمَشَقَّةَ إِلَيْكَ ؛ لَكِنَّ الْيَأْسَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ ،
وَضَعُفَتْ مُنْتَهُمُ ، وَعُكِّسَ أَمَلُهُمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ سَفَا التَّرَابِ ، أَخْفَ مِنَ الْوُقُوفِ
عَلَى الْأَبْوَابِ ، إِذَا دَنَوْا مِنْهَا دُفِعُوا عَنْهَا ؛ فَلَوْ لَحَظْتَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ بِفَضْلِكَ ،
وَأَذْنَيْتَهُمْ بِسَعَةِ دَرْعِكَ وَكَرَمِ خِيَمِكَ ، وَأَصْفَيْتَ إِلَى مَقَالَتِهِمْ بِسَمْعِكَ ،
وَقَابَلْتَهُمْ بِمِلَّةِ عَيْنِكَ ، كَانَ فِي ذَلِكَ بَقَاءٌ لِلنُّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَصِيَتْ قَاشٍ بِذِكْرِكَ ،
وَتَوَابٌ مُؤَجَّلٌ^(١) فِي صَحِيفَتِكَ ، وَثَنَاءٌ مُعْجَلٌ^(٢) عِنْدَ قَرِيبِكَ وَبَعِيدِكَ ؛ وَالْأَيَّامُ
مَعْرُوفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَاللَّيَالَى مَا خِصَّةٌ بِمَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ذُو اللَّبِّ ، وَالْمَجْدُودُ
مَنْ جُدَّ فِي جَدِّهِ ، أَعْنَى مَنْ كَانَ جَدُّهُ فِي الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِمُظْهِهِ مِنَ
الْآخِرَةِ ، وَلَآنَ يُوَكَّلُ الْعَاقِلُ بِالْأَعْتِبَارِ بغيرِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُوَكَّلَ غَيْرُهُ
بِالْأَعْتِبَارِ بِهِ .

أَيْهَا الْوَزِيرُ ، اصْطِنَاعُ الرِّجَالِ صِنَاعَةٌ قَائِمَةٌ بِرَأْسِهَا ، قَلَّ مَنْ يَفْنَى بِرَبِّهَا^(٣) ،
أَوْ يَتَأَنَّى لَهَا ، أَوْ يَعْرِفُ حَلَاوَتَهَا ، وَهِيَ غَيْرُ الْكِتَابَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْبَلَاغَةِ
وَالْحِسَابِ .

وَسَمِعْتُ ابْنَ سُورِينَ يَقُولُ : آخِرُ مَنْ شَاهَدْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْأَصْطِنَاعَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ « يُوَجَد » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ بِسَمْعِكَ .

(٢) فِي (١) : « يَسْقَى تَرْبَهَا » مَكَانَ « يَنْبَغِي تَرْبَهَا » . وَفِي (ب) : « بِرَبِّهَا » بِالْيَاءِ

الْمُثَنَّى ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ . يُقَالُ : رَبُّ الصَّنِيعَةِ يَرْبُهَا — بضم الراء — إِذَا
عَمَّاها وَتَمَهَّدَهَا .

واستحل الصنائع ، وارتاح لذكري الطيب ، واهتز للمديح ، وطرب على نعمة السائل ، وأغتم خلة المحتاج ، وأنتهب السكرم انتهابا ، وأنتهب في عشق النناء انتهابا ، أبو محمد المهلبي ، فإنه قدّم قوما ونوع بهم ، ونبه على فضيلهم وأخوج الناظرين في أمر الملك إليهم ، وإلى كفايتهم ، منهم أبو الفضل العباس بن الحسين ، ومنهم ابن معروف القاضي ، [ومنهم أبو عبد الله اليفرنى] ، ومنهم أبو إسحاق الصابى ، وأبو الخطاب الصابى ، [ومنهم أحمد الطويل ، ومنهم أبو التلاء صاعد ، ومنهم أبو أحمد ابن الميثم ، وابن حفص صاحب الديوان] ، وفلان وفلان ، هؤلاء إلى غير هؤلاء^(١) ، [كآبى تمام الزينبي ، وأبى بكر الزهرى] ، وابن قريصة ، وأبى حامد المرؤوذى ، [وأبى عبد الله البصرى] ، وأبى سعيد السيرافى ، [وأبى محمد الفارسى] ، وابن درستويه ، [وابن البقال] ، والسرى ، ومن لا يحصى كثرة من التجار والمُدُول .

وقال لى [ابن سورين] : كان أبو محمد يطرب على أصطناع الرجال كما يطرب سامع الفناء على الشباير^(٢) ، ويرتاح كما يرتاح مدير الكأس على المشائر . وقال عنه : [إنّه] قال : والله لأكونن فى دولة الدليم ، أول من يذگر ، إن فاتو أن كنت فى دولة بنى العباس آخر من يذگر .

فلولا أنك — أدام الله دولتك — أذنت لى أن أكتب إليك كل ما هجس فى النفس ، وطلع به الرأى مما فيه مرّد على ما أنت فيه من هذا

(١) فى (ب) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام : « هذا إلى غير هذا » .

(٢) فى كلتا النسختين : « الستائر » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق

الكلام . والشباير : جمع شبور ، وهو من آلات اللوسيقى .

الثَّقَلِ الْبَاهِظِ ، وَتَنْبِيهِ عَلَى مَا تُبَاشِرُهُ بِكَاهِلِكَ الضَّخْمِ ، لَمْ يَكُنْ خَطَرِي
يَبْلُغُ مُوَاجَهَتِكَ بَلْفَظٍ يَثْقُلُ ، وَإِشَارَةِ تَغْلُظٍ ، وَكِفَايَةِ تَخْدِشٍ ^(١) ، لَسَكَتَكَ
وَاللَّهُ يَأْخُذُ بِيَدِكَ ، وَيَقْرِنُ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ بِظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ — قَدْ رَخَّصْتَ
لِي فِي ذَلِكَ ، وَخَصَّصْتَنِي بِهِ مِنْ بَيْنِ غَاشِيَةِ بَابِكَ ، وَخَدَمَ دَوْلَتِكَ ، فَلِذَاكَ
أَقُولُ مَا أَقُولُ مُعْتَمِدًا عَلَى حُسْنِ تَقَبُّلِكَ ^(٢) ، وَجَمِيلِ تَكَلُّفِكَ ^(٣) ، وَمُنْتَهَظٍ
تَفَضُّلِكَ ؛ وَلَيْسَ فِي أَبْوَابِ السِّيَاسَةِ شَيْءٌ أَجْدَى وَأَنْفَعُ ، وَأَنْفَى لِلْفَسَادِ وَأَقْعَمُ ،
مِنَ الْأَعْتِبَارِ الْمَوْظُفِ لِلنَّفْسِ ، الْبَاعِثِ عَلَى أَخْذِ الْحَزْمِ ، وَتَجَرِيدِ الْقَزْمِ ؛ فَإِنَّ
الْوِكَالَ ^(٤) وَالْمُؤَيَّنَا قَلَمًا يُفَضِّلَانِ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى دَرْكِ مَأْمُولٍ ، وَنَيْلِ مَرَادٍ ،
وَإِصَابَةِ مُتَمَنَّى . وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ كَبِيرُ الْحِكْمَةِ ، مَعْرُوفُ الْخُنْسَةِ : الْمُعْتَبَرُ
كَثِيرٌ ، وَالْمُعْتَبَرُ قَلِيلٌ . وَصَدَقَ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، وَهُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :

لَوْ أَعْتَبَرْتُ مِنْ تَأَخَّرِ بَيْنِ تَقَدَّمَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ يَتَحَسَّرُ فِي النَّاسِ ^(٥) وَيَنْدَمُ ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ بَنَى هَذِهِ الدَّارَ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَهْلُهَا بَيْنَ يَقْظَةٍ وَنَوْمٍ ، وَبَيْنَ فَرَحٍ
وَتَرَحٍّ ، وَبَيْنَ حَيَاطَةٍ ^(٦) وَوَرْطَةٍ ، وَبَيْنَ حَزْمٍ وَغَفْلَةٍ ، وَبَيْنَ زِيَارَةٍ وَسَلَوَةٍ ،
لَكِنِّ الْأَخْذَ بِالْحَزْمِ — وَإِنْ جَرَى عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ — أَعْذَرُ عِنْدَ نَفْسِهِ وَعِنْدَ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « تَغْرِس » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ
سِيَاقُ مَا قَبْلَهُ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « تَهْلِك » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) : « تَكَلُّفِكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « الْوِكَان » بِالنُّونِ . وَفِي (ب) : « الْوِكَال » بِالْكَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ
فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ .

(٥) فِي (ب) : « فِي الدُّنْيَا »

(٦) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « غِبْطَةٌ » ؛ وَلَمَّا تَحْرِيفٌ ، لِإِذِ الْغِبْطَةُ لَا تَقَابِلُ الْوَرْطَةَ ،
وَالَّتِي يَقَابِلُهَا الْحَيْطَةُ كَمَا أَثْبَتْنَا .

كلٌّ من كان في مسكبه ، من المأني بيده ، والمُتبدلي بغيره ، والساعي في بُبوره ؛ وما وهب الله العقل لأحدٍ إلا وقد عرّضه للنجاة ، ولا حلال بالعلم إلا وقد دعاه إلى العمل بشرائطه ، ولا هداه الطريقين (أغنى النى والرشد) إلا لبزحت إلى أحدهما بمحسني الاختيار .

هذا بالأمرسي أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير — وهو في وزارته وبسطة أمره ونهيه — قيل له ذات يوم : هذا التركي ساسكر^(١) تفياً بظله ، واعتصم بحبله ، واستسقى بسجله ، وارتوى من سؤره ، ولا يئبلنه عنك ، ما يوحشه منك ، ويخفيه^(٢) عليك . وقد قيل :

« أسجد لقرَدِ السوء في زمانه »

وإذا لم تقدر على قطع يد جائرة ، فقبلها منبهة^(٣) منجدة غائرة . فلم يفعل ، حتى وجد أعداؤه طريقاً إليه ، فسلكوه وأوقعوه .

ثم قيل له في الوزارة الثانية : قد ذقت مرارة النكبة ، وتحرق بنار الشامة ، وتأرقت على فرطات^(٤) العجز والفسالة ، وقد كان من ذلك كله ما كان ، ودارك بما تمكنت^(٥) الزمان ؛ فأنظر أين تضع الآن قدمك ، وبأي شيء تدير لسانك وقلمك ، فإن مخلصك من ورطتك بالمرصاد ، وقد

(١) لم نجد هذا الاسم فيما راجعناه من معجمات الأعلام التركية ؛ والذي وجدناه « سنجر » بالسین والجیم وبلا سین وألف في أوله .

(٢) في (١) : « ويخفه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسخين : « بهمه » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسخين : « فطرات » ؛ والظاهر أن في حروفه قلباً وقع من التامسح . كما أن في كلتا النسخين : « وأرقت » مكان « وتأرقت » ؛ وما أثبتناه أولى للعلامة بينه وبين قوله قبل : « وتحرق » .

(٥) في (ب) : « ظننت » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

وَعَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْ أُعَادَ اللَّهُ يَدَكَ^(١) إِلَى الْبَسْطَةِ ، وَرَدَّ حَالَكَ إِلَى السَّرُورِ وَالنِّبْطَةِ ، أَنْكَ تَجْعَلُ الْمَاعِلَةَ ، وَتَنْسَى^(٢) الْمَقَابِلَةَ ، وَتَلْقَى وَلِيَّكَ وَعَدُوَّكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى هَذَا ، وَالْكَفَّ عَنْ هَذَا ، حَتَّى يَتَسَاوَا بِنَظَرِكَ ، وَيَتَعَبَّدَا لَكَ بِتَفَضُّلِكَ .

فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ مَا دَلَّ عَلَى عِتْوِهِ وَثَبَاتِهِ^(٣) ، لِأَنَّهُ قَالَ : أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] ؟ وَقَالَ لِي الْقَوْمُ مَسَى^(٤) — وَلَمْ يَقُلْ مَا فِي فَعْوَى هَذَا الْكَلَامِ — : مَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : غَوَاهُ وَلَوْ عَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ لَعُدْنَا [إِلَى مُقَابِلَتِهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا عَلَيْهِ . وَصَدَّقَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا لَبِثَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَوْرَدَهُ^(٥) وَلَمْ يُصْذِرْهُ ، وَأَعْتَرَهُ وَلَمْ يُنْمِشْهُ ، وَسَلَّمْ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى اسْتَبْلَّ رُوحَهُ مِنْ بَيْنِ جَنَبَيْهِ ، شَاقِيًا بِهِ وَمُسْتَشْفِيًا مِنْهُ ، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ خُسْرًا ، وَلَوْ اتَّقَى اللَّهَ لَكَانَ آخِرُ أَمْرِهِ يُسْرًا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وهذا بفعله محمد بنُ بَقِيَّةٍ طَلْفِي وَبَنِي ، وَاقْتَحَمَ ظِلْمَاتِ الظُّلْمِ وَالْعَسْفِ ، وَطَارَ بِمِحْنَةِ اللَّهِوَالْتَرَفِ ، وَالشُّرْبِ وَالْقَصْفِ ، وَمَلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَضَلَّ بَيْنَ إِنْهَالِ اللَّهِ وَإِنْلَائِهِ ، خَافَى بِهِ مَا ذَهَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَمَالُهُ ، وَخُرَّبَ بَيْتُهُ ، وَافْتَضَحَ أَهْلُهُ ، وَكَيْفَ كَانَ يَسْلَمُ ؟ أَمْ كَيْفَ كَانَ يَنْجُو وَقَدْ قَتَلَ ابْنَ السَّرَّاجِ

(١) فِي (ب) : « أُعَادَ اللَّهُ بِكَ أَيْمَانَكَ الْبَسِطَةَ » ؛ وَفِي بَعْضِ كَلِمَاتِهَا تَحْرِيفٌ لَا يَخْفَى .

(٢) كَذَا فِي (أ) . وَالَّذِي فِي (ب) : « وَتَنْسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَتَنْسَى الْمَقَابِلَةَ ،

أَي لَا تَهَابِلُ الذَّنْبَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِقَابِهِ بَلْ تَغْفِرُ .

(٣) وَثَبَاتِهِ ، أَي ثَبَاتِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَاسَةِ .

(٤) فِي كَلِمَاتِ النَّسَخَتَيْنِ : « الْمَسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا تَرَى ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٥) أَوْرَدَهُ وَلَمْ يُصْذِرْهُ فَاعْلَمْ أَنَّ الْفُلَيْنِ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ ذِكْرُهُ . أَيْ

أَوْرَدَهُ كَلَامَهُ الْخ .

بلا ذنب ، والجَرَ جَرَانِي^(١) بلا حِجَّة ، وضربَ ابن مَعْرُوفٍ بالسَّيَاطِ
وأبا القاسم — أخا لأبي محمد القاضي — وشَهْرَهُ على جَمَلٍ في الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ١٩
والتَّشْقِي حُلُوُّ التَّلَانِيَةِ ، واسكنهُ مُرُءُ العاقبة ، وكانَ الحَفِيفَةُ إِنَّمَا خُلِقَتْ
لِيُتَمَقَّدَ^(٢) ، والحَقْدَ إِنَّمَا وُجِدَ لِيُبَلَّغَ بِهِ مَا يَسُرُّ الشَّيْطَانَ .

وكانَ العَفْوُ حَرَامًا ، والكُفْمُ^(٣) محظور ، والمكافأة مأمورٌ بها .
وهذا بالأمسِ عليُّ بنُ محمدٍ ذُو الكَفَايَتَيْنِ ، اغترَّ بِشَبَابِهِ ، وَلَهَا عَنْ
العَزْمِ والأَخْذِ بِهِ فِيمَا كَانَ أَوْلَى بِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ كِفَايَتَهُ تَحْفَظُهُ ، وَنَسَبَهُ مِنْ
أَبِيهِ يَكْنُفُهُ ، وَبَرَاءَتَهُ تَحْتَجُّجُ لَهُ ، وَذُنُوبَهُ الصَّغِيرَةَ تُنْفَقَرُ ؛ لِإِبْلَائِهِ الْمَذْكُورَ ،
وَعَنَائِهِ الْمَشْهُورَ ؛ وَشَيْ قَعَرٌ ، وَرَابِ^(٤) لُحْزُرٌ ، وَالْأَوَّلُ يَقُولُ :

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كِبَوَةٌ لَمْ يَسْتَقْبِلْهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَأَخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا وَأَجْرٌ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْزِي

وقال لي الخليل — وكان لطيفَ اللَّحْلِ عنده ، لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ
أَخْصَاصِ أَبِيهِ لَهُ ، وَلِمَا يَظْهَرُ مِنْ فَضْلِهِ عَنْده — : قُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا هَذَا ،
فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ ١٩ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَمَلُّ ١٩ وَفَدَّ شَجِدَتِ الْمَوَاسِي ، وَحُدِّدَتْ
الْأَنْيَابَ ، وَفُتِلَتِ الْمَرَاثِرُ^(٥) ، وَنُصِبَتِ الْقِخَاخُ ، وَالْعَيُونُ مُحَدَّقَةٌ نَحْوَ الْقَطِيعَةِ ،

(١) فِي (١) : « الْجَرَ جَانِي » .

(٢) فِي (١) : « لَتَمَقَّدَ » . وَفِي (ب) : « لَتَمَقَّدَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَالْعُفْمُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَدَابَّ غُفَر » . وَفِي (ب) : « وَدَابَّ غُفَر » ؛ وَلِلْصَّوَابِ مَا أَثْبَتْنَا .

(٥) فِي (١) : « وَوَقِلْتُ » . وَفِي (ب) : « وَوَقِلْتُ » ؛ وَهُوَ تَحْصِيفٌ فِي كِلْتَا

النُّسخَتَيْنِ . وَفِي (١) : « لِلدَّابَرِ » مَكَانَ « الْمَرَاثِرِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا . وَالْمَرَاثِرُ :
الْجِبَالُ ، جَمْعُ مَرِيرَةٍ .

والأعناقُ صُورٌ^(١) إلى الفَظِيعَةِ ، وأنتَ لآءٍ ساءٍ عما بُرأُ بك بَعْدُ ؛
يَسْبِيكَ^(٢) هذا المَزرِفُ^(٣) وهذا الرُخِي^(٤) وهذا المُرَّضُ^(٥) ، وهذا الخَلِيقُ ،
وهذا النَتِيفُ ، وهذا المَعْرَبُ الصُّدغُ ، وهذا المَصْفُوفُ الطَّرَّةُ ، وبالكاسِ^(٦)
والطاسِ ، والغناء والقَصَفُ ، والنأي والعُودُ ، والصَّبُوحُ والغَبُوقُ ، والشرابِ
المُرُوقُ العَتِيقُ ؛ والله ما أدرى ما أَصْنَعُ ، إن سَكَتُ عَنْكَ كِيدْتُ ، وإن
نَصَحْتُكَ خِفْتُ مِنْكَ ؛ ونَعُوذُ بالله من أَشْنِيبِهِ الرأى ، واشْتَبَاكَ الأَمْرُ ، وقِلَّةِ
الأَحْتِرَاسِ ، والإِعْرَاضِ عما يَجْرِي من أَفْواهِ الناسِ .

يا هذا ، سُوهُ الأَسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ ، وتَلَقَّى الأَمْرَ بِالْحَزْمِ
والشَّهَامَةِ أَوْلَى مِنْ أَسْتِدْبَارِهِ بِالْحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ ، وَمَنْ لَا تَجَرِبَةَ لَهُ يَقْتَبِسُ
يَمْنٌ لَهُ تَجَرِبَةً ، فَإِذَا نَقِبَ انْخَفَ دَمِي الْأَخْلَ . فقال : قد فَرَّغَ اللهُ عَمَّا هُوَ
كَائِنٌ ، وَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .

قال : قلتُ له : ما أَطْلَعَكَ اللهُ على كائِناتِ الأمورِ ، ولا أَغْلَمَكَ بِعَوَاقِبِ
الأحوالِ ، وإنما عَرَّفَكَ حَظَّكَ بَعْدَ أَنْ^(٧) وَفَّرَ عَقْلَكَ ، وَأَحْضَرَكَ اسْتَطَاعَتِكَ ،
وَأَوْضَحَ لِقَلْبِكَ ما عَلَيْكَ وَلَكَ ، حَتَّى يَسْتَشِفَّ وَيَسْتَكْشِفَ ، وَمَلَّكَكَ

(١) صور ، أى ماثلة . إلى الفظيمة ، أى إلى النكبة الفظيمة . وفي كلتا النسختين :
« الفظيمة » . وما أثبتناه هو ما يستقيم به السجع الذى التزمه المؤلف فى بعض فقراته .
(٢) فى (١) : « يعد تشبثك » . وفى (ب) : « يسد بسبك » ؛ وهو تحريف
فى كلتا النسختين .

(٣) المزرِف الذى يجعل صدغيه كالزرفين ، وهى الحلقة .

(٤) كذا فى (ب) والذى فى (١) « المزرجن » ، ولا معنى له هنا .

(٥) المرَّض بتشديد الراء الذى نبت شعر عارضيه . كما يقال عذَّر الغلام بتشديد الدال
إذا نبت شعر عذاره .

(٦) وبالكاس متعلق بقوله قبل : « لاه » .

(٧) كذا فى (ب) . والذى فى (١) : « مقدار » مكان « بد أن » ؛ وهو تحريف .

النَوَاصِيَ حَتَّى تَمُنَّ^(١) وَتُرْسِلَ ، وَمَا طَالَبَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُزَاحَ عِلَّتُكَ ، وَلَا عَاقِبَتَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُنْذِرَكَ وَأَنْظُرَكَ ، وَبِمِثْلِ هَذَا تُطَالِبُ أَنْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ مِنْ خَدَمِكَ وَحَشَمِكَ ، وَأَوْلِيَانِكَ وَأَعْدَانِكَ ، وَهَذَا الَّذِي أَعْذَلُكَ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي بِهِ تَفْذُلُ غَيْرَكَ وَتَرَاهُ ضَالًّا فِي مَسَلِكِهِ ، مَتَعْرُضًا لِمَهْلِكِهِ .

نَقَالَ : أَيْظَلِمُنِي وَلِيٌّ نِعْمَتِي صُرَاحًا بِلَا ذَنْبٍ ، وَيَجْتَبِأُنِي^(٢) بِلَا جَرِيْمَةٍ ؛ وَيَثْلُمُ دَوْلَتَهُ بِلَا حُجَّةٍ ؟

قُلْتُ : اللَّهُ يَفِيكَ وَيَكْفِيكَ ، نَزَاكَ بِلَا ذَنْبٍ ، وَنَجِدُكَ بَرِيئًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، وَغَيْرُكَ لَا يَرَاكَ بِهَذِهِ الْعَيْنِ ، وَلَا يَتَحَكَّمُ لَكَ بِهَذَا الْحُكْمِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَرَى فُرْصَةً فَاتَمِيزْهَا ، وَإِنْ كُنْتَ تَحْلُمُ بِفُصَّةٍ^(٣) فَاحْتَرِزْ مِنْهَا ؛ فَأَبْوَابُ النِّجَاحِ مُفْتَحَةٌ ، وَطُرُقُ الْأَمَانِ مُتَوَجِّهَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِالْأَحْتِيَاظِ وَاجِبٌ ، قَدْ قَرُبَ الشَّائِخِصُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، وَالْقِيَامَةُ قَدْ قَامَتْ بِالْإِرْجَافِ ، وَالطَّيْرَةُ قُشْعِرِيْرَةُ النَّفْسِ ، كَمَا أَنَّ الْقُشْعِرِيْرَةَ طَيْرَةُ الْبَدَنِ ، وَالْأَسْتِرْسَالُ كَلَالُ الْحِسِّ ، وَالْقَالُ لِسَانُ الزَّمَانِ ، وَغُنُونُ الْحَدَثَانِ ، وَلَا يَقَعُ فِي الْأَفْوَاهِ إِلَّا مَا يُوجِبُ الْحَذَرَ ، وَيَتَّبَعُ عَلَى الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ ، وَاسْتِقْرَاءِ الْأَثَرِ وَالْخَبَرِ .

قَالَ : أَمَّا أَنَا بَعْدَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ اسْتَظْهَرْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبِ نَيْسَابُورٍ ، وَبِفَخْرِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِهِمَاذَانِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَبِعِزِّ الدَّوْلَةِ

(١) فِي (١) : « تَمَلُّ وَتَرْسُد » . وَفِي (ب) : « تَمُدُّ مَكَانَ « تَمَلُّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَاهُ . وَتَمُنُّ وَتُرْسِلُ . أَيْ تَمُنُّ بِالْفِعْلِ عَنْ أَسَاءٍ ، وَتُرْسِلُ مِنْ أَمْسِكَتِهِ ، أَيْ تَطْلُقُهُ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : « يَجِينُنَا » .

(٣) فِي (١) : « بَعْضُ » بِالْمَعْنَى وَالضَّادِ . وَفِي (ب) : « بِقِصَّةٍ » بِالْقَافِ وَالضَّادِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَاهُ .

وهو بمدينة السلام ؛ ومتى حَرَبَ حَارِب ، ورَابَ رَائِب ، أَوَيْتُ إلى واحدٍ من هؤلاء .

قال : قلتُ : ها هنا ما هو أَسْهَلُ مِنْ هذا وإن كان أَهْوَلَ ، وأنجَى وإن كان أَشْجَى ، وأَقْرَبَ وإن كان أَغْرَبَ .
قال : ما هو ؟ فرَجَّ عَنِّي وأَهْدَى .

قلتُ : لتأْيَدْخُلْ هذا الوارِدُ [الدَّارَ] ، ويَذْنُو من طَرَفِ البِساطِ ، تُنْذِرُ رأسه عن كاهله ، وتُلْقِي شِلْوَهُ في مِرْبَلَةٍ ، فَإِنَّ المِيبَةَ تَقَعُ ، والنَّائِرَةُ تَخْبُو ، والعَجَبُ يَفْجُرُ ، والظُّلَّةُ تَزُولُ ، والصَّدْرُ يَشْتَفِي ، والأَعْتِدَارُ يَنْتَفِي ؛ وَيُكْتَبَ إلى مُوفِدِهِ أَنَّ الرأى أَوْجَبَ هذا الفعل ، لَأَنَّهُ غَلَبَ على الظَّنِّ أَنَّهُ وَاقٍ لِكَيْدِ يُوَصِّلُهُ إِلَيَّ ، وبَلَاءِ يُفْرِغُهُ عَلَيَّ ، فَأَزَلْتُ هذا الظَّنَّ بِالْيَقِينِ ، وَدَفَعْتُ الشُّبْهَةَ بِالْجَلَاءِ ، وَاسْتَخْلَصْتُ النُّورَ مِنَ الظَّلَامِ ؛ وَلَأَن تَبُعِدَ سَاقَطًا مِنْ خَدَمِكَ ، يَسُوهُ ظَنِّي بِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَيَقْدَحُ في طَاعَتِي لَكَ ، [وَيُضْرِمُ في نَارِ التَّهْمَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؛ خَيْرٌ لِي في نَصِيحَتِي لِدَوْلَتِكَ ، وَخَيْرٌ لَكَ] في بَقَائِي ^(١) على أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، مِنْ أَنْ يَلْتَمِثَ ضَمِيرِي في سِيَاسَةِ دَوْلَتِكَ ، وَتَحُولَ نِيَّتِي ^(٢) عَمَّا عَهَدْتُ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ جُنْدِكَ وَرَعِيَّتِكَ ، وَحِفْظِ قَاصِيَّتِكَ وَدَانِيَّتِكَ .

فقال : هذا أَعْظَمُ ، واللهُ المُسْتَعَانُ .

وَلَيْتَنِي أَصَبْتُ بهذا الرأى ^(٣) أَمْرًا عَلَا عَقْلُهُ ، فَيَقْبَلَهُ بَيِّانٌ ، أَوْ يَرُدَّهُ

(١) كَذَا في (ب) . والذي في (أ) : « ثنائي » ؛ وهو تعريف .

(٢) في كلتا النسخين : « يني » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه العبارة في كلتا النسخين هكذا « وليتني أصبت من أمر بهذا الرأي على عقله » ؛ وفيها تقديم وتأخير وتعريف إذ لا معنى لها على هذا الوجه ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .

بِزُهَانٍ ، فَكَانَ يَفْوَى أَوْ يَضْعَفُ ، وَيُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَوْ يُخْجِمُ عَنْهُ ، فَإِنَّ الْمُبْرَمَ أَفْوَى مِنَ السَّحِيلِ ، وَالسَّيِّئَ أَحَدُ مِنَ النَّحِيلِ ؛ ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ .
وَكَانَ مَشَايِخُ الْعِرَاقِ وَالْجَبَلِ يَرَوْنَ مَا حَدَّثَ بِذَلِكَ الْفَتَى أَمْرًا قَرِيبًا ، وَظُلْمًا غَبَقْرِيًّا .

وَحَدَّثَنِي الْقَوْمِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِذَلِكَ أَمْرًا ، وَلَا سَبَقَ بِهِ إِذْنَ ، وَلَكِنْ لَمَّا حَدَّثَ مَا حَدَّثَ ، وَقَعَ عَنْهُ إِسْكَ ، وَسَيَّرَتْ الْكَرَاهِيَّةُ وَالْإِنْكَارُ .

* * *

وَالْأُمُورُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ، وَهَوَادٍ وَأَمْجَازٌ ، وَأَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ ؛
وَلَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُدْرِكَ النِّجَاحَ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّزَ
فِي الْمَبَادِي ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ : مَا لُمْتُ نَفْسِي عَلَى
قَوْتِ أَمْرٍ بِدَأْتُهُ بِمَزْمٍ ، وَلَا حِجْدَنْهَا عَلَى دَرَكِ أَمْرٍ بِدَأْتُهُ بِعَجْزٍ .
هَاهُنَا نَاسٌ إِذَا تَلَاقَوْا يَنْفُثُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِمَا هُوَ صَرِيحٌ وَكَفَايَةٌ ،
وَيَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِ يَوْسُفَ ، وَيَسْتَنْبِلِي ^(١) الْخَبِيثُ مِنَ الْجَالِسِ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ
مَكَانِ الرَّوَايَا .

^(٢) وَلَيْسَ بِصَحِّ كُلُّ مَا يَقَالُ فَيُرَوَّى عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَيْسَ يَخْفَى أَيْضًا كُلُّ
مَا يَجْرِي فَيُمْسَكَ عَنْهُ ؛ وَالْأُمُورُ مَرَجَةٌ ، وَالصَّدُورُ حَرَجَةٌ ، وَالْأَحْقَرَسُ

(١) حَبَارَةُ (١) : « وَمَسْلَمُ الْحَبِيثِ مِنَ الْحَالِينَ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ » ؛ وَفِيهَا تَحْرِيفُ ظَاهِرٍ
وَقِيَ (ب) : « الْحَبِيثُ » مَكَانَ « الْحَبِيثِ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ أَيْضًا . وَيُرِيدُ بِالْحَبِيثِ ابْنَ يَوْسُفَ .
(٢) وَرَدَ فِي (١) قَبْلَ قَوْلِهِ : « وَلَيْسَ بِصَحِّ » قَوْلُهُ : « فَصَلِّ » .

واجب ، والنصح مقبول ، والرأى مشترك ، والنقطة بالله من اللوازم على مَنْ عَرَفَهُ وآمَنَ بِهِ ، وليس مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بُدٌّ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

واللهُ أَسْأَلُ الدِّفَاعَ عَنْكَ ، وَالْوَقَايَةَ لَكَ ، فِي مُضْهِجِكَ وَمُتَمَسِّكَ ، وَفِي مَسِيَّتِكَ وَمَقِيلِكَ ، وَشَهَادَتِكَ وَغَيْبَتِكَ ، وَلَذَوِي مَلِيحَا^(١) فِي هَذَا الْبَابِ نَفْعٌ وَإِقَادٌ ، وَتَنَاقُلٌ وَأُتُبَارٌ^(٢) ، وَمَسْئَلَةٌ وَجَوَابٌ .

وعند الشيخ أبي الوفاء مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَمِنْ غَيْرِهِ مِمَّا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ نَاحِيَةِ ابْنِ الْيَزِيدِيِّ مَا يَجِبُ أَنْ يُصَاحَّ لَهُ بِالْأُذُنِ الْوَاعِيَةِ ، وَيُقَابَلُ بِالنَّفْسِ الرَّاعِيَةِ ، وَيُدَاوَى بِالدَّوَاءِ النَّاجِحِ ، وَتُخَسَّمُ مَادَّتُهُ مِنَ الْأَصْلِ ، فَإِنَّ الْفَسَادَ إِذَا زَالَ حَصَلَ مَكَانَهُ الصَّلَاحُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْمَرَضِ إِلَّا الْإِفْرَاقُ ، وَلَا بَعْدَ النَّزْعِ إِلَّا الْإِغْرَاقُ .

إِلَى هَاهُنَا انْتَهَى نَفْسِي بِالنَّصْحِ وَإِنْ كَانَتْ شَفَقَتِي^(٣) تَتَجَاوَزُهُ ، وَحِرْصِي يَسْتَعْلِي عَلَيْهِ ، لَكُنِّي خَادِمٌ ، وَكَأَيْبٌ عَلَى أَنْ أُخْدَمَ بِذِيَاتِ^(٤) الصِّدْرِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ أُلْزَمَ الْحَدَّ بِمَحْسِنِ الْأَدَبِ .

وَاللَّهُ إِنِّي لَوَاقِدٌ مُخْلِصٌ ، وَعَبْدٌ طَائِعٌ ، وَرَجَائِي الْيَوْمَ أَقْوَى مِنْ رَجَائِي أَمْسَ ، وَأَمَلِي غَدًا أَبْسَطُ^(٥) مِنْ أَمَلِي الْيَوْمَ ؛ أَشْكُو إِلَيْكَ الْأَرْقَ بِاللَّيْلِ فِكْرًا فِيمَا يُقَالُ ، وَتَحَفُّظًا^(٦) مِمَّا يُنَالُ ، وَتَوْثَمًا لِمَا لَا يَكُونُ [إِنْ كَانَ] ، وَشَرًّا الْعِدَا ، الَّذِينَ يَتَمَنُّونَ لِأُولَى نِعْمَتِهِمُ الرَّدِّي ، وَيَبْتَغُونَ النَّكَائِثَ^(٧) ،

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (ب) وَلَمْ تَتَيْنِ مِنْ مِ ذَوُو مَلِيحَا .

(٢) فِي كُلِّمَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتَنَاقُلُ وَأُتُبَارُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) فِي كُلِّمَا النُّسخَتَيْنِ : « شَفَقَتِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « ذِيَّانِ » . وَفِي (ب) : « ذِيَّانِ » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي (ب) : « أَنْسَطُ » . (٦) فِي (ب) : « وَغِيظًا » .

(٧) فِي (ب) : « الْبَيَّاتِ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَيَكْسِرُونَ الْأَجْفَانِ^(١)، وَيَتَخَازِرُونَ بِالْأَعْيُنِ، وَيَتَجَاهَرُونَ بِالْأَذْيِ إِذَا تَلَاقَوْا، وَيَتَهَامَسُونَ بِالْأَلْسُنِ إِذَا تَدَانَوْا، وَاللَّهُ يَضْرَعُ جُدُودَهُمْ، وَيُضْرِعُ خُدُودَهُمْ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ وَهَذِهِ الرَّقَّةُ مَتَى وَالْحَقَاوَةُ، وَهَذِهِ الرُّعْشَةُ وَالْقَلَقُ، وَهَذَا التَّقْبِيعُ وَالتَّفْرِغُ كُلُّهُ، لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ، وَلَا شَاهَدْتُ شَيْئَكَ، كَرَّمَ خَيْمَ، وَلَيْنَ عَرِيكَ، وَجُودَ بَنَانٍ، وَحُضُورَ بَشَرٍ، وَتَهْلُلَ وَجْهِ، وَحُسْنَ وَعْدٍ، وَقُرْبَ إِنْجَازٍ، وَبَذَلَ مَالٍ، وَحُبَّ حِكْمَةٍ^(٢).

قَدْ شَاهَدْتُ نَاسًا فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، صِغَارًا وَكِبَارًا وَأَوْسَاطًا، فَأَشَاهَدْتُ مَنْ يَدِينُ بِالْمَجْدِ، وَيَتَحَلَّى^(٣) بِالْجُودِ، وَبَرَّ تَدْيٍ بِالْعَفْوِ، وَيَتَأَزَّرُ^(٤) بِالْحِلْمِ؛ وَيُعْطَى بِالْجُزَافِ، وَيَفْرَحُ بِالْأَضْيَافِ، وَيَصِلُ الْإِسْعَافَ بِالْإِسْعَافِ، وَالْإِتْحَافَ بِالْإِتْحَافِ، غَيْرَكَ.

وَاللَّهُ إِنَّكَ لَتَهَبُ الدَّرْهَمَ وَالْدِينَارَ وَكَأَنَّكَ غَضَبَانُ عَلَيْهِمَا، وَتُطْعِمُ الصَّادِرَ وَالْوَارِدَ كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَسْتَخْلَفَكَ عَلَى رِزْقِهِمَا؛ ثُمَّ تَتَجَاوَزُ الْفِضَّةَ وَالْفِضَّةَ إِلَى الثِّيَابِ الْعَزِيزَةِ، وَالْخَلْعِ النَفِيسَةِ، وَالْخَيْلِ الْعِتَاقِ، وَالْمَرَاكِبِ الثَّقَالِ، وَالنِّلْمَانِ وَالْجُوَارِي، حَتَّى الْكُتُبِ وَالْدَفَاتِرِ وَمَا يَضُنُّ بِهِ كُلُّ جَوَادٍ؛ وَمَا هَذَا مِنْ سَجَايَا الْبَشَرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ هَذَا نَبِيًّا صَادِقًا، وَوَلِيًّا لِلَّهِ مُجْتَبَىً، [فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَّنَ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْفَقْرِ، وَرَفَعَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عِزَّ الْمَالِ]، وَهُوَ عَلَى

(١) فِي (١): «الْأَطْفَارُ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) كَذَا فِي (ب). وَالَّذِي فِي (١): «وَبَذَلَ مَا أَوْجَبَ حِكْمَةً»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا لَا يَخْفَى.

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: «وَيَتَحَلَّى»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ سِوَاهُ مَا أَثْبَتْنَا، إِذْ لَيْسَ اتِّحَالُ الْجُودِ مِمَّا يَمْدَحُ بِهِ.

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: «وَيَبَارِزُ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

الإفراج عن كلِّ مُنْهِسٍ^(١) ، ياقوتاً كان أو دُرّاً ، ذهباً كان أو فضةً ؛ كفاكَ اللهُ عَيْنَ الحاسِدين ، وَوَقَاكَ كَيْدَ المُفْسِدين ، الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم بِالْأَمْسِ عَلَى رُءُوسِ الْأَنْشَادِ ، وَكَانُوا كَحَصَى فِجْلَتِهِمْ كَالْأَطْوَادِ ؛ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِأَيْدِيكَ ، وَيَوَالُونَ أَعَادِيكَ ، وَيَتَمَنُّونَ لَكَ مَا أَرْجُو أَنَّ اللَّهَ يَغْضِبُهُ بِرُءُوسِهِمْ ، وَيُنْزِلُهُ عَلَى أُرْوَاحِهِمْ ، وَيُذِيقُهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ يَرَامُ وَيَسْتَمَعُ بِهِمْ ، كَانَ اللَّهُ لَكَ وَمَعَكَ ، وَحَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ .

أُحِلَّتْ الْحَدِيثُ تِلْكَذَا بِمَوَاجِهَتِكَ ، وَوَصَلَتْهُ خِدْمَةٌ لِذَوَلَّتِكَ ، وَكَرَّرَتْهُ تَوْقَعًا لِحُسْنِ مَوْقِعِهِ عِنْدَكَ ، وَأَعَدَّتْهُ وَابْدَيْتُهُ طَلِبًا لِلْكَاثَةِ فِي نَفْسِكَ .

وَأَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا أُخْرِمَ هَبَّةً مِنْ رِيحِكَ ، وَنَسِيماً مِنْ سَحَرِكَ ، وَخَيْرَةً بِنَظَرِكَ . لَمْ أَوْفَقْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ مَا يَمُرُّ بِنِ يَأْسٍ مِنْ إِنْصَامِكَ فَأَقْوِيهِ بِالرَّجَاءِ ، وَلَا يَفْتَرِيْنِي وَنَمَّ فِي الْخَيْبَةِ لَدَيْكَ فَأَتْلَاهُ بِالْأَمَلِ . إِنَّمَا قَصَارَى أُمْنِيَّتِي إِذَا حُكِمْتُ أَنْ أُعْطَى فِيكَ سُؤْلِي بِالْبَقَاءِ الْمَدِيدِ ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ ، وَالْعَدْوِ الصَّرِيعِ ، وَالْوَلِيِّ الرَّفِيعِ ، وَالذَّوْلَةِ الْمُسْتَنْتَبَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْمُسْتَحْتَبَةِ ، وَالْأَمَالِ الْمَبْلُوغَةِ ، وَالْأَمَانِ الْمَذْرُوكَةِ ، مَعَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ التَّافِذِينَ ، بَيْنَ أَهْلِ الْخَافِقِينَ ؛ وَاللَّهُ يُبْلِغُنِي ذَلِكَ بِطَوْلِهِ وَمَنَّةٍ .

وَأَخِرُ مَا أَقُولُ ، أَيُّهَا الْوَزِيرُ : مَرُّ بِالصَّدَقَاتِ ، فَإِنَّهَا مَجْلَبَةُ السَّلَامَاتِ وَالْكَرَامَاتِ ، مَدْفَعَةٌ لِلْسَّكَارَةِ وَالْآفَاتِ ؛ وَاهْتِجِرُ الشَّرَابَ ، وَادِّمِ النَّظَرَ فِي الْمُسْحَفِ ، وَافْزَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْأَسْتِخَارَةِ ، وَإِلَى النَّقَاتِ بِالْأَسْتِشَارَةِ ؛ وَلَا تَبْخُلْ عَلَى نَفْسِكَ بِرَأْيٍ غَيْرِكَ ، وَإِنْ كَانَ خَامِلاً فِي نَفْسِكَ ، قَلِيلاً فِي عَيْنِكَ ،

(١) كَذَا فِي (١) . وَالْفِي فِي (ب) : « مَعْسَر » ، وَلَا يَسْتَعْمِلُ مَعَهُ الْكَلَامُ الْآتِي بَعْدَ .

فَإِنَّ الرَّأْيَ كَالذَّرَّةِ الَّتِي رُبَّمَا ^(١) وَجِدْتَ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَزَبَلَةِ ، وَقَلَّ مِنْ فَرَزَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَإِلَى الصَّدِيقِ بِالإِسْعَادِ ^(٢) مِنْهُ ، إِلَّا أَرَاهُ اللَّهُ التَّجَاحَ فِي مَسْئَلَتِهِ ، وَالْقَضَاءَ لِحَاجَتِهِ ؛ وَالسَّلَامَ .

فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ بَعْدَ مَا قَرَأَ الرِّسَالَةَ : يَا أَبَا مَرْيَدَ ^(٣) ، يَبْيَضُّهَا ، وَعَجِبْتُ مِنْ تَشْفِيقِ الْقَوْلِ فِيهَا ، وَمِنْ لُطْفِ ^(٤) إِيرَادِكَ لَهَا ، وَمِنْ بِلَّةِ رِيْقِكَ بِهَا .
وَاللَّهُ يَحَقِّقُ مَا نَأْمُلُهُ لَهُ ، وَنَرْجُوهُ لَأَنْفُسِنَا ، وَيَنْحَسِرُ عَنْهَا هَذَا الضَّبَابُ الَّذِي رَكَدَ عَلَيْنَا ، وَيَزُولُ الْقَيْمُ الَّذِي اسْتَمْرَضَ فِي أَمْرِنَا ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكُّلُنَا ، (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

رسالة في شكوى البؤس ورجاء المعونة وجه بها المؤلف إلى الشيخ أبي الوفاء المهندس الذي كتب له المؤلف هذا الكتاب .
وختم كتابه بها :

أَيُّهَا الشَّيْخُ ، سَلَّمَكَ اللَّهُ بِالصَّنْعِ الْجَمِيلِ ، وَحَقَّقَكَ وَفِيكَ وَبِكَ غَايَةَ الْأُمُولِ .

هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ ، وَخَتَمْتُهُ بِالرِّسَالَتَيْنِ ، وَيَتَقَرَّرُ جَمِيعُ مَا جَرَى وَدَارَ ^(٥) عَلَى وَجْهِهِ ، إِلَّا مَا لَمَمْتُ بِهِ شَعْمًا ، وَزَيَّنْتُ ^(٦) بِهِ لَفْظًا ، وَزِيدْتُ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «إِنَّمَا» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «بِالإِسْعَادِ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «يَا أَبَا فَرِيدَ» .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «لُفْظًا» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَدَارَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَزَيَّنْتُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

مَنْقُوصًا ، ولم أَظْلِمْ معنَى بالتَّحْرِيفِ ، ولا مِلْتُ فيه إلى التَّخْوِيرِ^(١) ؛ وأرجو أن يَبَيِّنَ وَجْهِي عِنْدَكَ بِالرَّضَا عَنِّي ، فقد كَادَ وَعْدُكَ فِي عِنَايَتِكَ^(٢) بَأَنِّي عَلَى ، وأنا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ عِنَايَتَكَ عَلَيَّ ، كَسَابِقِ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي ،^(٣) حَقِّي أَمْلِكَ بِهِمَا^(٤) ، ما وَعَدْتَنِيهِ مِنْ تَكْرِمَةٍ هَذَا الْوَزِيرُ الَّذِي قَدْ أَشْبَعَ كُلَّ جَائِعٍ ، وَكَسَا كُلَّ عَارٍ ، وَتَأَلَّفَ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَى كُلِّ مُسِيءٍ^(٥) ، وَنَوَّهَ بِكُلِّ خَامِلٍ ، وَتَفَقَّ^(٦) كُلَّ هَزِيلٍ ، وَأَعَزَّ كُلَّ ذَائِلٍ ؛ ولم يَبْقَ فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ عَلَى قَهْرِهِ وَبُؤْسِهِ ، وَمُرَّةٍ وَيَأْسِهِ ، غَيْرِي ؛ مع خِدْمَتِي السَّالِفَةِ وَالْآتِيَةِ ، وَبَذَلِي كُلَّ مُجْهُودٍ ، وَنَسَخِي كُلَّ عَرِيصٍ ، وَقِيَامِي بِكُلِّ صَنْبٍ ؛ وَالْأَمُورُ مَقْدَرَةٌ ، وَالْحُظُوظُ أَقْسَامٌ ، وَالْكَذْحُ لَا يَأْتِي بِغَيْرِ مَا فِي الْوُح .

فصل

خَلَفْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٧) مِنْ التَّكَنُّفِ ، أَنْفِذْنِي مِنْ لُئْسِ الْفَقْرِ ، أَطْلِقْنِي مِنْ قَيْدِ الْفُرِّ ، اشْتَرِنِي بِالْإِحْسَانِ ، اعْتَبِدْنِي بِالشُّكْرِ ، اسْتَعْمِلْ لِسَانِي بِفُنُونِ الْمَدْحِ ، لِكَيْفِي مَوْزُونَةَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ .

(١) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام : « التجويز » — بالجيم والزاي ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام : « غنائك » ؛ وهو تحريف سواه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٣) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام هكذا « بأمر يرحى » ولا معنى لها على هذا الوجه ؛ والصواب ما أثبتنا ، كما يقتضيه السياق .

(٤) بهما ، أى بالعناية والاهتمام .

(٥) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام : « نيه » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام : « وفق » ؛ وهو تحريف .

(٧) يريد بالرجل أبا الوفاء وهو الملقى لربه لدى الوزير .

إلى متى الكسيرة اليابسة ، والبقيلة الذأوبية ، والقبيص الرقع ، وبألى
درب الحجاب ، وسذاب درب الرؤاسين ؟

إلى متى العادّم بالخبر والزيتون ؟ قد والله يح الخلق ، وتغير الخلق ؛
الله الله فى أمرى ؛ اجبرنى فإننى مكسور ، اسقنى فإننى صدي ، أغثنى فإننى
ملهوف ، شهّرنى فإننى غفل ، حلّنى فإننى عاطل .

قد أذلّنى السقر من بلد إلى بلد ، وخذّلنى الوقوف على باب باب ،
ونسكرنى العارف بى ، وتباعد عنى القريب منى .

أغرك مسكوبه حين قال لك : قد تليت أبا حيان ، وقد أخرجته مع
صاحب البريد إلى قرميسين ؟ !

والله ثم وحياتك التى هى حياتى ، ما انقلب من ذلك بنفقة شهر ، والله
نظرت لى بالعود ، فإن الأراجيف اتصلت ، والأرض اقشعرت ، والنفوس
استوحشت ، وتشبه كل ثعلب بأسد ، وقتل كل إنسان لعدوه حبلا
من مسد .

أيها الكريم ، ارحم ؛ والله ما يكفينى ما يصل إلى فى كل شهر من
هذا الرزق المقر الذى يرجع بعد التفتير والتيسير إلى أربعين درهما مع هذه
للثونة الغليظة ، والسفر الشاق^(١) ، والأواب المحجبة ، والوجوه المقطبة ،
والأيدي المسرة ، والنفوس الضيقة ، والأخلاق الدنيئة .

أيها السيد ، أقصر تأملى ، ازرع ذمام للنح بينى وبينك ، وتذكر

(١) وردت هذه العبارة فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « والسمر
الشارى » ؛ وهو تحريف سوابه ما أمتنا أخذا من سياق الكلام .

العهد في صُحْبَتِي ، طَالِبِ نَفْسِكَ بِمَا يَقْطَعُ حُجَّتِي ، دَعْنِي مِنَ التَّمْلِيلِ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَالتَّسْوِيفِ الَّذِي لَا آخَرَ مَعَهُ .

ذَكَرَ الْوَزِيرَ أَمْرِي ، وَكَرَّزَ عَلَى أذُنِهِ ذِكْرِي ، وَأَمَّلَ عَلَيْهِ سُورَةَ مِنْ شُكْرِي ، وَأَبْعَثَهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيَّ .

افْتَحَ عَلَيْهِ بَابًا يُفْرِي^(١) الرَّاغِبَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ لَا يَسْتَفْنِي عَنِ الْمَرْغَبِ ، وَالْفَاعِلُ لِلْخَيْرِ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْبَاعِثِ عَلَيْهِ .

أَنْفَقَ جَاهَكَ فَإِنَّهُ بِمَحْمَدٍ اللَّهِ عَرِيضٌ ، وَإِذَا جُدْتَ بِالْمَالِ فَجَدُّ أَيْضًا بِالْجَاهِ ، فَإِنَّهُمَا أَخَوَانِ .

سَرَّخَنِي رَسُولًا إِلَى صَاحِبِ الْبَطَائِحِ أَوْ^(٢) إِلَى أَبِي السُّؤْلِ الْكَرْدِيِّ^(٣) أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مَنْ هُوَ فِي الْجِبَالِ ، هَذَا إِنْ لَمْ تُؤْهِلْنِي بِرِسَالَةٍ إِلَى سَعْدِ الْمَعَالِي بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، وَإِلَى الْبَصْرَةِ ، فَإِنِّي أَبْلُغُ فِي تَحْمِيلِ مَا أَجَلُّ ، وَأَدَاءِ مَا أَوْدَى ؛ وَتَرْيِينِ مَا أَرْيَيْتَ ، حَدًّا^(٤) أُمْلِكُ بِهِ الْحَمْدَ ، وَأَعْرِفُ فِيهِ بِالنَّصِيحَةِ وَأُسْتَوْفِي فِيهِ عَلَى الْغَايَةِ . دَعَّ هَذَا ، وَدَعَّ لِي أَلْفَ دَرَمٍ ، فَإِنِّي أَتَّخِذُ رَأْسَ مَالٍ ، وَأُشَارِكُ بِقَالَ الْمَحَلَّةِ فِي دَرْبِ الْحَاجِبِ ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَا ، تَقَدَّمْ إِلَى كَسَجِ^(٥) الْبَقَالِ حَتَّى يَسْتَمِيعَ بِي لِأَبِيعَ الدَّقَاتَرِ . قُلْتَ : الْوَزِيرُ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « يَفْنَى » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَاهُ

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « لَوَالِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ دُونَ (ب) وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « جَدَا » بِالْجِيمِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ بِالْكَافِ وَالسَّيْنِ وَالْجِيمِ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ ؛ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

مَشْغُول . فما أَضْنَعُ به إذا فَرَّغ ، فالشاعرُ يقول :

« تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ »

قد والله نَسِيتُ صَدَرَ هذا البيت ، وما بال^(١) غَيْرِي يُنَوِّله وَيُؤَوِّله مع شُغْلِهِ^(٢) وأَحْرَمَ أَنَا ۝ أَنَا كما قال الشاعر :

وَبَرَّقَ أَضَاءُ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ
وَاللَّهِ إِنَّ الْوَزِيرَ مَعَ أَشْغَالِهِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَأَتَقَالِهِ الْبَاهِظَةِ ، وَفِكْرِهِ الْمَفْضُوزِ^(٣)
وَرَأْيِهِ الْمَشْتَرَكِ ، لِكَرِيمٍ مَاجِدٍ ، وَمُفْضِلٍ مُحْسِنٍ ، يَرْتَعَى الْقَلِيلَ مِنَ الْخُرْمَةِ ،
وَيُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ النِّعْمَةِ ، وَيُحَافِظُ عَلَى الْيَسِيرِ مِنَ الذَّمِّ ، وَيَقْبَلُ مَذَاهِبَ
الْكَرَامِ ، وَيَقْلُدُ بِأَشْنَاءِ إِذَا سَمِعَ ، وَيَتَرَضُّ لِلشُّكْرِ مِنْ كُلِّ مُنْتَجِعٍ ،
وَيَزَرِّعُ الْخَيْرَ ، رِيحُ خُصْدُ الْأَجْرِ ، وَيَوَاطِبُ عَلَى كَسْبِ الْمَجْدِ ، وَيُنَابِرُ عَلَى
أَحْتِلَابِ الْخُذِّ ، وَيَنْخَدِعُ لِلْسَائِلِ ، وَيَتَهَلَّلُ فِي وَجْهِ الْأَمِيلِ ، وَلَا يَتَذَبَّبُ مِنْ
الْفَضَائِلِ إِلَّا فِي ذُرَاهَا ، رَحِمَ بِكُلِّ غَادٍ وَرَاحٍ ، وَلِكُلِّ صَالِحٍ وَطَالِحِ .

وَأَنَا الْجَارُ الْقَدِيمُ ، وَالْعَبْدُ الشَّاكِرُ ، وَالصَّاحِبُ الْمَخْبُورُ ، وَلَكِنَّكَ مُقْبِلٌ
كَالْمُغْرَضِ ، وَمَقْدَّمٌ كَالْمُؤَخَّرِ^(٤) ، وَمُوقِدٌ كَالْمُخْمِدِ ، تَذْنِينِي إِلَى حَظِّي
بِشِمَاكَ ، وَتَجَذِّبُنِي عَنْ ثَنِيْلِهِ بِبَهْمِيْنِكَ ، وَتَقْذِيبُنِي بِوَعْدِكَ كَالْمَسْلِ ، وَتُعْشِيْنِي

(١) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « وما قال

غَيْرِي سَوَّلَ وَتَحَوَّلَ مع شُغْلِهِ وَآخِرُ مِنْ أَنَا » ؛ وفيها تحريف ظاهر لا يستقيم به المعنى .

(٢) يُنَوِّله وَيُؤَوِّله ، أى ينوله الوزير ويؤوله . مع شُغْلِهِ ، أى مع شغل الوزير .

(٣) المفضوز ، أى المنفرد غير المجتمع .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ومؤخر كالقدم » ؛ وفي

كلتا الكلمتين تقديم وتأخير من الناسخ ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

بِئْسَ كَالْحَنَظَلِ ، « وَمَنْ ^(١) كَانَ عَتَبَهُ عَلَى مِطْنَةٍ عَيْبِكَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَقْصِيرُهُ عَلَى نِيَّتِهِ ^(٢) بِنَصْرِكَ » .

نَمْ ؛ عَتَبْتُ فَأَوْجَعْتُ ، وَعَرَفْتُ الْبِرَاءَةَ فَهَلَا نَفَعَتْ ؟ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ ، إِنَّ شَكَرْتُكَ عَلَى ظَاهِرِكَ الصَّحِيحِ لَدَعْتُكَ لِبَاطِنِكَ السَّقِيمِ ، وَإِنْ حَذَرْتُكَ عَلَى أَوْلِكَ الْجَلِيلِ ، أَفْسَدْتُ لَأَخْرِكَ الَّذِي لَيْسَ بِجَمِيلٍ .

قَدْ أَطَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا شَفِيتُ ، وَنَهَلْتُ وَعَلَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا رَوَيْتُ .
وَأَخِيرُ مَا أَقُولُ : اِفْعَلْ مَا تَرَى ، وَأَصْنَعْ مَا تَسْتَحْسِنُ ، وَأَبْلُغْ مَا تَهْوَى ، فَلَيْسَ وَاللَّهِ مِنْكَ بَدْ ، وَلَا عَنْكَ غِنَى .

وَالصَّبْرُ عَلَيْكَ أَهْرُنُ مِنَ الصَّبْرِ عَنْكَ ، لِأَنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ مَقْرُونٌ بِالتَّيَّاسِ ، وَالصَّبْرَ عَلَيْكَ رُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ هَذَا الْوَسْوَاسِ ، وَالسَّلَامُ لِلْأَهْلِ السَّلَامِ .

صورة ما كتبه الناسخ في آخر النسخة المرموز إليها بحرف (ا)

تم الجزء الثالث من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » بحول الله وحسن توفيقه ، في شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة ، على يد أضعف العباد شرف بن أميرة ، أصلح الله شأنه ، في مصر المحروسة ، حماها الله تعالى من الآفات والمآهات ، ومن عوادي الزمان . آمين يا رب العالمين .

تم الكتاب

(١) كذا ورد هذا الكلام في الأصل . وفيه تحريف ظاهر لم نهند إلى وجه الصواب فيه .

(٢) على يقينه ، أى مع بيقينه . « ويكون » معنا تامة .

فهرست الاعلام

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ابن حجاج الشامي — ١٥٣ ح | الأمدي — ٢٧ |
| ابن حذقير — ١٤٨ ح | إبراهيم بن الجنيد — ٤ |
| ابن حريار = أبو محمد | إبراهيم (الحنبل) — ٨٧، ٣ |
| ابن حسان الفاضل — ١٥٤، ١٥٧ | الأبرش الكلبي — ١٧٣، ١٧٤ |
| ابن حفص (صاحب الديوان) — ٢١٣ | ابن أبي البغل — ٤٧ |
| ابن درستويه — ٢١٣ | ابن أبي بكرة — ٥ |
| ابن الدقاق — ١٦١ | ابن أبي عمرة القرابي — ٧٦ ح |
| ابن دينار — ٤٧ | ابن الأثير — ٧٢ ح |
| ابن رباط الكوفي شيخ الكرخ ونايب | ابن أحمد — ٢٠٦ |
| الشعبة — ١٥٣، ١٩٢ | ابن الأخشاد — ١٩٦ |
| ابن الزبير — ١٨٢ | ابن آدم — ٢٨ |
| ابن زوعة النصراني = أبو علي | ابن آدم التاجر — ١٥٣ |
| ابن زياد = مبيد الله | ابن أسادة — ٢٨ |
| ابن السراج — ٢١٦ | ابن الأعرابي — ١٤، ٢٦، ٣٠، ٤٨، |
| ابن سكرة — ٧٧ | ٨١، ٧٣، ٥٤ |
| ابن السكيت = يعقوب | ابن أيوب الطعان — ١٥٣ |
| ابن سلام — ٢٩ | ابن بدر — ٤١ |
| ابن السكك — ١٥٨ | ابن برمويه — ١٩٨ |
| ابن سمعون — ١٤٧ | ابن البقال — ١٩٠، ١٩٥، ٢١٣ |
| ابن سورين — ٢١٢، ٢١٣ | ابن التلاج — ١٩٦ |
| ابن سيابة الفاضل = أبو بكر | ابن جبلة — ١٩٨ |
| ابن سيرين — ٣ | ابن الجصاص الصوفي — ٧٧ |
| ابن شاهويه = أبو بكر | ابن حبيب — ٢٧، ٣٥، ٤١ |
| ابن صيفي — ١٦٥ ح | |
| ابن ضيمون الصوفي — ٧٦ | |
| ابن الضحاك بن ليس التهمري — ١٦٥ | |

أبو أحمد اللوسوى — ١٦١
 أبو أحمد بن الميثم — ٢١٣
 أبو الأرخنة — ١٦٠
 أبو إسحاق الصائغ — ١٥٩ ، ٢١٣
 أبو الأسود الدؤلى — ٣٣ ، ١٧٦
 أبو أمية بن المغيرة — ٥٣
 أبو أيوب الأنصارى — ١٠
 أبو بردة بن أبي موسى الأشعرى — ٩٧٧
 أبو بكر بن شاهويه — ١٤٨ ، ١٤٩
 أبو بكر أحمد بن إبراهيم — ٧
 أبو بكر الرازى — ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨
 أبو بكر الزهرى — ٢١٧
 أبو بكر بن سيار القاضى — ١٥٤
 أبو بكر الصديق — ١٠ ، ١٠٣ ، ١٦٦ ، ١٩٩
 أبو بكر = عبدة بن الزبير
 أبو تمام الزينى — ١٠٠ ، ١٥٣ ، ٧١٣
 أبو تمام (الشاعر) — ١٨٥ ، ١٨٦
 أبو الجراح (ابن عياش) — ٥٢ ، ٥٥ ، ١٧٦
 أبو جعفر المنصور (الخليفة) — ١٥٩ ح ، ١٨٠ ، ١٨١
 أبو الجوزاء — ٣١
 أبو حاتم — ٨١
 أبو الحارث حميد — ٣٩
 أبو الحارث = الليث بن سعد
 أبو حازم الدنى — ٦
 أبو حامد الروروذى القاضى — ١٠٠ ، ٢١٣ ، ١٨٨
 أبو حنيفة = جرير العامر
 أبو الحسن — ١٥٤
 أبو الحسن الضرير — ٩٤
 أبو الحسن الطوسى — ١٢ ، ١٣ ، ١٤
 أبو الحسن الناصرى — ٩٤

ابن طاهر — ٢٠٧
 ابن الطحان الضرير البصرى — ١٩٦
 ابن غليان التميمى = عبدة بن زياد بن غليان
 ابن حاصر — ٨٤
 ابن عباد (المصاحب) — ٧ ، ١٨٤
 ابن عباس — ٧٦ ، ٧٧
 ابن عبد المنصورى — ١٠٠
 ابن عبدة — ٥١
 ابن عبدة الكاتب — ٧٤
 ابن عطاه — ١٦٥ ح
 ابن علقمة — ٥٩ ح
 ابن عمر — ٥٩ ، ٥
 ابن عياش (المتوفى) — ١٧٢ ، ١٧٦
 ابن غسان البصرى — ٧٨
 ابن غسان القاضى — ١٥٣
 ابن فارس = أبو الفتح
 ابن قريمة — ٢١٣
 ابن قرارة المطار — ٧٥
 ابن القرية — ٤٨
 ابن كبرويه — ١٦٠
 ابن كيسان — ٦
 ابن المبارك — ٤
 ابن معروف القاضى — ١٠٠ ، ١٥٣ ، ١٨٨ ، ٢١٧
 ابن مقلة = أبو علي
 ابن مكرم — ٦٩ ، ١٥٣
 ابن نورية — ٧٣
 ابن هبيرة = عمر
 ابن الميثم — ١٩٥
 ابن وسيف — ٢٠٦
 ابن يزيدى — ٢٢٢
 ابن يوسف = عبد العزيز
 أبو أحمد الجرجاني — ١٥٤

- أبو الحسن = علي بن عيسى الرمانى
أبو الحسن الميثم — ١٨
أبو الحسين البني — ١٠٠
أبو حنيفة (الإمام) — ١٨٠
أبو حيان — ٢٢٧
أبو خالد أصيد — ١٦٦ ح
أبو خالد الكاتب = أحمد
أبو خالد مروان بن الحكم — (كذا)
١٨٠ ، ١٦٥
أبو الخطاب الصابي — ٢١٣
أبو خليفة الفضل بن الحباب — ٧
أبو الخندف — ١٨٣
أبو الخير — ١٠٦
أبو دلامة الأسدي — ٢٤
أبو الدود — ١٦٠
أبو الدياب — ١٦٠
أبو زكرياء الزاهد — ٩٢
أبو زيد (النكوي) ، ٣٧ ، ١٨٥
أبو زين = بكر بن نطاح
أبو سعيد الحضرمي — ١٩٢
أبو سعيد الحضرمي — ٥
أبو سعيد الخزاز — ٩٧
أبو سعيد السيفي — ١٥٤ ، ١٢٩ ، ٨٣ ، ١٠٤
٢١٣ ، ٢٠٤ ، ١٩٩ ، ١٧٨ ، ١٥٨
أبو سعيد بن الناس — ١٦٦
أبو السفر — ١٦٦
أبو سفيان (والد معاوية) — ١٧٨
أبو سليمان النطقي — ٩٩ ، ٩٧ ، ٨٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧
- أبو السؤل الكردى — ٢٢٨
أبو شاعر بن همام بن عبد الملك — ١٧٢
أبو صالح — ٧٦
أبو الصلت — ٦١
أبو طنبلة الحرمازي — ٨١
أبو الطمغان القتي — ٧٣
أبو العباس (صاحب جيش آل سامان) — ٩١
أبو العباس البرد — ١٧٣ ، ٥٤ ، ١٨٦ ح
أبو عبد الله البصري — ٢١٣
أبو عبد الله (همام) — ١٢
أبو عبد الله البزدي — ٧٥
أبو عبد الله القزويني — ٢١٣
أبو عبيدة — ١٣ ، ٣٨ ، ٤٨
أبو عثمان الأدي — ١٩٦
أبو العلاء ساعد — ٢١٣
أبو علقمة — ١٨٥
أبو علي — ١٢٩
أبو علي الحسن بن علي القاضي التنوخي —
١٤٨
أبو علي = عيسى بن زرعة
أبو علي = هاشم بن الطليل
أبو علي القالي (صاحب الأمالي) — ٣٦ ح
أبو علي بن مقله — ٧٥
أبو عمر النشاري — ٧٦
أبو عمرو — ٣٣ ، ٥٩
أبو عمرو بن أمية — ٥٣
أبو عيسى الوراق — ١٩٢
أبو العيلاء — ٦٩
أبو الفتح بن فارس — ٢٠٥ ، ٢٠٦
أبو فراس (الفرزدق) — ١٦٨ ، ١٨٥
أبو فرعون القاشي — ٣٤ ، ٧٠
أبو فرعون المدوي — ٧
أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير =
العباس بن الحسين الوزير

أحمد بن إبراهيم = أبو بكر
 أحمد بن أبي خالد الكاتب — ٨٠
 أحمد بن روح الأهوازي — ٧٧
 أحمد الطويل — ٢١٣
 أحمد بن يوسف الكاتب — ٨٠
 الأخنف بن قيس — ١٧٣، ٥٩
 الأحوص الشاعر — ١٨٤
 الأطلال الشاعر — ١٨٣
 أردشير — ٤٠
 أرسطوطاليس — ١٠٠
 استاينجاس — ٧٠ ح، ٧٤ ح، ٧٥ ح،
 ١٧٥ ح
 إسحاق (النبي) — ٧٨
 إسحاق الموصلي — ٧٩، ٨٠
 أسد بن عبد الغزي — ٥٣
 أسد المجاسي — ٩٧
 أسعد بن زرارة — ١٠
 الإسكندر — ٩٨
 أسماء بن خارجة — ٢
 أسماء بنت عميس — ٧٢،
 ١٨٢
 أسود الزيد — ١٦٠
 الأسود بن الطلب بن أسد بن عبد النزي
 ٥٣
 أسيد = أبو خالد
 الأصمعي — ٦، ١٣، ١٦، ١٨ ح،
 ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٥٨، ٨١
 الأعشى — ١١، ٤٨، ١٧٤
 الأعمش — ٣
 أم أيوب — ٩
 أم البنين — ٦
 أم الجلال — ١٧٤
 أم الخندف — ١٨٣
 أم سلمة — ٧٢ ح

أبو القاسم الحارثي — ١٨٨
 أبو القاسم أخو محمد القاسمي — ٢١٧
 أبو القاسم = عبد العزيز بن يوسف
 أبو خثافة — ١٦٦
 أبو الق مقام — ٦٩
 أبو الكرشاء — ٣٤
 أبو كعب الأنصاري — ١٥٤، ١٥٦،
 ١٩٦
 أبو لهب — ١٨٠
 أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي
 أبو محمد بن حريز (كذا) — ١٤٨
 أبو محمد الشالوسي — ١٥٣
 أبو محمد المروسي — ١٨٦
 أبو محمد الفارسي — ٢١٣
 أبو محمد القاسمي — ٢١٧
 أبو محمد = مسعر بن مكرم
 أبو محمد الهلبي — ٢١٣
 أبو مزروق — ٢٦
 أبو مزيد — ٢٢٥
 أبو مطر = عبيدة بن زياد بن ظبيان
 التيمي — ١٨٣
 أبو منصور القطان — ٤٥
 أبو موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو النجم — ٢٥، ٢٦ ح
 أبو النفيس — ١٣٨
 أبو التوايح — ١٦٠
 أبو هريرة — ٤٦
 أبو حام — ١٩٨
 أبو الوفاء المهندس — ١٥٤، ١٥٩
 ٢٠٧ ح، ٢٢٢، ٢٢٥
 أبو يزيد البسطامي — ٩٧
 أبو يوسف (حاجب عبد الملك بن مروان)
 — ١٦٨

التورى — ١٣ ، ٢٢

(ج)

- جابر (ابن عبد الله) — ٤٠ ، ٦٠
 جابر بن قبيصة — ٤٥
 الجاحظ — ٢ ، ٣ ، ٢٥٠ ح
 جالينوس — ١٢٩
 الجرجاني — ٢١٧
 الجرجاني — ٢١٧
 جرير (الشاعر) — ٥٨٤ ح ، ١٦٧ ح ،
 ١٨٣ ح ، ١٨٤ ، ١٨٦
 جبل — ١٥٤
 جعفران الموسوس — ٨٣
 جيز — ١٠٢
 جبل — ١٦٨
 الجعيد بن عبد الرحمن — ١٧٩
 الجعيد بن محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧
 جهنم — ١٩٦
 الجواليقي — ١٨٩

(ح)

- حاتم الأصم — ٣ ح ، ٤ ، ٨٥
 حاتم الطائي — ٤٢
 الحاتمي — ١٢٦ ، ١٢٧
 الحارث بن أسد المحاسبي — ٩٧
 حاطب بن أبي بلتعة — ١٧٩
 حامد القفاف المزهد (كنا) — ٣
 الحجاج (ابن يوسف الثقفي) — ٨٠ ،
 ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٢
 الحجابي — ٧١
 حذيفة — ١٠٢
 حسان (ابن ثابت) — ١٧٨ ، ١٦٥ ، ٣٨

أم عباد — ٥١

أم هشام السلوية — ١٨

أمية أخو خالد — ١٧١

أمية بن عبد الله بن خالد — ١٧٠

الأندلسي (أبو العباس) — ١٨ ، ١٢٦

الأصمباري بن كعب — ١٩٦

أيوب بن غليان — ١٦٧ ح

(ب)

- بثينة جبل — ١٦٨
 البحتري — ١٨٥ ، ١٨٦
 بختيار (عز الدولة) — ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
 ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩
 بشار (ابن برد) — ٣١
 بكر بن عبد الله الزني — ٣
 بكر بن نطاح — ٥٠
 بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري —
 ١٧٧ ، ١٨٥
 بهرام — ٢١٠
 بهرام جور — ١٧٥
 بيان التبان بن سمان التميمي — ١٧٦ ح

(ت)

التوزي — ١٣ ح

(ث)

- ثابت (ابن عبد الله بن الزبير) — ١٦٤ ،
 ١٦٦
 الثعالبي — ١٦٧ ح
 ثعلب — ٧ ح
 ثعلبة (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح

الحليل — ٢١٧

خيمنة — ٣

(د)

دفيف (كذا) — ٤٩ ، ٥٠

دوس — ٩

ديك الجن — ٣٤

(ذ)

ذو الرمة — ٦١ ح

ذؤيب بن عمرو — ١٥

(ر)

الربضي — ١٥٠

رجاء بن سلعة — ١٥

رستم (صاحب الأعاجيب) — ١٠٢ ، ١٠٤

رقية بن مصقلة — ٣٤

رويم — ٩٧

(ز)

زامل بن عمرو — ١٧٩ ، ١٨٠

الزبرقان بن بدر — ١٦٣

الزبير — ١٧١

الزبير الأسدي — ١٠٤ ح

الزبيرى — ١٤ ، ١٥٣

زفر بن الحارث الكلبي — ١٧٠ ، ١٧١

الزخفرى — ٧٢ ح

زمنة بن الأسود — ٥٣ ح

الزهري — ١٠٠ ، ١٥٣ ح

زهير (ابن أبي سلمى) — ٤١ ، ١٨٦

الزهيرى — ١٩٦

الحسن — ٥

الحسن البصرى — ٣٥ ، ٣٧ ، ١٥٨ ،

١٦٠ ، ٢١٤

الحسن بن سهل — ٨٣

الحسن بن طلى بن أبي طالب — ٢ ، ١٨٠

الحسن بن علي القاضى التنوخى = أبو علي

الحكم بن أبي العاص — ١٦٤

حامد بن أبي سليمان — ٥

حامد بن أبي حنيفة — ١٨٠

حامد الراوية — ٦٧

حاتمة الخطيب م — ١٨٠

حدان — ٧٧

حمران — ١٨٤

حزة بن بيض الحنفى — ١٨٥

حزة للصنف — ٨٣

حمة ابن عاد (كذا) — ٤٩

حميد — ٨٣

الحنبلونى (كذا) — ٢٨

حوشب — ١٩ ، ١٧٢

(خ)

خالد بن أسيد — ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١

خالد البرمكى — ١٥٣ ح

خالد الحصى — ٢٠١

خالد بن صفوان بن الأهم — ٦٠ ، ١٦٨

خالد بن عبد الله — ١٧٦ ح

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ١٧٠

خالد بن عبد الله (الفسرى) — ١٧٧

خالد القرشى — ١٧٠

خالد بن الوليد — ١٦٥

خالد بن يزيد بن معاوية — ١٧٨

خدائش بن زهير — ١٧٢ ح

الخطاب (والد عمر) — ١٠٣

خديجة (أم للؤميتين) — ١٨٧

زياد — ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٢ ،
١٧٤

(س)

سابق الزبيدي — ٧٤
ساسنكر التركي (كذا) — ٢١٥
سالم — ١٥
سالم بن دارة — ١٦٧
السري — ٢١٢
سمد بن أبي ولس — ١٠٢ ، ١٠٣
سمد بن عبادة — ١٠ ، ١٦٩
سمد العللي — ٢٢٨
سميد بن سلمة — ٨٤
سميد بن القاس — ١٧ ح ، ١٦٦
سميد بن عبد الرحمن بن حسان — ١٦٨ ،
١٦٩
سميد بن عثمان بن عفان — ١٦٤
سميد بن أبي عروة — ٨٠
سميد بن الحبيب — ٣١
السفاح بن بكر — ٨٢
محمويه القاس — ٢٧
سفيان الثوري — ٣٧
سفيان بن معاوية المهلب — ١٨١
سلطان (أي سليمان) — ٨
سلطان الفارسي — ٨٣
سلمة — ٦٩
سليم — ٣٦
سليمان بن ثوبة — ٧
سليمان (ابن داود عليه السلام) — ٢٩ ،
١٠٣
سليمان بن عبد الملك — ١٦٨ ، ١٧١ ،
٢٢١
سماعة بن أشول — ٥١

سلمان التميمي — ١٧٦ ح
سنان بن أبي حارثة — ٨٢
سنان بن مكل — ١٦٧ ح
سنجر — ٢١٥ ح
السيرافي = أبو سعيد

(ش)

الشالوسي = أبو محمد
شرف بن ميرة — ٢٣٠
شريك بن محمد — ١٦٧ ح
الشمي — ٣٢ ، ١٨٣
شفيق البلخي — ٨٥
شمر (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
الشبنوني — ١٤

(ص)

الصابي = أبو إسحاق
صصمة — ١٧٨
صفية (أم المؤمنين) — ١٨٢
صهيب — ١٠

(ض)

الضحاك بن قيس الفهري — ١٦٥ ، ١٧١

(ط)

طاهر بن محمد بن إبراهيم — ٢٠٦
الطبري — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح
طفيل (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
طفيل المرائس — ٥٦
طلحة بن عبد الله — ١٧٩

طلحة بن عبيد الله — ٤٩

الطوسي — ١٣

(ع)

عادية بنت فرعة الزبيرية (كذا) — ٩

عاصم بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب

المصري — ٦٩

عاصم بن عبد القيس — ٨٤ ، ١٨٤

عائشة (أم المؤمنين) — ١٨٢ ، ٦٩ ، ٧

١٩٩

عباد بن زياد — ١٦٨

عباس بن الحسين الوزير — ٢١٣ ، ٢١٥

العبداني — ١٨٠

عبد الأعلى القاسم — ١٥

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — ١٨١

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت — ١٦٥ ،

١٦٨ ، ١٦٩

عبد الرحمن بن حوشب — ١٦٣

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — ١٦٥

عبد الرحمن بن سعيد القرشي — ٢٠١

عبد المزيّن بن يسار — ١٨

عبد المزيّن بن يوسف — ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ٢٢١

عبد الله بن الزبير — ١٠٤ ح ، ١٦٤ ،

١٨٢

عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي — ١٨١

عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس

٧٦ —

عبد الملك بن مروان — ٨٤ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٠١

عبيد الله بن زياد — ١٧٦

عبيد الله بن زياد بن ظبيان — ٤٨ ، ١٧٢

عبيد الله بن سليمان — ٨٩

عبيد الله بن عباس — ٤٢

عتمة بن أبي سفيان — ١٧٨

عثمان بن خالد — ١٩٥

عثمان بن رواح — ٤٠

عثمان بن عفان — ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ،

١٨٣ ، ١٩٩

عدة الدولة — ١٥٦

مهرام بن شتير — ١٦٧

عروة بن الزبير — ١٨٢

الريان بن المهيم الهجيمي — ١٧٧

من الدولة = مختار — ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،

١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩

عصدة الدولة — ١٤٨

هطاء بن أبي سفيان — ١٦٥

عقبة — ٥٣

عقيل (ابن أبي طالب) — ١٨٠ ، ١٨٤ ،

عقيل بن علفة — ٥٩

عكرمة بن ربيع الشيباني — ١٩

الطوي (صاحب الزنج) — ٤٣ ح

علي بن خالد الهجيمي — ١٧٣

علي بن أبي طالب — ٧٠ ح ، ١٨٣ ،

١٨٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩

علي بن عبد الله — ١٧٨

علي بن عبد الله بن العباس — ٧٦

علي بن عيسى — ١٦

علي بن عيسى الرماني (أبو الحسن) — ١٣٠ ،

١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،

علي بن محمد (رسول سجنستان) — ١٩٨

علي بن محمد ذو الكفائين — ٢١٧

عمار — ١٩

عمار (ابن عاد) (كذا) — ٤٩

الهاني الشاعر — ٥٦

عمر (ابن الخطاب) — ١٠ ، ١٣ ، ٤٥ ،

٥٩ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٢ ،

الفضل بن العباس — ٧٩

(ق)

قنادة — ٦٧

قتيبة (ابن مسلم) — ١٧٢، ٣٢

قرزعة بن إمام (كذا) — ٤٩٥

القومسي — ٢٢١، ٢١٦

قيس بن سعد بن عباد — ١٧٠، ١٦٩

قيصر — ٢٠٣

(ك)

الكروسي الشاعر — ٢٩

كسج البقال (كذا) — ٢٢٨

كسري — ٢٠٣، ١٧٥

الكلابي — ١٤

كاثوم بن المدم — ١٠

الكسيت — ١١

الكنيني — ١٣٣

كهس (كذا) — ٧

(ل)

ليد ابن ربيعة — ٦٩ ح

لقمان (الحكيم) — ٨٥

لقمان بن عاد — ٤٩

لقيط بن زورارة — ٦٢، ٦٠١

لوسترانج — ١٦٠ ح

الليث بن سعد — ٤

(م)

مالك بن دينار — ٣

مالك (ابن عاد) — ٤٩

١٧٨، ١٠٤، ١٠٣

عمر بن عبد العزيز — ١٨٣، ٦

عمر بن عمران — ٧

عمر بن حبيبة الفزاري — ١٦٧، ٣٩

١٧٦

عمرو بن الأحمم التميمي — ١٦٣

عمرو بن العاص — ١٨٢، ١٨١، ٤٤

١٨٣

عمرو بن عثمان اللحي — ٩٧

العوالي — ١٥٧، ١٥٤، ١٥٣، ٢٨

هيسى بن زوزة — ١٢٧، ٦٦، ٦٣

١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤

١٩٧

هيسى بن عمر — ١٦

هيسى بن مريم (عليه السلام) — ٣

١٧٩

(غ)

غسان بن ذهل — ٩ ح

الغلابي — ١٧٤

غيلان بن خرشة — ٦٧

غيلان الواعظ — ١٨٢

(ف)

الفتح الموصل — ٩٧

فخر الدولة — ٢١٩

الفراء — ١٣٠

فرج الرخبي — ١٢

الفرزدق — ٣١، ٣٤، ٥٩، ١٦٨

١٨٦، ١٨٥

فريصة — ١٦٦

فضل (رئيس الفرقة التي تنسب إليه) — ١٨٨

مطرف بن عبد الله بن الشيخير — ٤٦
 المطلب بن أسد بن عبد العزيز — ٥٣
 مطهر بن أحمد الكاتب — ٧٥
 المطيع لله (أمير المؤمنين) — ١٥٥
 معاوية (ابن أبي سفيان) — ٤٥، ٦٠
 ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٢
 معاوية بن صمصة — ١٦
 معاوية للهلي — ١٨١
 المتصم الخليفة — ١٠٥
 المتنشد (الخليفة) — ٨٨، ٨٩، ١٠٥
 للملح بن أيوب — ٢٠١
 معن بن أوس — ١٧
 معن بن زائدة — ١٨٠
 للغيرة بن شعبة — ٤٥
 المقجع — ٣٤
 المفضل الضبي — ١٨٣
 المقوقس (ملك الإسكندرية) — ١٧٩
 المنصور (أبو جعفر الخليفة) — ٧٦، ١٠٥
 ١٥٩، ١٨١
 منظور بن أبان — ١٧٨
 المهلب (ابن أبي صفرة) — ٨٥
 مهمل (ابن ربيعة الشاعر) — ١٧
 موريث — ١٣٠
 الموصل (أبو إسحاق) — ١٦١
 ميسرة الرءاس — ٧٩
 ميمون بن مهران — ٣

(ن)

الناطقة الشاعر — ٧٣، ١٨٦
 نصر بن سيار — ١٠١
 نض (ابن عاد كذا) — ٤٩، ٥٠

ملك بن مسيح — ١٧٢، ١٧٣
 للأمون (الخليفة) — ١٠٤، ١٠٥، ٢٠١
 للبرد = (أبو العباس)
 للنبي الشاعر — ٦٦ ح
 مجاهد — ٤٢
 المحبي — ٦٠ ح
 المحسن الضبي — ٨١
 محمد بن إبراهيم — ٩١، ٢٠٦، ٢١٩
 محمد بن بشير — ٢٨
 محمد بن بقة — ٢١٦
 محمد بن خالد القرشي — ١٧٠
 محمد بن صالح بن شيان — ١٥٣
 محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧
 محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) —
 ١٠٣، ١٥٥
 محمد بن حمارة — ١٦٦
 محمد بن عمر (الشريف) — ١٠٠
 للمدائني — ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧،
 ١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨،
 ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣
 ١٨٤
 مرثد (ابن حوشب) — ١٧١، ١٧٢ ح
 مرعوش (رئيس الطائفة الرعوشية) — ١٨٨
 للرقش الأكبر — ٤٣
 مروان بن الحكم = أبو خالد
 مزيد — ٧١، ٧٨
 مسافر بن أبي عمرو بن أمية — ٥٣
 مسعر بن مكرم — ٣٤
 مسكويه — ٢٢٧
 مسكين الدارمي — ١٧٧
 مسلم بن قتيبة — ٣٣، ٢٠٠، ٢٠١
 سلمة بن عبد الملك — ١٦٣، ٢٠٩
 السميع (عليه السلام) — ١٩٧
 مصعب بن الزبير — ١٨ ح، ١٧٠

وكيع بن الجراح — ١٧٨ ، ٧٦
الوليد — ١٧٢ ح
الوليد النبري — ١٦٧

(٥)

بالوت ١٨ ح ، ١٦٠ ح
يحيى بن أكنم — ٧٦
يحيى بن الحكم (أخو مروان) — ١٨٠ ح
يحيى بن خالد البرمكي — ١٥٣ ح
يحيى بن زكريا — ١٧٩
يحيى بن مطا — ٨٥
يزيد بن ربيع — ٧٥
يزيد بن مسلم — ١٦٨
يزيد بن معاوية — ١٧٨
اليزيدي = أبو عبد الله
يغوث بن السكيت — ٢٤ ح ، ٣٠ ح ،
٣٩ ، ٨٤ ، ١٠١
يونس — ٤٠ ، ٧٤

(٥)

حذية المنرى — ٢٠٣
هرز — ١٠٣
هفام — ١٧
هفام بن عبد الملك — ١٧٢ ، ١٦٥ ، ١٥٠ ،
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٢٠١
هفام للتكلم — ١٨٩
هفيم — ٣٠
حلال بن مكل الخنيزي — ١٦٧
الحلال — ٤٦
حيان بن صفاء — ٣١
الحيثم بن جراد — ٥٨

(و)

واصل بن مطا — ١٥٨
الوالدي — ٩

تم فهرسة الأعلام

فهرست أسماء الأماكن
الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والملاؤنة
لأبي حيان التوحيدي

بولاق — ١٧٠ ح
 البيت (بيت الله الحرام) — ٣٠
 البيضاء — ١٥٠
 بين السورين — ١٦١

(ت)

تباة — ١٧٢
 تسف — ٦٨
 تكرت — ١٨ ح
 تهامة — ٣٠

(ج)

الجامع — ١٤٧
 جامع البصرة — ١٠٠
 الجبال — ٦٨ ح
 جبال فنام — ١٤٦
 الجبل — ١٥٠ ، ٢٢١
 جرجان — ٧

(ح)

الحجاز — ١٠ ح ، ١٥٧
 الحرم — ٣٠
 حلوان — ٢٠٥ ح

(ا)

ابن فنام — ١٤٦ ح
 أجباد — ١٦٥
 أحد — ١٦٩
 أفريجان — ١٥٥
 الأراك — ١٧٢ ح
 أرميل — ٤٥
 الإسكندرية — ١٧٩
 أسبان — ٢٨ ، ٦٨ ، ٩١ ح
 الأهواز — ٦٨ ، ٧٨
 أوربا — ٤٩ ح ، ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح ،
 ١٧٤ ح

(ب)

باب الطاق — ٨٨ ، ١٨٨
 باجيري — ١٨
 البصرة — ١٥ ح ، ٣٤ ، ١٤٨ ، ١٧١ ،
 ٢٢٨ ، ١٨٨
 البطائح — ٢٢٨
 بطن مر — ١٧٢ ح
 بغداد (دار السلام) — ٦٩ ، ١٥٣ ح ،
 ١٦١ ح ، ١٨٨ ، ١٩٧
 البقيع — ١٣

الصبيحة - ٦٨ ح
الصين - ١٢٤

(ط)

الطائف - ١٨٢
طيس - ٩١ ح

(ع)

المراق - ٧ ح، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٨،
٢٢١
القيق - ٧٠
عمان - ١٧٣

(غ)

النفا - ٣٩

(ف)

فارس - ٦٨، ٩٩، ١٠٤

(ق)

قاين - ٩١ ح
قبا - ١٠
قريسين - ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٧
قزوين - ٤٥
قنطرة الطريق - ١٦٠ ح
قنطرة الزبد - ١٦٠

(ك)

السكرخ - ١٥٣، ١٦٠

(خ)

خراسان - ٩١ ح، ١٠١، ١٥٧،
١٧١، ١٧٩، ٢٠٠
خوزستان - ٧ ح، ٦٨ ح

(د)

دار الكتب المصرية - ٧٤ ح
درب الحاجب - ٢٢٧، ٢٢٨
درب الرواسين - ٢٢٧
الدينور - ٢٠٥ ح

(ر)

رعي الطريق - ١٦٠
الرصافة - ١٥٣ ح، ٢٠١، ٢٠٧
الري - ١

(س)

سجستان - ١٧١، ١٩٣، ١٩٨
سلي - ٢٠٣
سوق يحيى - ١٥٣

(ش)

الشام - ٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٧١، ٢٢٨

(ص)

الصراة - ١٦٠
صفين - ١٨٣
صناء - ٢٠٨

مكتب الرضى — ١٥٠	الكعبة — ١٩٠
مكة — ٧٠، ٣٠، ٨٠، ١٠٣، ١٦٤،	الكوفة — ١٥٢، ١٠٣، ٧٩، ٥٩،
١٦٦، ١٦٥	١٥٤، ١٥٣
مهرجان قلقي — ٦٨	(ل)
الموصل — ١٨٠، ١٧٠، ١٥١، ١٥٥	ليزيج — ١٧٠
(ن)	(م)
النباج — ٥٤	المجمع العلمي العربي — ٢٦٠
نجران — ١٤٦	للمدينة — ١٣، ١٥، ٢٣، ٣٩، ١٦٤،
نصيبين — ١٥١	١٦٦، ١٦٧، ١٦٥
التقيع — ١٣	مدينة السلام (بغداد) — ١٥١، ١٥٣،
نهر الصراة — ١٦٠	٢٢٠
نيسابور — ١٨٠، ١٩١، ٢١٩	الرج — ١٧٢
(هـ)	صرح راعط — ١٧١
همنان — ١٤٨، ٢٠٥، ٢١٩	مسجد ابن رغبان — ١٦١
(ي)	مصرعة الروايا — ٢٢١
اليمين — ١٥٧، ٢٠٨	مصر — ١٥٧، ١٨١، ٢٣٠
	للطبعة العلمية — ٩٠

فهرست الكتب

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

ديوان حسان — ح ٣٨
ديوان الحماسة — ح ٢٨
ديوان ذي الرمة — ح ٦١
ديوان معن بن أوس — ح ١٧

(ش)

شرح القاموس — ح ٥٣
شعر أعشى همدان — ح ١٧٤
شعر الأعشى — ح ٤٩، ح ١٧٤

(ع)

المقدّم القريد — ح ١٠٢، ح ١٦٧
ح ١٧٠
عيون الأخبار — ح ١٠٢، ح ١٧٦

(ف)

الفرق بين الفرق — ح ١٧٦

(ك)

الكامل لابن الأثير — ح ١٧٦
الكامل للمبرّد — ح ١٧٣

(١)

إصلاح للنطق لابن السكيت — ح ٢٤ ،
ح ٣٠ ، ح ٣٢
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني — ح ١٧٢ ،
ح ١٧٧
الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي —
٢٣٠

(ب)

البيان والبيان للجاحظ — ح ٢٩

(ت)

التاجي لأبي إسحاق الصائغ — ١٥٩
تاريخ الطبري — ح ١٦٧ ، ح ١٧٢
التصنيف — ١٨٥

(ح)

الحبوان للجاحظ — ح ٣٧ ، ح ٢٥

(د)

ديوان جرير — ح ٩

مجموعة المعاني - ٢٤، ٤٣، ٤٤، ٤٤
 ح ١٠٤
 الحاسن والأضداد الجاحظ - ٢٤
 محاضرات الأدباء الراغب - ٣٨
 المختصر لابن سيده - ٣١، ٧١،
 ح ٨٤
 معجم البلدان لياقوت - ١٨، ١٦٠
 المعجم الفارسي الإنجليزي لأستاينجاس -
 ٧٠، ٧٤، ٧٥، ١٧٥

(ن)

النقائض - ٥٨
 النهاية لابن الأثير - ٧٢
 نهاية الأرب لتويري - ١٦٧

(ي)

يتمية البحر للشمالي - ٧٧

كتاب بغداد للأستاذ لوستراخ - ١٦٠
 كتاب التنبية على أخلاق أبي علي الغالي -
 ح ٣٦
 السكتاية والتعريض للشمالي - ١٦٧

(ل)

لسان العرب لابن منظور - ١١
 ١٣، ٢٠، ٢٤، ٢٩، ٣٦، ٤٤،
 ٤٥، ٥٢، ٥٨، ٦٠،
 ٧٣، ٧٥

(م)

ما يؤول عليه في المضاف والمضاف إليه للمعنى
 - ١٣، ٦٠
 مجلة المجمع العلمي العربي - ٢٦
 مجمع الأمثال للبيداني - ٣٥، ٣٩،
 ١٧٠

فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق
الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدي

(ت)	(ا)
الترك — ١٧٥، ١٢٩، ١٨	آل أبي طالب — ١٥٤
نميم — ١٧٣	آل أبي معيط — ١٧٦
	آل سامان — ٩٢، ٩١
(خ)	آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم — ١٥٥
الخرج — ١٧٨	الأماجم — ١٧٥
خوزان — ٧	الأنصار — ١٦٩، ١٦٨، ١٦٤
	(ب)
(د)	باحلة بن يضر — ١٧٢
الديلم — ٢١٣	بجيلة — ح٩
	يكر بن وائل — ١٧٣
(ذ)	بنو أسد بن خزعة — ١٧٩ ح ٢٤
ذوو مليح (كفا) — ٢٢٢	بنو بدر — ٤٥
	بنو بيم الله — ١٩
(ر)	بنو الجلاح — ١٦
الروم — ٧٢ ح ١٢٩، ١٥١، ١٥٢	بنو دبير — ٥٠
	بنو عبادة — ١٤
(ز)	بنو العباس — ٢١٣، ١٠٥
الزنج — ح ٤٣	بنو غاضرة — ٥١
	بنو النجار — ١٦٥
	بنو نصر — ٢٠٣
	بنو نعيم — ١٦٨، ١٦٧

١٨١ ، ١٧٦ ، ١٧٢ ، ١٧١

١٨٢

قيس — ١٧١

(ك)

السكر — ١٢٩

كعب — ١٦٨ ، ١٦٧

كلاب — ١٦٨ ، ١٦٧

كلب — ١٧٣

كليب — ٩ ح

كليب بن وائل — ٣٤

(م)

مباشع — ٥٨

مزينة — ١٧٨

المسلمون — ١٨٩ ، ١٨٥ ، ١٥١

(ن)

النبط — ٧

النصارى — ١٩٢

نمير = بنو نمير

(هـ)

همدان — ١٧٤

(و)

اليهود — ١٧٩

يونان — ١٠٠

(س)

سغينة (لقب للريش) — ١٧٢

(ش)

شبيان — ٤٧

(ص)

الصوفية — ١٤٧ ، ٩٧ ، ٩٢ ، ٩١

(ع)

عاد — ١٠٣ ، ٤٩

العجم — ١٩٠ ، ١٧٦

عدنان — ٨

العرب — ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ح ، ١٨ ح ،

٢٩ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ،

٦٧ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٨ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٢٩ ،

١٣٥ ، ١٦٧ ح ، ١٧٦

(ف)

فزارة — ٢٤

(ق)

القطاطنة — ٨ ، ١٧٥

قريش — ٥٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،

تم فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق

ملاحظات للدكتور مصطفى جواد

الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا بغداد

على بعض ألفاظ وردت في الجزء الأول والثاني من كتاب الإمتاع وللؤاسة نلقهما فيما يلي مع جزيل الشكر لكتابها الفاضل على حسن نيته وجليل تقديره لما بذلناه في تصحيح هذا الكتاب من جهد .

الجزء الأول

- ١ - ورد في الصفحة « م » من المقدمة في السطر « لأبي على الحسن التنوخي » والصواب « المحسن » .
- ٢ - س ٦ س « فوارضها » . الصحيح « عوارضها » .
- ٣ - س ١٣ س ٨ « ويكون سبيلاً قوياً على حسن الحال وطلب العيش » . الصواب « قوياً إلى حسن الحال وطيب العيش » .
- ٤ - س ١٦ س ٦ « الدهر الحال من الغيائين » . الغيائين هوالة « الرائيين » و « الغيائين » وهم المنسوبون إلى الغيانة . وهذه الكلمة من كلمات الفرزدق الرايم للهجرة تمجدونها في أول صفحة من مروج الذهب للمسعودي .
- ٥ - س ٢١ س ١ « ولا محابة ولا انجاش » والصواب « محابة » . يالاء ، قال الزعفراني في أساس البلاغة « ومن المجاز : حاوتني فلان عن كذا إذا خادعك عنه وراوغك ، وظل فلان يحاوتني بخدعه ومناه يداورني فصل الحوت في الماء .
- ٦ - وفي س ٣٤ س ٩ « ولم يتفوح برده الفلسفة » وفي الأصل « لم يتفرخ » والصواب « يتفرج » .
- ٧ - وفي س ٤٠ س ٣ « والأمر الربوي » بضم الراء . والقي للأمله بفتح الراء .
- ٨ - س ٤٤ س ٦ « تأجيل المهنا » . والقي أراه مراعاة الأصل « تعجيل للفنا » أي للمبادرة بإظهار الكراهية والبغضة .
- ٩ - س ٤٥ س ٨ « كيف استكني هذه الجماعة حوله » وفي الأصل « استكنيت » . فالصواب « استكنت هذه الجماعة حوله » . وفي أساس البلاغة : « واستكن الناس حواله : أحذقوا به » .
- ١٠ - س ٥٠ س ٧ « وبقرني » . والأولى « وبمترني » أي أتاح لي اليسر .
- ١١ - وجاء في س ٥١ س ٧ ذكر « التاسومة » ولم يحدوها في كتاب لغة . والصحيح أنها

- وردت في غير مادتها فقد ذكرها المروى مؤلف الفريين في مادة
« نعل » من غريب الحديث ، وتلقاها عنه للبارك بن الأثير في « النهاية »
ونقل عن أحدهما القيوي في « نعل » من الصباح المنير .
- ١٢ — من ٦٢ س ١١ « والتشيع الظاهر والدعوى الماربة » الخ . ولا عمل للتشيع أبداً
والصواب « التشيع » وهو تكلف الشيع . ومنه الحديث النبوي
العزيز « للتشيع بما ليس فيه كلابس ثوبي زور » .
- ١٣ — من ٦٨ س ١٢ « بدافع ما يسله » والصواب « بدفع ما يسله » أي يأنسكاره ،
وما بعده حكاية وردت فيها الأعلام مصحفة وكانت جرت في عهد
بني أمية فصيرها التصحيف مما جرى في عهد بني العباس . وفي الحكاية
ذكر أمير المؤمنين المهدي . فالظاهر أن لفظ « المهدي » تصحيف
اسم أمير من أمراء بني أمية كالمهلي وغيره ، وأما « كرز »
الوارد في السطر ٧ فصوابه « كردين » وهو من رجال الدولة
الأموية كما في عيون الأخبار « ج ١ س ١٧١ » وأما « دوست »
الوارد في السطر ٩ فصوابه « درست » بالراء وهو من رجال
المهد الأموي أيضاً كما في البيان والتبيين « ج ٢ س ١٢٧ » .
- ١٤ — من ٧٢ س ١٦ « وهم يحاضون به » والصواب « يتحاضون » .
- ١٥ — وفي ٧٩ س ٢ « ويتاورون » . والصواب « يتفاورون » أي يغير بعضهم
على بعض .
- ١٦ — من ٨٧ س ١٠ « وقنع باليسير ورخى العيش » . والصواب « باليسير من رخی
العيش » .
- ١٧ — من ١٠٣ س ١١ « كان يخبط في هواه » وفي الحاشية أنه « يخط » وأنه تصحيف
استوجب التصحيح . قلت : وهذا غير صحيح ، فالأصل هو
الفصيح ، قال الزمخشرى في أساس البلاغة « وخط في هواه وانخط
فيه ، ويقال : أكل من حلوائهم فانخط في أهوائهم » .
- ١٨ — من ١٠٩ س ٢ « المصاع من صاع الفجاع أقرانه إذا حمل عليهم ففرق جمعهم »
والصواب « مصاع بمصاع » أي ضرب بالسيف خاصة .
- ١٩ — من ١١٩ س ١٢ « أن يبرر لهم ما صبح له بالاعتبار » . والصواب « أن يبرز
لهم ما صبح » .
- ٢٠ — من ١٣٩ س ٧ « ويستم فيهز » والصواب « يستم » من القم .
- ٢١ — من ١٤١ س ١٣ « إلا أنه يأتي لابن عباد في سمته » . والصواب « تأتي » أي
ترقى وتلطف .
- ٢٢ — من ١٤٢ س ١٤ « أو أطلع عن كبيرة رغبة » . والصواب « رجة » .
- ٢٣ — من ١٤٤ س ١٣ « وسمن بمروا » والصحيح « سمن الير » وهو مذكور في
حياة الحيوان .

— ش —

- ٢٥ — س ١٥٨ س ٧ « كل شيء يطلبه ويتوفاه » : الصواب « ويتوفاه » .
- ٢٦ — س ١٦٢ س ٩ « العقاب يجلس » والصواب « تجلس » .
- ٢٧ — س ١٦٨ س ٥ « إلى أن يترحل النهار » ترحل النهار يدل على عكس المراد بالمسكاية . والصواب « يترجل » أى يلو ويرتفع .
- ٢٨ — س ١٧٠ س ٤ « ويستغنى في البحر » ، والصواب « في الشجر » .
- ٢٩ — س ١٧٥ س ١١ « ثم انطلق في لبن » . الصواب « أقمعه » ومصدره الإقعاع أى ربطه ورببه بالبن .
- ٣٠ — س ١٧٦ س ٣ « حوت يقال له : موفى » . الصواب « موفى » منسوب إلى اللوت ، لأنه يتأوت ويتهاكك .
- ٣١ — س ١٨٠ س ٤ « حابة يقال لها بالفارسية درباست » . والصواب « بادستر » وهو « الجند بادستر » .
- ٣٢ — س ١٨٢ س ٨ « الجرذان » . والصواب « الفردان » جمع الفرد .
- ٣٣ — س ١٩٠ س ٦ « لسرعة إحناء أجنحته » والصواب « إعياء أجنحته » .
- ٣٤ — س ١٩٧ س ١ « بما حاج الحبيب حبيب » صوابه « كما حاج الحبيب حبيب » .
- ٣٥ — س ٢٠٠ س ١٤ « تحركه وتحسه » . الصواب « تحشته » .
- ٣٦ — س ٢٢١ س ١٢ « من لقبه الحرص إلى أى شيء ينسب » . والصواب اللازم صيغة الحرص إلى أى شيء تنسب .

الجزء الثاني

- ٣٧ — س ٥ س ١٠ « ولقنوها للناس » . والصواب « لقنوها الناس » فالفعل متعد إلى المقمولين بنفسه .
- ٣٨ — س ١١ س ٥ « لكن الحريرى غلام ابن طرارة هبيجه يوماً في الوراقين . الصواب « الحريرى » نسبة إلى مذهب محمد بن جرير الطبري المصهور والصواب ابن طرارة (بتخفيف الراء) لا تعديدها .
- ٣٩ — س ١٣ س ١٣ « ومزقتم بين مجتمعين » . والصواب « وفرقتم بين مجتمعين » .
- ٤٠ — س ٢١ س ٦ « وإن هذا التعت من قول ... » . الصواب « وأين » .
- ٤١ — س ٣١ س ١٨ « الأفي تأخذ السم من الأصيلة » . صوابه « من الأصيلة » ومن نوع من الحيات .
- ٤٢ — س ٥١ س ٥ « طالحات بالسلام » . صوابه « طالحات بالسلام » .
- ٤٣ — س ٥٩ س ١٤ « شرحتم كلمة « الصراة » بأنه نهر بالعراق ، وكان الأولى أن يقال « نهر كان ببغداد » .

- ٤٤ — س ٦٠ س ١ « ويا قصرأ بلا مستاه » . الصواب « السنة » ومى البنية التي
تبقي بين القصور وماء النهر احتفظها من الماء .
- ٤٥ وجاء في س ٧٩ س ١ « وقلت لابن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ... »
واقى في تاريخ بغداد « ج ٥ ص ٢١٣ » للخطيب البغدادي وأنساب
السماني بمادة « الجلاء » أن ابن الجلاء توفي سنة « ٣٠٦ هـ » .
- ٤٦ — س ٩٣ س ١٢ « من صبر باب » . والمحفوظ في الحديث « صبر » .
- ٤٧ — س ١٣٦ س ٩ « ظاهر النفع في مماينة الروح » . والصواب « مماينة الروح » .
- ٤٨ — س ١٤٣ س ١٠ « ومقاساة الحُرقة » . والصحيح « الحُرقة » أى الفقر والموز .
- ٤٩ — س ١٥٦ س ٥ « فلما أجمنا على السجن والملك لم نجد الحراق » ، والصواب
« الل » وهو الاختياز على « الملة » أى الجمر المختلط بالرماد .
- ٥٠ — س ١٥٧ س ٥ « الانخزال » . والصواب « الانخزال » .
- ٥١ — س ١٦٢ س ٧ « والزيادة والرفع » . والصواب « الزيع » .
- ٥٢ — س ١٦٧ س ٦ « [القاطن] في دار القطن عند جامع المدينة » صوابه القاطن في
دار القطن كما هو في الأصل .
- ٥٣ — س ١٧٠ س ٥ « تسحب الحاطر » . الصواب عندي « تسحب الحاطر » .
- ٥٤ — س ١٧١ س ١٣ « ولا طرب ابن صُبَّير القاضى » . قلت : الصواب « ابن صُبَّير »
بضم الصاد وفتح الباء .
- ٥٥ — س ١٧٤ س ٩٠ « وقد علق عنازا فهذا هم كما كُتِبَ » . والصواب « هم » بفتح
الماء وهو موضع النكتة التي جاء الخبر من أجلها فإنه استعمل
« م » العامية المراكبية بمعنى « أيضاً » ولا يزال العراقيون
يستعملونها ، والكرد أيضاً ، قال الحريري في درة القوام
« ويقولون للمخاطب م فقلت وم خرجت » فيزيدون هم في
افتتاح الكلام وهو من أشنع الأغلاط ، ومن الأخفش أنه قال
لتلاميذه : جنيوني أن تقولوا هم : وأن تقولوا بس وأن تقولوا
ليس لفلان بخت » . ولذلك قال أبوحيان : « وأصحابنا يستعملون
قوله هم ما هنا » . ولا استصلاح مع « هم » .
- ٥٦ — س ١٧٦ أيضا س ١٢ « إذا أخذت في هزارها » . وفي الحاشية اعتذار من القموض .
قلت : الهزار ها هنا من الفارسية بمعنى « الأنشودة » .
- ٥٧ — س ١٨٠ س ٣ « والبوارد والجوزيات » . قلت : أما البوارد فقد ذكرها محمد بن
الحسن بن الكرم البغدادي في كتابه « الطليخ » س ٦٠
فقال « الباب الخامس في الطعنات والبوارد ... » وشرحها بلا داع
طالع الكتاب فقال « من يقول للطبوعة للوضوعة في الأهياء

— ث —

الحامضة كالخل وماء الحصرم وماء التفاح (كذا) . . . ، وأما
« الجوزيات » فالظاهر أنها تصحيف « جوزيات » جمع « جوزابة »
وهي معروفة بين ألوان الأطعمة والخلوى .

٥٨ — س ١٨٩ س ١٢ « ما يُكسبك الفكر » والصواب « يكسبك » بفتح الياء لأنه
متعد إلى مفعوليه بنفسه .

٥٩ — س ١٩٥ س ١١ « مستغر بذنبه » . والصواب « مستغر » من الاستغفار
وهو معروف .

٦٠ — س ٢٠٢ س ١١ « ولقدِم قدم » . وعندى أن الأصل « ولقدِم عدم » .
والله يوفقنا وإياكم للصواب .

مصطفى جراد

ملاحظات للأستاذ كراوس

على الأجزاء الثلاثة من كتاب الإمتاع واللؤاسة لأبي حيان التوحيدي

الجزء الأول

- س ٣٨ : ٤ : بُكَّش ، والصواب : بَكَّش (= Bakkus) .
 ٥٨ : ١٠ : ابن ثوبخت — ابن ثوبخت .
 « تطبيق ٢ : كان علي بن ربن الطبري نصرانياً لا يهودياً أسلم .
 ٧٩ : ٩ : يقفور ، صحه كرد علي فقفور ، والصحيح : يقفور .
 ١٦٤ : ٢ : أدبوس ، والصواب : أدبوس (Odysseus) .
 « ٧ : للتصيب ، والصواب للصمت كما في العميري .
 ١٩٨ : ١٤ : ٢٠٢ : ٢ : بحس من الإحساس ، والصواب : الأحساس جمع حس .

الجزء الثاني

- ن ٧٧ : ٦ : وهذا أخشى ، والصواب : إسحاق ، والإسحاقية فرقة من غلاة الشيعة
 قرية للنصب من التصيرية ، ذكرها الفهرستان والجرجاني في الترسعات
 وغيرها ومؤسستها أبو يقرب إسحاق بن محمد بن أبان النخعي الكوفي
 للتوفي سنة ٢٨٦ هـ .
 « : « : قطي . والأصح : القطي .
 « ٧٨ : تطبيق ١ : ليست الراوندية من أتباع ابن الراوندي للحد بل من فرقة من أتباع
 عبد الله الراوندي ، قالت بالوهبة الخليفة منصور من آل بني عباس ، راجع
 مقالات الأشعري ص ٢١ وابن حزم ج ٤ ص ١٨٧ وابن الأثير في وقاتع
 سنة ١٤١ وما إليها من المصادر .
 « ٨٤ : ١٥ : و ٨٥ : ٢ : استثبتها ، وفي الأصل « أسباب إثباتها » أو « إثبات
 إثباتها » — أما الصواب بلا شك أنه « إثبات اثباتها » .
 س ٨٤ : ١٦ : إلى تحقيق إثباتها ، وفي الأصول : ما ينالها أو مسابها — والصواب :
 إلى تحقيق ما ثبتها ، والملائمة تعادل الإثبات .
 ٨٧ : ٢ : العبارة « بمنزلة » صحيحة وهي ترد مكثفاً كثير من الكتب المترجمة من
 اليونانية ومنها « مثل » .
 ٨٧ : ٥ : والمُترَّكان ، والصواب : والمُترَّكان أعني الرق السوداء والمرء الصفرء .
 ٨٧ : ٦ : الأربع ، والأصح : الأربعة .

- ٩١ : ٢ : بالاستمرار : والصواب الاستمرار .
 » : ١٠ : ورضوا بالزهد ، وأظن الصواب : ووصوا كما في س ١٢ .
 ١٠٥ : ١٧ : لعل الصواب : أحذر [من القتب (أو القراب) وألمس] من العقب . راجع
 الأمثال للسيداني .
 ١٠٧ : السطر الأخير : المطلق ، والصواب المطلق .
 ١٠٨ : ٥ : يرشح ؟ لعله يرشح ؟
 ١٠٨ : ٧ : اللك ، والصواب اللك .
 ١١٣ : ٥ : بالحد والاسم ، أليس الصواب : بالحد والرسم .
 » : ١٠ : و ١١ : ماله فيه (منه) ، والصواب عندي مائته أو مائيته .
 ١٥٣ الخ : ليس اسم الشاعر اليوناني كندس بل هو إيبكس (Ibykos) كما في
 الأصول وقصته مع الكراكي معهورة متداولة عند كتاب اليونان ، وقد
 اختارها Sobiecx موضوعاً لفصيدة له — أما اسم الملك فلا شك أنه
 محرف ، وكان المنتظر أن يكون Polykrakes الذي عاش لإيبكس الشاعر
 قُايامه . ويلاحظ أن اسم إيبكس مصحح في فهرس الأعلام لهذا الجزء .
 فراجع .
 ١٥٧ الخ : يلهمني صديق M. Stern على أن هذه القصة (قصة المحبوس واليهودي)
 وردت في رسائل إخوان الصفاء في الرسالة التاسعة من الجزء الأول منها
 (ص ٤٦ من القسم الثاني من الجزء الأول من طبعة بيمبي) .
 ١٥٧ : ١٥ : سفرة ، وفي الأصول : في سفره ، والصواب ، كما في رسائل إخوان
 الصفاء : بفتة له عليها [كل ما يحتاج إليه للسافر] في سفره .

الجزء الثالث

- ١٠٨ : ١٦ : النفس عدد محرك بناته ، كذا في كلتا النسختين وهو صحيح لا يحتاج إلى
 تصحيح «عدد» بمرّض — وهو حد مدرسة فوثاغورس للنفس ،
 راجع الترجمة العربية للآراء الطبيعية لفلوطرخوس التي لفتها في ملحق
 بحثي عن جابر بن حيان (ص ٣٢٢ من الجزء الثاني) : «وأما فوثاغورس
 فيرى أن النفس عدد محرك ذاته ويعني بقوله العدد الطل — ولعل
 الأصح أن يقرأ في «الإمتاع» محرك ذاته أو متحرك بناته .
 ١٣٠ السطر الأخير : موريس ؟ لعله أمورس ؟
 ١٤٢ : ٢ ، ١٥ : وكذلك ١٤٤ : ١٣ : الإحساس ، والصواب : الأحساس ، جمع
 الحس .
 ١٥٣ : ٧ : أظن أن قراءة نسخة ب (باب الشيعة) صحيحة ، فإن الشيعة تسمى وثمها
 الذي يل في الترتيب الإمام القائب باباً .